جامعة المنصورة

كليـة الآداب

تجليات الثقافة الإسلاميـة في شعر القروي
دراسة في المحتـوى والفـن

إعـداد

دكتور / مصطفى محمد مطاوع طلحة

أستاذ الأدب والنقد المساعد

كلية الدراسات الإسلامية والعربية – بنات كفر الشيخ

مجـلة كلـية الآداب – جامعـة المنصـورة

العدد الخامس و الخمسون – أغسطس ٢٠١٤

تجليات الثقافة الإسلاميــة في شعر القروي

دراسة في المحتـوى والفــن

د/ مصطفى محمد مطاوع طلحة

تقـــديم :

تضافرت وتكاثرت العديد من الأسباب والدوافع التي عصفت باللبنانيين ودفعتهم إلى الهجرة خارج الأوطان، فهناك الدافع الاقتصادي الناجم عن فقر البلاد وضيقها وقلة أرزاقها ، والدافع السياسي المتمثل في اضطهاد الدولة الحاكمة (تركيا) للرعايا مع فساد الحكومة وسوء الإدارة، والدافع النفسي المفعم بالتوق إلى الحرية، والحلم بالخلاص، وحب الهجرة والمغامرة، مع ميل فطري أصيل إلى سبر أغوار الحياة، وحب الكسب، وتحسين الأحوال المادية والمعنوية لدى الشوام ، واللبنانيين منهم خاصة ،فضلاً عن دافع طائفي تجسده العصبية المقيتة المتعصبة للآراء والأفكار والعقائد والشخوص ، الأمر الذي أثمر في نهاية المطاف مذابح عام ١٩٦٠م وزاد الطين بلة صدور قانون ١٨٦١م القاضي بتضييق الرقعة الجغرافية الأصلية للبنان، وحصر الجبل في بقعة ضيقة لا يتعداها أهلُه ، ولا يمكنهم استثمار غيرها من الأراضي الواقعة تحت أعينهم وعلى امتداد أبصارهم، الأمر الذي جعل هذا القانون يُقابل بالاستياء والسخط الشديدين، فضلاً عن تنامي الحقد والكراهية ضد الأتراك الحاكمين .

ينضاف إلي ذلك الصلة القوية التي تربط لبنان بالغرب حتى قبل عام ١٨٦٠م – والمتمثلة في علاقة البعثات التبشيرية بالشرق ، وما كان من أثرها في توجيه الفكر الشرقي والميول الشرقية نحو الغرب ، وكذلك تَمثُّل شعارات ومبادئ الثورة الفرنسية ١٧٨٩م (حرية– عدالة– مساواة) التي تسربت إلى لبنان مع دخول الحملة الفرنسية إلى مصر والشرق عام ١٧٩٨م ،ثم نزولها ميناء بيروت عقب حوادث السنين ، وسيطرتها على الموقف في لبنان، كل هذه الأسباب دفعت قوافل اللبنانيين – وفي طليعتهم النخبة المثقفة والواعية والمبدعة– إلى التطلع للحضارة الغربية الأمريكية ، والبلدان التي أنتجت هذه الحضارة بما تنعم فيه من حرية وانطلاق ، فكانت الهجرة إلى الأمريكتين خاصة ، وهناك تشكلت الجماعات والعُصَب ، ففي أمريكا الشمالية تكونت الرابطة العلمية التي كان من أبرز أعلامها (إيليا أبو ماضي – ميخائيل نعيمة – جبران خليل جبران – رشيد أيوب – ندرة حداد) وغيرهم .

وفي أمريكا الجنوبية تشكلت العصبة الأندلسية التي من أبرز شعرائها : (زكي قنصل – جورج صيدح – شكر الله الجر– إلياس فرحات

– جورج كعدي – نصر سمعان– أبو الفضل الوليد – إلياس قنصل) وغيرهم .

... إضافة إلى القروي (رشيد سليم الخوري) ١٨٨٧–١٩٨٤م) صاحب هذه الدراسة والذي تجلَّت في شعره آثار وروافد ومؤثرات عربية وإسلامية على أروع ما يكون ، حتى كادت تنافس – شكلاً ومضموناً – أو تتقدم على شعره في العروبة والقومية ، ومن ثم أغرتنا هذه الآثار بدراستها ، وتأمل أبعادها ، ومحاورها ، وقيمها الأدائية والجمالية .

وبعد إنعام النظر في نسيجها الفني رأيت أنه يمكن معالجتها على النحو التالي :

التمهيد وعنوانه : القروي .. سيرة حياة .

المبحث الأول: مظاهر شعر الثقافة الإسلامية ، ويشمل :

أولاً : المظهر الإيماني ، وفيه :

أ– تمجيد الخالق والابتهال إليه .

ب–تعظيم القرآن الكريم والإشادة به .

جـ– عالم الغيب ومسائله .

د– الاحتفاء بالمناسبة الإسلامية .

ثانياً : بين السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي ، وفيه :

أ– المدائح النبوية .

ب– الأحداث التاريخية والإسلامية .

جـ– تمجيد الحضارة الإسلامية .

د– استلهام الشخصية الإسلامية

ثالثاً : أهم القضايا الإسلامية ، وفيه :

أ– الدفاع عن الإسلام ومناهضة الغزو الفكري .

ب–الدعوة إلى الوحدة وإقامة دولة الخلافة .

ج–مقاومة المستعمر .

د– مواجهة الفساد ومحاربته .

المبحث الثاني : الجانب النقدي والفني ، ويشمل:

أولاً : البناء العام للقصيدة :(المطولة – المقطعة – العنوان – المقدمة أو المطلع – الخاتمة)

ثانياً : لغة القروي .

ثالثاً : الصورة الشعرية .

ثم أردفت ذلك بفهرسين ، أحدهما للمصادر والمراجع ، والآخر للمحتوي .

والله من وراء القصد

القروي ... سيرة حياة

رشيد سليم الخوري كان مولده بقرية (البربارة) بلبنان ، ليلة عيد الفصح في الخامس من نيسان

إنْ فـــاخر النـــاسُ بأعيـــادهم

أمه هي : تقلا بنت أسعد بشارة الرحباني ، وكان أبوه أديباً يتعاطى حرفة الشعر إلى جوار النثر ، في حين كان جده طبيباً .

تلقى تعليمه الابتدائي بالقرية ، والفني بمدرسة الفنون الأمريكية ، والإعدادي بالجامعة الأمريكية ببيروت ، ثم اشتغل بالتدريس مدة سبع سنوات ، وكان من أبرز أساتذته الشاعر (قيصر وحيد الغرزوزي) الذي آنس فيه رغبة في مطالعة المجلات الأدبية والعلمية ، وآنئذ راح يعني به عناية خاصة ، حتى إنه كتب له الخطب والأشعار ، فاستظهرها بصوت يتردد صداه في كهوف الوادي .

هاجر إلى البرازيل عام ١٩١٣م ، واشتغل بالتجارة وتدريس الموسيقى .

أما عن شاعريته: فقد بدأ يقرض الشعر في سن مبكرة ،ومعظم شعره ينتمي إلى الكلاسيكية المجددة ، ويعد من أشهر شعراء القومية العربية في الجيل الحاضر ، وإن يكن صاحب نزعة إنسانية تغذيها ثقافة إسلامية ذات روافد ومصادر عدة ستكشف عنها هذه الدراسة.

(إبريل) عام ١٨٨٧م ، وتصادف أن كان هذا اليوم يوم عيد الجلاء في سوريا ، الأمر الذي دعاه إلى أن يفخر ويزهو بعيد ميلاده قائلاً:

فعيـدُ مـيلادي عيـدُ الجـلاء

أصدر القروي عدة دواوين ، ثم جمع شعره وطبعه في ديوان واحد، اعتمدنا عليه في دراستنا ، وصدر عن دار (جرُّوس يرس) بلبنان عام ١٩٨٣م.

أما عن طبائعه وأبرز ملامح شخصيته:

فقد أثر عنه أنه كان شديد التعصب لعروبته وقوميته ، ولكنه كان يبغض التعصب الديني والسياسي، تلمس ذلك واضحاً في العديد من قصائده التي يواجه فيها المستعمر، ويكشف زيفه ووجهه القبيح، وممارساته القمعية البغيضة ، فضلاً عن فضح عملائه وأذنابه الذين مكنوا لجذوره في الأرض ، وعمقوا من سطوته وبسط نفوذه ، الأمر الذي دفعه إلى أن يلح في الدعوة إلى الوحدة العربية والإسلامية ويسخط على التشرذم ، ويهاجم الانقسام والشوفونية ، ودفعه كذلك إلى أن يهاجم الصهيونية ومن وراءها ، حتى نال بسبب ذلك الأذى الكثير ، وكانت محاولات اغتيالاته المتكررة في المهجر أظهر مظاهر ذلك الأذى

اشتهر بالإباء والترفع ، ورغم فقره وضيق ذات يده ، كان يتبرع ، ويسهم مادياً وفنياً وفكرياً

في نجدة اللاجئين العرب، وتسليح الجيوش العربية .

كتب عنه الأستاذ الشاعر أحمد زكي أبو شادي يقول: «إننا أمام عالم فذ، وشرّف العربية في القرن العشرين بأكثر مما شرفها أنداد نابهون من الشعراء الفطاحل في معظم العصور، فهو قيمن لا بدراسة عامة فحسب ، بل بكتب نقدية ضافية ، تتناول جوانب شاعريته المطبوعة الفياضة ، وطاقته الفنية العظيمة ، ووطنيته الصادقة التي ترجم عنها في شعره الرائع ألحاناً نارية ونورانية خالدة ، إن الشاعر القروي – غير مدافع– هو العلم الشامخ للشعر القومي في دنيا العروبة، ولئن عاش في البرازيل فهو كالشمس ، أينما كان محله أضاء وأحيا ، وإن صدور ديوانه الكامل الضخم لحدث أدبي جليل، فالديوان بمثابة كتاب مقدس للعروبة جمعاء...»، ثم يقول مكبرًا

ولدت على دين المسيح وإنما أموت على دين النبي محمد[١]

وقوله:

شغلت قلبي بحب المصطفى وغدت عروبتي مثلي الأعلى وإسلامي[٢]

وقوله:

فإن ذكرتم رسول الله تكرمة فبلّغوه سلام الشاعر القروي[٣]

وسواء صحت هذه المرويات حول معتقده ،أو لم تصح، فقد صدرت عن القروي قصائد ومقطوعات عديدة تشير بوضوح إلى عمق ثقافته الإسلامية ، وأن هناك روافد عدة قد رفدت شاعريته ولغته البيانية الرائقة :« وإلى جانب شاعريته المحلقة نجد الديباجة المتمكنة من اللغة والبيان أي تمكن ، ونجد الشعر الكلاسيكي في أبهى حلله العصرية البليغة ، ونكاد نشعر بالتطاول إذا نحن عمدنا إلى الاقتباس والاختيار من هذه الكنوز التي لا أول لها ولا آخر ، في تنوعها وجمالها وجاذبيتها ونفاستها...».

يبدو أنه أسلم ، وقيل إنه ظل على نصرانيته ، وقيل أيضاً إنه كان يخفي إسلامه ، ولا يظهره إلا حينما يزور أو يحل ضيفاً على بعض الدول العربية ، لاسيما المملكة العربية السعودية التي يروي عنه أنه أعلن إسلامه فيها أمام عدد من كبار علمائها على رأسهم المفتي آنئذ الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز – رحمه الله– ، وهناك بعض الأبيات التي تدعم عملية إسلامه هذه ، وتجعلها رواية صحيحة ، نذكر منها قوله:

شاعريته المحلقة نجد الديباجة المتمكنة من اللغة والبيان أي تمكن ، ونجد الشعر الكلاسيكي في أبهى حلله العصرية البليغة ، ونكاد نشعر بالتطاول إذا نحن عمدنا إلى الاقتباس والاختيار من هذه الكنوز التي لا أول لها ولا آخر ، في تنوعها وجمالها وجاذبيتها ونفاستها...».

يبدو أنه أسلم ، وقيل إنه ظل على نصرانيته ، وقيل أيضاً إنه كان يخفي إسلامه ، ولا يظهره إلا حينما يزور أو يحل ضيفاً على بعض الدول العربية ، لاسيما المملكة العربية السعودية التي يروي عنه أنه أعلن إسلامه فيها أمام عدد من كبار علمائها على رأسهم المفتي آنئذ الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز – رحمه الله– ، وهناك بعض الأبيات التي تدعم عملية إسلامه هذه ، وتجعلها رواية صحيحة ، نذكر منها قوله:

أموت على دين النبي محمد[١]

عروبتي مثلي الأعلى وإسلامي[٢]

فبلّغوه سلام الشاعر القروي[٣]

شاعريته ودفعته إلى نظم قصائد يشيع فيها المنحى الإسلامي محتوى وصياغة وتشكيلا ، أبرزها الرافد التراثي والحضاري العربي

والإسلامي، الأمر الذي عقدت من أجله هذه الدراسة التي أؤملها بناءة وجادة.

وأخيراً نشير إلى وفاة القروي في السابع والعشرين من شهر أغسطس عام ١٩٨٤، عن عمر يناهز قرناً من الزمان، وأشير كذلك إلى أن له أعمالاً نثرية صدرت عن دار الرائد العربي في بيروت سنة ١٩٨٤م(٤).

المبحث الأول

مظاهر الثقافة الإسلامية في شعر القروي

أولاً : المظهر الإيماني :

أ - تمجيد الخالق والابتهال إليه :

حين تعصف بالإنسان الظنون والهواجس والعواصف العاتية التي تكاد تؤزه أزاً ، لا يجد أمامه سوى الخالق جلّ وعزّ شأنه ، يتجه إليه ، يلوذ بحماه ، ويطلب الصفح والغفران ، لاسيما بعد الإفاقة من غفوة مقارفة الذنوب والآثام ، ولا يبعد الشعراء عن هذا المسلك فهم من جنس بني الإنسان، يخطئون ، ويندمون، ويعلنون التوبة والخشوع، يقول الدكتور حسن بن فهد الهويمل« وللشعراء إناباتُ نادمة أو عاجزة، يعبرون عنها بابتهالات صادقة ؛ لتخفيف الألم ، وطرح كابوس اليأس ، وإزاحة بوادر الانتكاس »(٥).

فإذا يممنا وجوهنا شطر شعر المهجر الجنوبي وجدنا شعراءه يكثرون من الإنابة والابتهالات والأدعية المرفوعة إلى الله تبارك وتعالى، وكلهم أمل في أن يرفع ما ألمَّ بهم من أوجاع الغربة ومنغصاتها، وأن يزحزح عن الأمة العربية ما حدَّق بها من محن وانتكاسات على أيدي المستعمر الغربي ، أوْ جَرَّها إليها الحاكم التركي البغيض ، تتضاعف حسراتهم حينما يواجهون الآخر في غربتهم ، هذا الآخر المختلف جنساً وسلوكاً وعادة وتقليداً وقيماً وحضارةً وربما عقيدةً، وما إلى ذلك مما لا يمكنهم التأقلم والتكيف معه على النحو المأمول ، الأمر الذي يلجئهم دوماً إلى البث والدعاء والابتهال إلى الله ، علّه يفرّج عنهم الكربات ، وعن أمتهم المحن والخطوب ، وهنا يتداخل الهم الذاتي مع الهم الجمعي ، مع هم العالم الخارجي المشحون بالتوترات وضجيج الآلات الصناعية والمادية التي هي بعيدة كل البعد عن أجواء التسامح والرفق والرحمة والروحانية ، يقول الدكتور /حسن جاد حسن :« إنهم يواجهون في مهاجرهم عالمًا ماديًا يعبد الذهب ، ويقدس المادة، ويموج بالعمل الدائب، والكفاح الدائم ، والصراع الشاق، فبين ضجيج الآلات ، ودوِيّ المصانع ،ودخان المعامل ، وزحام الناس ، لا يجد المرء لحظةً تصفو فيها نفسه، أو يحلّق خيالُه ، أو تشف روحه، ومع ذلك فإن هذه المادية لم تطغ على أدباء المهجر ، ولم تستطع أنْ تُغلق أرواحهم ونفوسهم بحجابها الكثيف ، فلم يتهالكوا على المادة ، ، يسرفوا في

طلبها ، وإنما كانت تظلهم السكنية ، ويغمرهم الرضى ، وتسعهم القناعة ، ولا تفارقهم روحانية الشرق العظيم» (٦).

لهذه الأسباب وغيرها ارتبط الشاعر المهجري الجنوبي بالابتهال والدعاء ، وحرص على أن يربط ابتهالاته بقضايا مصيرية تخصه هو ، أو وطنه ، أو أمته ، أو الشرق العربي بصفة عامة ، ويفهم من هذا أن الشاعر المهجري لم يفرد لهذا المظهر الإيماني قصائد أو مقطوعات خاصة ،إنما لاحظنا أن ابتهالاته أو أدعيته عادة ما تبث في تضاعيف قصيدة مفردة لعرض هموم وأوجاع وقضايا أخرى ،أما عند شاعرنا القروي فنحن أمام استثناء ، أعني أنك تراه يفرد لأدعيته وبثه قصائد ومقطوعات خاصة –كقصيدتيه (صلاة) و(ابتهال)، وأحياناً يشارك غيره من الشعراء في بثه ودعائه الممزوج بالقضايا الأخرى المشار إليها عمّا قليل : اقرأ معي قصيدته (صلاة) (٧)–من بحر الخفيف – حيث يستهلها بطلب العون من الله على الحياة، طامعاً في رضاه وعفوه، مبديًا ندمه على ما فرط في حق نفسه، منيبًا دمعه وبكاءه كيما يترجمان حاله اليائسة ، استمع إليه يقول :

سـيدي كـن علـى الحيـاة معينًـا تائبًـا ذاق مـن رضـاك معينـا
كـم صـرفت السـنين والقلـبُ لاه عنـكَ يـا ربِّ كـم صـرفت السـنينا
غيـر أنـي وأنـت تعلـم أنـي لـم أكـن مـن رضـاك أيـأس حينـا
ولكـم جئـتُ نادمًـا أطلـب العفـو وأذري دمـع العيـون سـخينا
تـارة فـي الخـلاء أجثـو وطـوراً تحـت سـتر الظـلام أبكـي حزينًـا

وفي كل صباح ، ومع شدو الطيور والعصافير ، كان لسانه لا يفتأ يسبح بحمده حتى كاد يستفز تسبيحه الغصونا ، ويطلب العفو والعطف والمنة من الرحمن ، منهيًا قصيدته بإبداء رغبته وأمنيته في أن يتقبل الله منه ، ويجعله من الأبرار ، يقول:

كلمـا الصـبحُ لاحَ أحسـبُ أنِّـي منـه آنسْـتُ وجهـكَ الـميمونا
فـأغنِّي مـع العصـافير حمـدًا كـاد للحمـدِ يسـتفزُّ الغُصـونا
ثم نادى داعي الذنوب فلبيتُ وليـلُ الـذنوبِ يُعمـي العيونـا
فتعطّـفْ علـيَّ ربَّـاه وارأفْ بـأثيم يرجـوكَ ربًـا حنونـا
وأنلنـي من فيض نُعْمَاك روحاً يكُ فـي التجربات حصناً حصينا

كم تمنيْتُ أن أكون من الأبرار فاسمح يا سيِّدي أن أكونا

وتظهر قصيدته «ابتهال»[٨] ما يتمتع به من نظرات إسلامية صادقة ومخلصة، ويبدو أنها كانت من بين القصائد المنظومة بعد دخوله في الإسلام ، ونلمس فيها تكثيفاً للأدعية والابتهالات التي تكشف عن طمعه في عفو ربه، وتمنيه أن يلقى رسول الله –ﷺ–في عالم السنا، ويرافقه في جنة الخلد ، وأن يتفضل المولى عليه فيجعله من أهل التقى والصفاء ، تراه يستهل القصيدة بتسبيح الواحد القهار ، مثله في ذلك مثل سائر كائنات الكون ، ثم يقتبس ما شاء له الاقتباس من سورة « غافر» فيقول (من السريع):

سبحانك اللهم سبحانك اللهمّ يا ربّ اللُّها والنّهى
عمَّ لك التسبيح يا ربنا فكلُّ ما في الكون طيرٌ شدا
يا قابل التوب ويا غافر الذنبِ ومُؤْتِي عبدِه ما اشتهى
من جنة الخُلد التي أزْلفَتْ لكلِّ مَنْ عمَّا نهيْتَ انتهي
ولم يخالفْ لكَ أمراً ولا نال امرأ في الأرض منه أذى
ربَّاه رضوانكَ أرجو وأنْ أكون من أهل التُّقَى والنَّقَا
مَن لي بأنْ تسري بي حيثُ لم يبلغه إلا عبدُك المصطفى
في وامضٍ أجري من النور لا بُعْدَ به بين الثرى والسَّما
بينا أنا في سُرَّة المُبْتَدا إذا أنا في سدرة المنتهى
أسألُ نفسي كيف صِرْنا هُنَا أهذه الخُلْدُ؟ أهذا أنا؟
لم يظلم الرحمن نَفْسا وَلَا كلَّفها أكثر من وسْعها
يثيبهُا أضعافَ إحسانها ما ضاع سعيٌ عند ربي سُدى

وتأتي قصيدته (ربي أعوذ)[٩] ليعلن فيها استعاذته من الغطرسة، والرياء ، والمكر ، ووساوس السوء ، كما يطلب عفو ربه ، ويطمع في رضاه ، مقدِّماً رضاه على رضا جميع المخلوقين ، ثم تنثال علينا الأدعية والابتهالات الكاشفة عن أمنيات الشاعر وأمله في أن يستجيب الخالق ويجود بالتحقيق ، –يقول – من الكامل:

ربي أعوذ بعفوك المأمولِ من مكرٍ ومن زهوٍ ومن وسواسٍ

ما لي إليك سوى الرجاء وسيلةٌ فمآثمي تُرْبَى على أنفاسي
هؤلاء إخواني الأُلى من رأيهم رأيي ، ومن إحساسهم إحساس
عشقوا الحمى متنزّهين عَن الْـهَوَى وسخافةِ الأديان والأجناسِ
قد أجزلوا أجري فضاعفْ أجرهم فقياسُ جودك فوق كلِّ قياس
ربي أنلني من ثنائك لفظةً أمحو بها خجلي وأرفع رأسي
ماذا يفيد غناي من مدح الورى وأنا أمام رضاك في إفلاس
يا عارفاً سر القلوب وكاشفاً عُرْيَ النفوسِ وراءَ ألفِ لباس
فَرِّح أبي بين الملائكِ بي كما فَرَّحْتَ أمي بي أمام الناسِ
أنْضِج عناقيدي ، وَرَوِّق خمرتي وامسح بمنديل الطهارة كاسي

..... القصيدة.

، وأن يعيده سالماً غانماً إلى دياره ، وأن يحسن خاتمته ، تعويضاً له عن سوء فاتحته وأيامه الأولى في الغربة والمنفى ، يقول من المتقارب:

وينهي قصيدته (تحية مغترب)[١٠] بالابتهال إلى الله ، ودعائه أن يحنو عليه في غربته ووحدته

سلامٌ إلى حيث غادرتُ روحي بلبنانَ سابحةً هائمهْ

.....

إلى أخوة كفراخ القَطَا وأمٍّ على أمرهم قائمه

.....

فيا ربِّ رفقاً بتلك الفراخ وَأبْقِ لهم أمَّهُمْ سالمه

.....

حنانيك ربي ، حنانيك ربي لقد قصمت ظهريَ القاصمه
بعيدُ المزار ، غريبُ الديار وحيدٌ وَهَا أنا في عاصمه
أيا ربِّ فاتحتي ما ترى فهل لكَ أن تحسن الخاتمة

وقد لاحظنا هنا أن الابتهال أو الدعاء جاء بسببه ، وهو الحنين والشوق إلى الأهل والأحبة متداخلاً مع مضمون آخر رئيس أنشئت القصيدة في بيروت ، الأمر الذي يدعم ما سقناه سابقاً من

أن عملية البث والابتهال قد تأتي في قصائد مفردة ، وقد تأتي مرتبطة بغرض آخر ينبئ بألمٍ ما ، ثم يكـون الطمـع فـي الخـلاص عبـر هـذا الابتهـال المنحنـي علـى الرغبـة والأمنيـة فـي تغييـر وجـه الحياة إلى الأروع والأجمل .

ولا ملجأ من الهموم إلا إلى ربه ، ولا ملاذ إلا إليه ، فهو وحده أهل لانتشال الإنسان من بحار همومه المتلاطمة ، ومن هوان غربته وفقره ، وهو الملجأ ، والملاذ ، ومفرج الكبوات والهموم ، حينما تدلهم الخطوب ، وتتلاعب الرياح الهوج بسفينة الحياة الإنسانية ،يقول – من الكامل– [١١]:

يـــا رب إنـــك صـــاحبُ الأمـــر ... وأنـــا إليـــك موكِّـــلٌ أمـــري
مـنْ لـي سـواك إذا الهمـوم طمـتْ ... وتلاعبـــت بســـفينة العُمـــر
مُرْهَـــا تُطِعـــكَ فطالمـــا ســـكنتْ ... طوعًـــا لأمـــركَ لُـــجَّةُ البحـــر
أَكَـــذَا أظـــلُّ الـــدهر مُرْتطمـــاً ... أَنْجَـــرُّ مـــن صـــخْرٍ إلـــى صـــخرِ
خمـــسٌ مَضـــتْ واليـــوم سادســـةُ ... مـــن غُربتـــي فـــي إثرهـــا تجـــري
لـــم ألْـــق فـــي أثنائهـــا ســـنةً ... إلا وأهْـــوَنُ مـــا بهـــا فقْـــري
شـكراً علـى مـا سَّـرني، وعلـى ... مـا سـاءني شـكراً علـى شـكرِ
مـــا لـــي جميـــلٌ أرتجـــي مَعْـــه ... أجـــراً ولا عفـــواً ســـوى صـــبري

ومن الهم الوجداني المرتبط بالابتهال والدعاء وتمجيد الخـالق ، إلـى الهـم الـوطني المصـحوب بالدعاء المرفوع إلى الحق تبارك وتعالى أن يعين وطنـه لبنـان علـى اسـترداد حريتـه وكرامتـه ، وأن يثير نيران الحماسة والحمية في نفوس أبنائه ، حتى يهبُّوا نافضين غبار السلبية والخنوع ، آخذين في مناهضة المستعمر ومقاومة الأعداء ، تراه يقول في مقطعة عنوانها (شبول الأرز)[١٢]– من الوافر–:

إلهـــي رُدَّ مالَـــكَ مـــن أيـــادٍ ... علـــى وطنـــي وَرُدَّ لـــه الإيـــادا
خلعـتَ علـى رُبـاهُ الحسـنَ فـذَّا ... وألبسْـتَ القطـين بـه الحِـدادا
ومـــا شـــرفُ الجبـــال لســـاكنيها ... وَشُـــمُّ إبـــائهم خُسِـــفتْ وهَـــادا
أهيـبُ بهـم فَـلَا أَلْقـي سـميعاً ... كـــأنَّنِيَ المُـــنادِي والمُـــنادَى
أَلَا ذَوَّقـــتَهُم ألمـــي فثـــا روا ... فيـــا ربَّـــاه لســـتُ أنـــا الـــبلادَا

شـــبولَ الأرز بـــاتَ الحِلْـــمُ عجـــزا وبعـــض الصـــبر مـــوتٌ إنْ تمـــادَى

فكونـوا النـار تحـرق أوْ قَـذًى فـي عُيـــونِ البُطْـــلِ إن كنـــتم رمـــادَا

وحينمـا يتأمـل مفـردات الوجـود مـن حولـه ، وينعم النظر ويكرره في الأحوال النفسية والمشاهد الطبيعيـة والكونيـة ، يـدرك عظمـة الخـالق ، ويـراه الأحـق بعبـادة النـاس وسـائر المخلوقـات ، وأنـه وحده المتفرد بالجلال والكمال ، والمنزه عن كل نقص ، وكل شـيء لديـه رهين الكـاف والنـون ، وكل الأمور تجري بقدره وقدرته ، يقول القروي من قصـيدة تأمليـة عنوانهـا : (فـي ذرة التُّرب)[١٣] – من البسيط–:

عـلَّ الوجـودَ هـو الله الـذي اتجهـت هـــذى النفـــوسُ إليـــه بالعبـــادات

لـــه العـــوالمُ أعضـــاءٌ مـــرتِّدةٌ فيهـــا الحيـــاةُ علـــى بُعـــد المســـافات

ومـــا الأثيـــرُ ومـــا الأجـــرامُ ســـابحةً فيـــه ســـوى الـــدم يغلـــي بالكُريَّـــات

مـــا كـــان قـــطُّ عـــن الأشـــياء منفـــرداً بـــلْ هـــن فيـــه لُصـــوقَ الـــذاتِ بالـــذات

تعاشَـقَ الُكـلُّ مـنأعلـى الشـموس إلـى أدنـــى الرمـــال إلـــى أَخْفَـــى الـــذُّرَيْرَاتِ

ســـبحانه وتعـــالى أنْ يصـــاحبه نقـــصٌ ، ويُعنـــى بنفـــيٍ أو بإثبـــات

لـو قـال «كُـنْ» كـان للتكميـل مفتقراً وكـان فـي حاجـة الماضـي إلـى الآتـي

تجـري المقـاديرُ فيضـاً مـن طبيعتـه يصـــدُرن عنـــه مُويجـــاتٍ مُوَيجَـــات

ويدعو ربه أن يغفر له زلاته الفكرية أو الفلسفية التي استقطبتها محاولته ترويض ذهنه وعقله ، وأن يعد تردده بين الشك واليقين ، أو خطأه في تحليل بعض الأمور الكونية والمسائل العقلية ، من باب الحماقات التي يطمح مقترفها أن يغفرها له ربُّه ، وأن يملأ ضفاف جوانحه بفيض من إشراقاته الروحية التي تجنبه خطل الرأي ، وزلل الفكر ، يقول مختتماً قصيدته:

ربَّـــاه أشـــرق لـــروحٍ منـــك منبثـــقٍ أمَـا أَنـا فِيـكَ مـن بعـضِ الخليَّـاتِ؟

حاولـتُ تـرويض عقلـي فانـدفعت بـه فـــي مَـــدْحَضٍ زَلَـــقٍ بالعبقريـــاتِ

فَخُـــذْ بِكَفِّـــي ، ولا تغْضـــبكَ فلســـفتي وعُـدَّهَا لـيَ مـن بعـض الحماقـات

وكـان مـن بـين صـور تمجيـد القـروي الخـالق وتعظيمـه تأكيـده علـى اختصاصـه سبحانه وتعـالى بعلـم الغيـب ، ومـا تحـوي النفـوس الإنسـانية مـن أسرار وخفايا (فهو يعلم السر وأخفى) ، أو ما

تمـوج بـه بعـض القلـوب مـن زيـغ وضـلال ، أو انحراف فكري أو شرود سلوكي ، نلمس هذا في

لا! لستِ يـا نفسـي كمـا وصـفُوكِ فلقـــد عرفْتُـــك قبلمـــا عرفـــوك
مـــا أنـــتِ فـــي عينـــيَّ إلا قَزمـــةٌ ولـــو انهـــم فـــوق السُّـــهى رفعـــوك
لمسـوا الحريـر فبـاركُوك وَلـوْ درَواْ ذات الصـدور مـع العـدى لعنُـوك
الله أعلـــمُ بالـــذي أخفيتُـــه تحـت البراقـع مـن قبـيح سـلوكي
وجنـوحِ قلبـي فـي بحـار غـوايتي وضـلال عقلـي فـي ضـباب شـكوكي

..... المقطعة.

وكـان القسـم بـالله ، أو الحلـف بـه ، إحـدى صـور تمجيـد الخـالق وتعظيمـه ، نـرى شـاعرنا يقسـم – وهو يشارك في هذه الصورة جُلَّ شعراء المهجر الجنـوبي – بـالله للبنـانيين أبنـاء وطنـه ، منتقـداً

والله مـــا ذاق الـــذي قـــد ذُقتَـــه مـــن جـــور أُمِّـــك أحْقَـــرُ العبـــدان

****

فلقـــد كفـــى ســـخريّة وإهانـــةً ولقـد كفـى ضـحكاً علـى الأذقـان

وتدفعـه منغصـات الغربـة ، ووجـع البعـاد عـن الأوطـان والأهـل والصـحاب إلـى القسـم مندهشـاً على صبره على زمنه الذي فاق صبر النبي أيوب ، بل إن أيوب نفسه لو عاني مثل ما عانى من

أودِّع الـنحسَ فـي توديـع (مريانـا) لا كـان عـامٌ بـدار الشـؤم لا كانـا
عجبـتُ والله مـن صـبري علـى زمـنِ لـو عـاش أيـوبُ فيـه مـات يأسَـانَا
تزْتَـدُّ عنِّـي البلايـا وهْـي قاتلـةٌ والله مـا ذلـك الإنسـان إنسـانا

...المقطعة.

مقطعتـه (جَلْوةُ القلـب)[١٤] التـي يقـول فيهـا – مـن الكامل–:

خنـوعهم وانكسـارهم أمـام الاسـتعمار الفرنسـي ، ومصـححاً لهـم أن فرنسـا ليسـت هـي الأم الحانيـة العطوف ، إنما هي ماكرة مخاتلة وظالمة ، يقول فـي قصـيدته (الاسـتقلال حقٌ لا هبـة)[١٥] – مـن الكامـــــــــــــــــــــــــــــــــل– :

وكـان التسـبيح و التحميـد مـن صـور تعظـيم الخالق وتمجيده ، ولقد مرت بنا بعض النماذج ،

دهره لعيل صبره ، ومات من شدة اليأس والتململ ، يقول مبالغاً فـي مقطعتـه – (مريانـا)[١٦] – مـــــــــــــــن البســـــــــــــــيط:

ولا بأس أن نضع بين يدي المتلقي هذا النموذج الذي راح فيه شاعرنا يحمد الله أن وضعت التبرعات المالية والنقدية في نصابها الصحيح ، الرامي إلى خدمة الأجيال القادمة ، كهذا المشروع

نحمد الله بعد بذل الغِنَى في ... خدمة الذلِّ قد خدمْنا الإباء

وظفرنا من الحياة بنصف ... فلنوكِّلْ بالآخر الأبناء

وتلوح لعينيه هضاب الأردن في لبنان على نحو من الجمال والروعة والسموق ، فتكاد تتكر عيناه ما يرى ، آنئذٍ يستغرق مطرقاً في سكون طرْف ، يتأمل وينعم النظر في مفردات الوجود شاهقة القمم حتى تكاد تلامس النجوم ، تنساب تحت سفوحها جداول مرقرقة تخيل لك صفاء البلُّور ، وتبدو تعاريج انسيابيتها البراقة أراقم لامعات ، وقد عملت الضحى على تكثيف بريقها

أهضاب أردنٍ ترى عيناي أمْ ... وعد النبي محمدٍ للمسلم؟

أَعْجِبْ بهن حقائقاً ملموسةً ... يسمو إليْهن الخيالُ بِسُلَّم

سبحان مُنزِلهنَّ من جنَّاته ... قِطعاً معلقةً وراء الأنْجُم

لما استويْن على الرُّبى حيْرَنَني ... للعين أم للأنف هُنَّ أم الفَم؟

وجداول البلُّور بين مُقَهْقهٍ ... مُتَرنِّحٍ أو غامزٍ مُتَبسِّمِ

مُتلمعاتٌ كالأراقم في الضحى ... وبهن ترياقٌ لِسُمِّ الأرْقم

والصحْبُ بين معربدين تهدجتْ ... أصواتُهم ، ومهوِّمين وَنُوَّم

..... القصيدة.

وقبل أن أودع هذا المحور أودُّ الإشارة إلى أن تناول القروي عملية الابتهال وتعظيم الخالق وتمجيده ودعائه والتمني عليه بعض الأماني ، لم يكن من منظور صوفي يحدثنا مثلاً عن وحدة الوجود أو الحج النظري ، أو الحلول والاتحاد ، أوالحلول الشعري في الطبيعة ، والتناسخ وما شاكل ذلك ، إنما كان تناولا عادياً صادراً عن الخيري مشروع إنشاء مستشفى سوري في البرازيل ، يقول القروي في قصيدة عنوانها (مدنف في مستشفى) [١٧]–من الخفيف:

وتوهجها ، حتى خيلت منظراً بديعاً يروق الناظرين ، فيأخذون في ترجمة اندهاشاتهم ، كلٌّ على طريقته الخاصة ، إما بالعربدة والصخب ، وإما بالهمس والأصوات المتهدجة ، وإما بالنوم وغلق الجفون على هذي المشاهد الآسرة ، وأمام هذه اللوحة البديعة لا يملك إلا تسبيح الخالق ، شاكراً أنعمه وعظمة كونه ، يقول في قصيدته (هضاب الأردن)[١٨]– من الكامل .

شاعر مسلم يثق في عدالة الرحمة، ورحمة العدالة ، ولطف الله بخلقه ، وإنعامه على كونه وملكوته ، حتى استوجب الثناء والحمد ، لا من الشاعر فقط ، بل من كل العباد والكائنات ، وصدق الحق حين يقول –تعالى :﴿ **وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ**﴾ .

أيضاً أود الإشارة إلى أن تعامل القروي– وقد كان مسيحياً فترة من الزمن – مع الذات العلية لم يكن من منظور العقيدة المسيحية ، أعني أن تناوله للذات العلية خلا من وجود الصور الذهنية الثلاث للإله (الآب – الأبن– الروح القدس)، بل خلا من أقانيم تمثل مرجعيات محورية في العقيدة المسيحية ، فهو لم يحدثنا عن (الفداء)و (الصلب) و(قيامة المسيح بعد موته) ..الخ ، مما يؤكد تغلغل العقيدة والقيم الإسلامية في أغوار شاعرنا .

نقطة أخيرة هي أننا لم نعثر – عند حديث القروي عن الذات العلية – على تجاوزات لفظية تعبيرية أو تصويرية لا تليق بمقام الذات العلية، مما يؤكد أننا أمام شاعر يمتاح من فطرته الإنسانية الصافية ، وأن ما يقوله هو تعبير صادق وأمين عما يعتقده ويستقر في ضميره ومكنوناته.

ب – تعظيم القرآن الكريم والإشادة به :

غير خاف أن القرآن الكريم هو كلام الله الخالد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وأنه محور الارتكاز الأساسي في العقيدة الإسلامية بعد توحيد الله تعالى والإقرار له بالربوبية ، وهو المصدر الأول في التشريع الإسلامي ، وهو الداعي إلي التفكر والتأمل في الملكوت ، وهو الكنز الثمين الصالح لكل زمان ومكان ، ومنه تستمد الأحكام والضوابط الشرعية اللازمة لقيام الأمم وبناء نهضتها ، الأمر الذي جعل القرآن الكريم "يسمو بالدين من عقائد الكهانة والوساطة وألغاز المحاريب إلى عقائد الرشد والهداية" لكل الإنسانية[١٩].

ولأن الحق تبارك وتعالى قد اختص كتابه بميزات كثيرة أهمها جمال المعنى وعظمته ، ورشاقة المبنى وأناقته ، وصدق التصوير ، وعمق الفكرة ، وكونه مخزن الأسرار الربانية ، وخزائن العلوم الاصطفائية ... وما إلى ذلك مما أغرى المفكرين والدارسين والأدباء بالاسترفاد من معينه الثرّ ، وكنوزه الربانية ، لاسيما حينما يحزبهم أمر، أو يلمّ بهم خطب ، أو يعرضون لقضايا إصلاحية نهضوية.

وكان القروي في طليعة هؤلاء المبدعين الذين عظموا القرآن الكريم، وأكبروا شأنه ، وأعلوه في مهجهم وأرواحهم ؛ لإيمانهم أنه يمثل أعظم الروافد الإسلامية التي ينبغي أن يستمدوا منها

رؤاهم ، ويوشحوا بها إبداعاتهم ، لتحقيق مقولة أن التأثير جاء أولاً من باب روعة البيان وعظمة النسق القرآني، ثم الإعجاز في الصور والمفردات، وما تنحني عليه المشاهد والآيات من قيم ومبادئ وتشريعات .

لقد راح القروي في قصيدته (على أثر الثورة الليبية)[٢٠] يخاطب الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود ، شاكياً إليه كسل الهمم ، وتراخي الأبناء عن إكمال مسيرة المجد التي أرسى الأجداد دعائمها ، وراحوا يتدثرون قانعين بالأحلام والأماني ، بعيداً عن تحقيق الفعل ، أو مزاولة الأعمال التي تضمن لهم إحراز الأمجاد السامقة ، وتحقيق الابتكارات والمنجزات الصناعية التي تناسب العصر من جهة ، ويتم معها وبها ملاحقة الغرب ومنافسته من جهة أخرى ، هذا ما جاء به القرآن ، وما اشتملت عليه الآيات والسور ، دعوة للعمل وإعمار الكون ، ونبذ الفتور والوهن والتراخي ، يقول :–من الرمل–:

عاهلَ البطحاءِ خذها نفحةً ... ضَمَّخَت بالنَفَسِ الحُرّ البريدا
من رُبى صنوبل يُزْجيها أخٌ ... عربيٌ كمْ وكمْ غَنىَّ قصيدا
يا طويل العمر نحن اليوم في ... عصر علم ينكرُ الجرْيَ الوئيدا
نَفَضَ الغربُ جناحي قشْعَم ... نَوَوِيٍّ جاوز النجمَ صُعودا
ولبثنا بالأَمَاني قُنَّعاً ... حسبنا أن نذكر المجد التليدا
قبل أن نُؤْتَى كتَاباً منْزَلاً ... أبدع الله لنا هذا الوجود
فقرأنا فيه آيات الهدى ... وذكرناه قياماً وقعودا
أيضيرُ الدينَ لوْ كنا على ... هامة الجوزاء لله سجودا؟

وكثيراً ما نجده يعزف على هذا الوتر ، أعنى ربط تمجيد القرآن الكريم وتعظيمه بالمجد الإسلامي والحضارة الإسلامية ، بل بالواقع الوطني أو السياسي المعاصر، اقرأ قصيدتيه (عودة الشاعر) و(الاستقلال حقٌ لا هبة) تلمس أثر ذلك على الفور ، تراه يقول في الأولى (من البسيط) :

أنا العروبةُ لي في كل مملكة ... إنجيلُ حبٍّ ، ولي قرآنُ وإنعام
سلْ عهد شامي وأندلسي ... عن عمق فلسفتي عن عدل أحكامي
ما اخضوضر الشرق إلا تحت ... وازهوهر الغربُ إلا تحت أعلامي

تمشـي البطولـةُ والسـحرُ الحـلال فـــالأرض ملعـــب آســـادٍ وآرام
نقشـــتُ فـــي الشـــمس طُغرائـــي مرسـومةً فـي جبـين البـدر أختـامي
مـا غيَّـرتْ نكبـاتُ الـدهر مـن وإن طـوتْ فـي ثنايـا التـرب آطـامي
حطَّمتُ أشـرسَ ضـارٍ فـي جزيرتـه مـا ابتـلَّ نعلـي ، ولا دنَّسـتُ أقـدامي
قُـل للأُولـى سـخروا بـي وازدروْا مـــن خـــائن وشُـــعوبيٍّ وَنَظَّـــامِ
وكـلِّ هَشَّـامِ أعـراضٍ لـه قلـمٌ وَغْـدٌ ولـيس لـه عِـرضٌ لهشَّـامِ
وشـامتٍ بـي مسـرور بحزنـي مستشـفٍ بـدائِي مُلْتـذٍّ بـآلامي
قولـوا لـه عربـا تَقَضَّـوْا عليـه فـان يســـلم فتئُـــوا بقـــرآنٍ وإســـلام

... القصيدة .

وفي قصيدته الثانية (الاستقلال حق لا هبة)[٢١]– من الكامل– لا يزال يدافع عن الحضارة العربية والثقافة الإسلامية المرتكزة على القرآن الكريم ، ويفرد مساحة لا بأس بها للحديث عن الفتوحات الإسلامية في الأندلس ، معرجاً على الغرب في حديثه ، منكراً عليه بعض الشبه والافتراءات ، وملفتا الأنظار إلى مدى تأسيس الحضارة الغربية أو الأوروبية على العلوم والمكونات الإسلامية ، تراه يقول:

إن ضـاع حقُّـك لـم يضـع حقَّـان لـكَ فـي نِجـاد السـيف حـقٌّ ثـان
هـلاَّ ذكـرت زمـان عـزٍّ لـم يـزلْ بالشـمس مـدفوعاً إلـى الأزمـان
متألقـــاً كشُـــعاعها قُـــدَّامها فيزيـدُها شـوقاً إلـى الـدوران
لمـا ركبـتَ البحـر تَهْمـزُ موجَـهُ همـزاً إلـى بحـر مـن الإسـبان
ففتحـتَ (أندلسًـا) بصـارم طـارق بـل قُـل بطارقـةٍ مـن الحـدَثَّان
هَبَّـتْ كعاصـفةٍ عليهـا وانجلـتْ عـن عـارضٍ مـن خيرهـا هَتّـانِ
فـالغربُ شـرقٌ مِـن بَهـيٍّ سـنائها والشـرقُ مـن إشـعاعها شـرقان
وجعلـتَ غابـاتِ الوحـوش حـدائقاً بـــالعلم زاهـــرة وبـــالعمران
فقطعـتَ حجـةَ كـل غِـرٍّ زاعـم أن العـلا برئـتْ مـن القـرآن
يـا غـرب قـد فُتحـت عليـك عيوننـا وجهلـتَ ذاك فأنـت فـي العميـان

..... القصيدة.

وتعج قصيدته (الناخلة) [٢٢] بالحديث عن الإسلام ، والعروبة ، وتصوير المشهد السياسي العصري ، ومدى ربط الحضارات والفتوحات والثقافات بالإسلام تارة وبالقرآن الكريم أخرى ، وكيف أن القرآن الكريم هو محور ارتكاز الدولة الإسلامية ، ونقتطع منها هذا المقطع الذي راح يصور فيه نقمةَ خصومه أو حقد بعض إخوانه عليه ، حينما كان يجهر في مواقف كثيرة بإعجابه بالإسلام وحضارته ، يقول – من الكامل –:

لـم يعْنِ هـذا الشـعبَ أنـى شـاعرٌ ... حـــرٌّ بِحُـــبِّ بـــلاده مُتَفـــانِ

بـل كـلُّ مـا يعنيـه هَـلْ أنـا مسـلمٌ ... لله ، أم أنـــا لـــم أزلْ نصـــراني ؟

مَـن لـي بِقـاضٍ عـادلٍ يُفْتـي بمـا ... تـــوحى إليـــه طهـــارةُ الوجـــدان

ثـــارا علـــىَّ وشـــهَّرا وتـــآمرا ... فوكلْـــتُ أمرَهمـــا إلـــى الرحمـــان

وحينما زار المملكة العربية السعودية ، والتقى المغفور لـه – بـإذن الله – الملـك خالـد بـن عبد العزيز آل سعود ، ألقى بين يديْه مقطعة شعرية عنوانهـا : (بـإذن الله) [٢٣] ،اسـتهلها بالمشـيئة ، وتصميمه على بناء دولة العلم التي تسمو على كل الدول الأخرى ، وربط بين الحضارة الإسلامية وتأسيها على القرآن ؛ وأنها الجديرة بمواجهة العصابات الصهيونية التي كثيراً ما خاضوا فيها وفي القرآن الكريم ، مع ثقته أخيراً بالنصر الأكيد المؤزَّر من السماء ، يقول: من الوافر .

بـــــإذن الله رب العالمينـــــا ... ورأي الخالـــد ابـــنِ الخالـــدينا

ســـنبني دولـــةً للعلـــم تســـمو ... علـــى دول الـــورى دنيـــا ودينـــا

تعـــم بهـــا حضـــارتُنا البرايـــا ... كمـــا فعـــل الجُـــدودُ الأولونـــا

وإن زاد الصـــــهاينةُ اغتـــــراراً ... وظنـــــوا أنهـــــم لا يُغْلبونـــــا

وخاضـــوا مثلمـــا خاضـــوا قـــديماً ... بِمُنْـــزَل ربنـــا مُســـتهْزئينا

يعـــذبهم وينصـــرنا علـــيهم ... ويشـــفِ صـــدور قـــومٍ مؤمنينـــا

والقرآن الكريم هو الدستور الخالد الأمثل ، الذي به تلتئم الصفوف ، وتتحقق الوحدة بين الأديان ، يقول كاشفاً عن نزوعه الإسلامي المستمد من القرآن الكريم:

فـلاح لعينـي فـي الدُّجُنَّـةِ مشـهدُ ... غريـبٌ تقـوم الـنفسُ منـه وتقعـدُ

وطـارتْ إلـى القـرآن منـه شـرارةٌ ... تلاقَـي بهـا موسـى وعيسـى وأحمـد

ومحَّصَــتِ النيــرانُ محكــمَ آيهــم كمــا مــن تــرابِ الأرض مُجِّــصَ

فلـم يبـق مـن أقـوالهم غيـرُ لفظـةٍ تَخــرُّ لمعناهــا القلــوبُ وتســجُدُ

أحاطــت بجــوِّ اللانهايــة فاغتــدي بقوســيْن مــن حــاءٍ وبــاءٍ يُحــدَّدُ

هــو الحــب حتــى لــيس فــي الأرض مجــرمٌ ولا مــدمعٌ يجــري عليهــا ولا دَمُ

.... القصيدة وهي من بحر الطويل[٢٤].

هذا وقد تبين لنا أن اهتمام القروي – وربما غيره من شعراء العصبة الأندلسية أو المهجر الجنوبي – كان منصباً على معالجة أثر القرآن الكريم من حيث القيم، والتعاليم ، والمبادئ ، والإشادة بالتشريع، وقداسة اللغة المستمدة أو المسترفدة من قداسة القرآن نفسه ، وربطه تأسيس الحضارة والفتوحات الإسلامية والثقافة العربية على القرآن الكريم ، وكذا الربط بين المشاهد العصرية (سياسية وطنية عروبية أو قومية) والمجد الإسلامي المؤسس على القرآن الكريم كذلك ... لكن جاء حديثه عن النسق القرآني الخالد ، والبيان المعجز المتحدِّي للعرب، والمنحنى على الكثير من القيم الجمالية والفنية التي تُرَفّد الطاقات الفكرية والتصويرية لدى الشعراء ...جاء مقتضباً ، وربما على استحياء، ولعله رأى أن ذلك من قبيل المسلمات أو البديهيات التي لا داعي لأن يبدئ القول فيها ويعيد ، أو ترك الجانب التطبيقي يشهد بتحقيق عملية الاسترفاد هذه ، أو أنه رأى حتمية التركيز على أن الأهم بالحديث هو الجوانب الروحية التي تعمل على استعادة توازنه النفسي ، وتطيح بما ألم به في مغتربه من منغصات القلق والتوتر وتميز النفسي غيظاً وما أشبه....ربما .

سـبحان الـذي خلـق البرايـا وحـار بفهمـه الفهـم الأدقُّ

إذا قـاد اليقـينُ إلـى طريـق بـدتْ مـن دونـه للشـكِّ طـرق[٢٥]

جـ -عالم الغيب ومسائله :

ونقصد بذلك موقف القروي التأملي الممتد مع الحياة والأحياء ، إلى ما بعد الموت ، من حياة برزخية ، إلى بعث ونشور ، ودار آخرة ، ووقوف للمساءلة بين يدي الخالق – عز وجل – وما إلى ذلك، مما هو داخل في إطار الغيبيات ، فضلاً عن الخوض في مسائل الخلق ، والإيمان بوجود الله –تعالى– ، والقضاء والقدر ، وسائر الأسرار التي تلف الوجود ، وتدفع المرء– سيما المفكر ، والمبدع – إلى الوقوف حيالها، والتعامل معها بحذر شديد . وموقف شاعرنا تجاه هذي الأمور لا يختلف عن موقف الشاعر المهجري خاصة ، والشعراء العرب الملتزمين عقديًا على نحو عام، فهذا نصر سمعان – على سبيل المثال – يتأمل مسألة الخلق ، ويعرض للخالق الأعظم ، مدبر الكون وخالقه ومصرف شئونه عاجزاً وحائراً عن استيعاب وفهم هذا الصنع البديع على نحو دقيق تراه يقول :

ويأتي الشاعر ميشيل مغربي فيتناول الوجود وعوالمه ومفرداته وأسراره ، فيقول:

يـا كنـاري إنـا وجـدنا لنهـوى ... لا لنـدري أسـرار السـبع الطبـاق

لا يريـد الخـلّاقُ أن يعـرف المخـ ... ـلوقُ، مـا عنـده مـن الأرْزاق

حسـبنا فـي الوجـود أنـا وُجِـدْنا ... ووسـعنا الوجـود بالأحـداق[٢٦]

وفكـرة الغيبيـات ، والجهـل بالمسـتقبل ، واختصاص الحق تبارك وتعالى نفسه بعلم الغيب والسـاعة وأشـراطها ، ومـدى ارتبـاط ذلـك كلـه بالقضاء والقدر ، مسألة يلزم التسليم المطلق بها ، وعـدم الخـوض فيهـا ، ومصـادرة فكـرة التنبـؤ بالمستقبل ، وعّد ذلك ضرباً من الجهالة والدجل والتزييف ، بل الضلال وتلبيس الحق بالباطل ، تناول الكثير من الشعراء المهجريين هذه القضية من أمثال زكي قنصل ، حليم دموسى ، إلياس فرحات ، وجورج كعدي ، فضلاً عن القروي ، لكن شاعرنا تناولها على نحو يكشف عمق صدقه وتأمله ، بل أحياناً كنا نلمس تأثره بالمنطلقات الإسلامية الواضحة في مثل قوله تعالى :﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ [سورة الجن آية ٢٦]، وقوله تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُون﴾[البقرة الآية ٢١٦]، يقول القروي في قصيدته (نبي) – من الطويل[٢٧]–:

لـك الله تطـوى شاسـع البيـد عاقـدًا ... علـى الـزَّنج مـا عيَّـت بـه البـيضُ (حمـدان)

ومـن رام أمـراً خُـطَّ فـي الغيـب غيـرهُ ... تعجـب مـن عصـيانه وهـو إذعـانُ

وكـم رغـب الإنسـان فيمـا يضـرُّه ... ونـاح علـى فقدانـه وهـو وِجـدان

ولـوْ هانـت الـدنيا علـى كـل طالـبٍ ... لمـا شـاقنا ربـحُ ، ولا شـقَّ خُسـرانُ

ولـو حُـزر الممنـوع قبـل امتناعـه ... علـى الجهـد، لـم يسـتوجب العـذل كسـلانُ

ولـو أعلـن التـدبيرَ مَـنْ وَزَّع الُّلهـى ... علـى النـاس لـم يعتـب علـى الحـظِّ إنسـانُ

وفـي المـلأ الأعلـى غنـاءٌ لشـاعر ... وفـي الـوهم عـن مُـرِّ الحقـائق سـلوانُ

وتـأتي (نفخـة الصـور) فـي شـعر القـروي ، تمهيداً للوقوف بين يدي الرحمن للمساءلة ثم العقاب أو الجزاء ، فنحن حين نقرأ قصيدته (كم تعبيراً عن رؤيا استغراقية تأملية لما بعد الحياة البرزخيـة ، يـذكرها شـاعرنا علـى أنهـا حـدث يستقطب حدثاً آخر ، أعني حدث البعث والنشور للرثاء) –من الكامل[٢٨] – التي أنشدها في حفل تأبين خليل مردم بك رئيس المجمع العلمي العربي

مساء العاشر من مارس آذار ١٩٦٠م – نجده يقرر هذا مع اتكائه في عرضه على قول الرسول

يـــا راثـــي الأحيـــاء حســـبك ضـــلّةً ... مـــا كنـــتَ إلا واهمـــاً مغـــروراً
ترثـــــي الـــــذي ورث النبـــــي محمداً ... أوَ مَـــا ســـمعت حديثـــه المـــأثورا
ترثـــي خليـــل الله وهـــو مخلَّـــدٌ ... مـــا كنـــت يـــا قـــرويُّ تشـــهد زورا!
ترثـــي؟ وَمَـــنْ تَرْثـــي؟ أبعـــد قيامـــة ... الأمـــوات تحفـــر للحيـــاة قبـــورا؟
أَوَ مـــا ســـمعت الصـــور يُـــنفخ باعثـــاً ... مـــن فـــي اللحـــود ؟ أمـــا ســـمعت الصـــورا؟
أوَ مـــا رأيـــت العُـــربَ مـــن ســـكراتهم ... هَبُّـــوا إناثـــاً للعُـــلا وذكـــورا؟
لا مـــوتَ بعـــد اليـــوم إلا للأُلـــى ... مـــلأوا الـــبلاد مظالمـــاً وفجـــوراً

ثم يذكر الدار الآخرة ، ويوم القيامة ، والمواقف المشهودة آنئذ ، وموقف الحساب خاصة، وما يكتنفه من هول وفزع ، وانصراف إلى جنة أو نار ، يكون نتيجة طبيعية لما قدم الإنسان في حياته الأولى من أعمال تستقطب الجزاء والثواب ، وتستأهل العقاب لقاء ما اقترف من منكرات وآثام ، الأمر الذي راح فيه القروي يدعو إلى الإكثار من عمل الصالحات خاصة ، والاستعداد ليوم يحاسب فيه المرء على ما قدم ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر، ويبدو أنه بذلك يرد على منكري مسألة ما بعد البرزخ ، والنفخ في الصور ، حيث البعث والنشور ، والمساءلة والحساب ، ثم العقاب والجزاء ، معتمداً في ذلك على بعض مأثور الإمام علي بن أبي طالب – كرم الله وجهه – وهو : « .... اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل» يقول القروي في قصيدته : (أوحشتنا قبل الأوان) التي نظمها عند احتضار الشاعر الرقيق يوسف إبراهيم اليازجي في البرازيل سنة١٩٢٣م وهي من الكامل:(٢٩)

يـــا يـــازجيُّ ! وحســـب ذكـــرك نســـبةٌ ... لأجَـــلِّ مســـبوقٍ بيـــاء نـــداء
فقـــدتْ بـــك الشـــعراء ألطـــفَ زهـــرة ... فوّاحـــةٍ يـــا ألطـــف الشـــعراء
يـــا خاســـر الأمـــوال حســـبك حســـرةً ... أَو مـــا رأيـــتَ خســـارة الأدبـــاء
تبنـــي القصـــور وقصـــرُ عمـــرك فاقـــدٌ ... حجـــراً لكـــل غـــروب شـــمس مســـاءِ

فاعمـــل ليـــومٍ لا رجـــوع بـــه إلـــى عمـــلٍ، ولا عمـــلٌ بغيـــر جـــزاء
آمنـــت بـــالأخرى فلـــيس وجودُنـــا عبثـــاً ولـــيس مصـــيرنا لفنـــاء
ضـــلَّ الـــذي حســـب الشـــتاء نهايـــةً إنَّ الربيـــــع موكّـــــلٌ بشـــــتاء
عجبـــاً يجـــلُّ عـــن الهبـــاء حـــذاءَه[٣٠] ويقـــول : لـــيس الكـــونُ غيـــرَ هَبـــاءِ

ووجدنا القروي يتناول دار القرار (الجنة أو النار) ، في إيمائة إلى إيمانه بوجودها ، إيماناً ينطلق من ثوابت العقيدة الإسلامية ، لذا وجدناه يكثر من ذكرها، لا سيما في القصائد التي يؤبن أو يرثي أحد الشخوص القريبة إليه نسباً ، أو روحاً وأدبا ، تراه يرثي أمه في رباعية له من الرمل فيقول[٣١]:

لـــم تمـــت أمـــس فســـلوى بقيـــتْ نســـخة عـــن أصـــلها لـــم تفـــرُق
ضـــــمنت رحمتهـــــا عـــــافيتي وشـــفت روحـــي بالحـــب النقـــي
كلمـــــا جـــــنَّ وريـــــدي ســـــكبتْ دمعَهَـــا القـــاني دمـــاً فـــي عنقـــي
ربِّ لـــــــي أمنيـــــــةٌ واحـــــــدةٌ أننـــــا عنـــــدك يومًـــــا نلتقـــــى

د - الاحتفاء بالمناسبة الإسلامية :

أهم ملامح أو مكونات الشخصية المهجرية – المبدعة خاصة – التوثُّب فوق العنصرية والشوفونية ، والدعوة إلى الحب الإنساني العام ، والتسامح الذي لا يعرف أو يقر حدوداً فاصلة بين الأوطان والبلاد والأجناس ..... هذه المكونات كان لها صداها البعيد ، والعميق في أشعارهم التي اتجهوا بها نحو الإنسانية أو نحو إخوانهم المسلمين مشاركين لهم في احتفالاتهم بأعيادهم ومناسباتهم الدينية والاجتماعية المنوعة كالأعياد ، والموالد ، وافتتاح بعض الجمعيات الخيرية في المهجر ، والحج ، ورمضان ، والهجرة ، وما إلى ذلك ، مع استثمار هذه المناسبات الدينية لبعضهم بعض الشواهد سابقاً.

للانطلاق من أسر الحدث المحدود إلى معالجة ما هو أرحب من قضايا مصيرية تهم المسلمين والنصارى على السواء ، كقضية الدعوة إلى الوحدة العربية ، ومؤازرة قضاياها اليائسة والشائكة، لا سيما في ظل الضعف الذي خلفه غياب الخلافة الإسلامية آنئذ ، وقبل أن أضع بين يدي المتلقي بعضاً من الشواهد ، أود ذكر بعض النصوص الداعمة لما نقول عن ملامح ومكونات ومنطلقات الشخصية المهجرية الشاعرة ، يقول الدكتور عبد الحكيم بلبع: « المهجريون أصحاب دعوة حب إنسانية عامة، تقوم على نبذ الكراهية والأنانية والانحصار داخل جنس أو وطن يقيم حدوداً فاصلة بين الإنسان والإنسان ، والشعراء أحد المحاور الأساسية لهذه الدعوة ...» (٣٢).

كما يؤكد الدكتور حلمي القاعود ، والدكتور صابر عبد الدايم فكرة مشاركة شعراء المهجر الجنوبي في الأعياد الإسلامية والاحتفالات التي يقيمها المسلمون ، ويحضرها النصارى « بدافع ديني وشعور وطني» ، وما ذلك إلا لاستثمار الحدث وتوجيهه وجهة وطنية أو إنسانية أو دينية(٣٣)، فضلاً عن قيام بعض الشعراء المسلمين برد ذلك في مناسبات مماثلة عند النصارى ، وعلى أية حال فقد كان شاعرنا القروي في طليعة الشعراء المهجرين الذين شاركوا بإبداعهم في مؤازرة المسلمين وتمجيد مناسباتهم ، مع استثمارها لإنضاج الشعور الوطني والقومي حتى يتمكن أبناء الأمة من مواجهة المستعمر ومناهضته .

وقد وجد ضالته المنشودة في مناسبات ومواسم إسلامية عدة ، كانت مناسبة عيد الفطر المبارك من أبرزها ، تراه وقد أنشأ قصيدة عَنْوَنَهَا بـ(عيد الفطر)– من الطويل – وجاءت على قدر هائل من التحميس والرفض والدعوة إلى الكفاح ، مستنكراً العيد والفطر – بعد انقضاء شهر رمضان – إلا بعد أن ترتوي المهج من دماء الأعداء ، وبعد أن يلبي الجميع نداء الجهاد ، وأن الصيام والفطر يكونان بالأساس – وبعد الواجب الشرعي – من أجل البلاد والأوطان ، وداعياً كذلك إلى الاقتداء بالزعيم الهندي (المهاتما غاندي) الذي آثر التقشف واستخدام سلاح المقاطعة للإنجليز حتى يتم استقلال بلاده أولاً ، يقول القروي متخطيًا أسر المناسبة إلى التحليق فيما هو أرحب ؛ لخدمة قضايا الأمة سياسياً ووطنياً وثورياً (٣٤):

صياماً إلى أن يُفطرَ السيفُ بالدم ... وصمتاً إلى أن يصدحَ الحقُّ يا فمي

أَفِطْرٌ ، وأحرارُ الحمى في مجاعةٍ ... وعيدٌ وأبطالُ الجهاد بمأتم؟!

بلادك قدِّمها على كل ملَّةٍ ... ومن أجلها أفْطر ومن أجلها صُمْ

فَمَا مَسَّ هذا الصومُ أكبادَ ظُلَّمٍ ولا هَـزَّ هـذا الفطـر أرواح نُـوَّمِ
لقد صام (هندي) فجوع دولةً فهل ضار علجاً صومُ مليون مسلم؟
تجشّم عن أوطانه صوم عامد فَجشَّم أوطان العدى صوم مُرْغم
وَخلَّى بلاد الظالمين بلادَه تضيق بجيش العاطلين العرمرم
وألقى على (منشَسْترٍ) ظلَّ رهبةٍ يضجُّ بأشباح الشقاء المخيَّم

ولا يزال يحمس أبناء الأمة ، ويدعوا إلى التوثب لتحقيق الحرية والاستقلال ، ولا يزال يعزف على وتر القدوة والرمز (غاندي) وسياسته التي ألقت بظلالها الكثيفة وسحبها الداكنة على الاقتصاد الانجليزي ، فأصابته بالركود ، والشلل التام ، وليس أدل على ذلك من غلق مصانع مانشستر المشهورة والمشهود لها عالمياً بجودة الغزل والنسيج ، أغلقت مصانعها ، وكسا الصدأ آلتها التي راحت تنسج العنكبوت ، بعد أن كانت تغزل أرق وأرقى الثياب المزركشة والمنمنمة، لنستمع إليه يقول مستثمراً المناسبة الإسلامية ، وتسخيرها لصالح القضية الإسلامية والسياسية .

أهابَ بآلات الحديد فَعُطِّلَتْ مصانعُ كانت جنة المُتنَعِّم
وشلَّ دواليبَ الرخاء بصرخةٍ أدارت دواليب القضاء المحتَّم
كساها نسيجَ العنكبوت وَكم كستْ جُسُومَ البرايا بالقشيب المنمنم
تُهدِّمها أسرارُ نفسي عجيبة تجول بذاك الهيكلِ المتهدِّم
فيالك من عانٍ لديْه تصاغرت جبابرُ أبدانٍ وعقلٍ ودرْهم
وراحتْ ملوكُ المال تشكو ببابه من الفقر: يا للظالم المتظلِّم!

وهذا لا يعني أنه لا يكرم أو يمجد عيد الفطر بمدلوله ودلالاته المعروف بها عند معتنقي الشريعة الإسلامية السمحة ، لكنه – في الوقت نفسه – يتوق ويذوب شوقاً إلى أعياد الحرية والخلاص التي يود أن تنعم بها الأمة العربية ، وإلى أعياد الوحدة العربية التي ينضوي تحت لوائها المسلمون والمسيحيون على السواء ، يحلم بعيد تخلو فيه بلاد الضاد من الأحزاب والمذاهب والعنصريات والأيدلوجيات المتناحرة والمتصارعة ، والتي تسهل المهمة على أعداء البلاد ، تراه يقول في القصيدة نفسها :

أكُـرِّم هـذا العيـدَ تَكـريمَ شـاعرٍ ... يَتيـــهُ بآيـــاتِ النَّبـــي المُعَظَّـــمِ

ولكنَّنـــي أَصـــبو إلـــى عيـــدِ أُمَّـــة ... مُحَـرَّرَةِ الأَعنـاقِ مـن رِقِّ أَعْجَمـي

إلـى عَلَـمٍ مـن نَسْـجِ عيسـى وَأَحْمَـدٍ ... و «آمنـةٌ» فـي ظِلِّـهِ أُخْـتُ «مـريمِ»

هَبـونيَ عيـداً يَجْعَـلُ العُـربَ أمَّـة ... وَسـيروا بجثمـاني علـى ديـن بَـرْهَمِ

فَقَـد مَزَّقَـت هـذي المـذاهبُ شَـمْلَنا ... وَقَـد حطَّمتنـا بَـينَ نـابٍ ومَنْسِـمِ

بهذا تنتهي القصيدة التي أراها أشبه بالحمم البركانية المنبعثة من فم شاعر ، يطلقها مارداً لافحاً وجه كل من يقف في سبيل الحرية والوحدة العربية ، وكل من يتخاذل أو ينقسم فيقدم أبناء الأمة لقمة سائغة لأعدائها ، وما إلى ذلك من اندفاعات الشاعر الوطنية التي أدت به أحياناً إلى هذا التجاوز الديني الواضح في مثل قوله:

سَـــلامٌ علـــى كفـــرٍ يُوحِّـــدُ بَيْنَنـــا ... وَأهـــلاً وســـهلاً بَعـــدهُ بِجَهـــنَّمِ

ولا تختلف مناسبة عيد الأضحى المبارك عن مناسبة عيد الفطر والبهجة التي تعقب شهر الصيام (رمضان) ، مع حسن استثمارها وتوظيفها لبعض هموم المشهد العصري ،نراه ينظم قصيدة عنوانها (عيد الأضحى) ، ليشحذ من خلالها الهمم الرواكد،ويستثير العزائم القواعد، لمواجهة المستعمر الذي اغتصب معظم البلدان العربية ، ونهب خيراتها وثرواتها ومقدراتها ، حتى فقدت الجماهير الإحساس ببهجة العيد ، وأصبح مفرغاً من محتواه ودون مزية يمكن أن تميزه بها عن سائر الأيام ، وما أكثر ضحايا الجماهير العربية ، يستوي في ذلك منهم المسيحي والمسلم ، وكأن لسان حاله يردّدُ مع المتنبي صدر داليته السائرة (عيد بأية حال عدت يا عيد)، يقول القروي:-من الرمل-(٣٥) :

لـــيس للإســـلام أو للعيســـويّهْ ... ما بهذا العيد للدين مزيهْ

نحن والإسلام في الأضحى سواءٌ ... قد تقاسمنا الضحايا بالسويّهْ

مـــا أضـــاحي عرفـــات ومنـــىً ... بل ضحايا الشام بالمجد غنيّهْ

لـيس مـن ضـحى بكبشَـيْ غـنم ... مثل من ضحّى بنفس بشريهْ

أيـــن مـــن أدّى زكـــاةً مـــن فتـــىً ... جـاد للأمـــة بـــالروح الزكيّـــهْ

ولا أرى في ذلك مبالغة لأن القروي يربط بين ما يقدمه المسلم في عيد الأضحى وفي غيره من مُناسبات إسلامية –كالأضاحي بالغنم والأكباش وما أشبه ، أو بالصدقات والزكاة في مناسبة شهر رمضان مثلاً – وبين ما يجود به المجاهد في سبيل الله أو ضد المستعمر الغاصب في سبيل استقطاب الخلاص لبلاده ، وتحريرها من ربقة المستبد المحتل ، ما يجود به هذا المناضل ، أو ذاك المجاهد ، بالنفس ، والنفيس ، والروح ، والدماء الزكية ، التي هي أغلى بلا شك من تقديم القرابين والأضاحي في عيد الضحى ، هذه واحدة .

وثانية أن فلسفته كانت بمثابة التمهيد للحديث عن قائد سوري مشهور ، كثيراً ما ناهض وقاوم المستعمر الفرنسي – ولاسيما موقعة ميسلون ضد الجنرال غور – جاعلاً منه قدوة ونموذجاً يلزم إكمال مسيرته الجهادية والنسج على نوله حتى تسترد الأمجاد الضائعة ، إنه يوسف العظمة ، وليس هناك ما يمنع أن يكون مثل هذا العيد (عيد الأضحى) سجلاً حافلاً يذكر بالضحايا والمجاهدين والنبلاء ، وما سطروه لبلادهم من أمجاد وبطولات ، وفي سبيل ذلك جادوا بدمائهم وأرواحهم ومهجهم ، يقول القروي :

إنَّ (بالعظْمة) أعلى مَثَلٍ ... للفدى تنشده النفسُ الأبيّه
ودَّع الغوطةَ يبغي جنةً ... غيرها تحت ظلال المشرفيّه
والتقى النار طُروباً للردى ... طربَ اللاقي على العُدْم لقيَّه
نكَّس الجاني عليه سيفه ... مُكبراً في مصرع الحُرِّ الرزيَّه
يا معيداً مجدنا الضائعَ ، نَمْ ... مُسْتريحاً في ظلال الأبديّه
رحمة الله على كل فتى ... عربيٍّ راح للعُرب ضحيَّه
وليعدُ فينا وفي أعقابنا ... عيدُ إيمانٍ بدين الوطنيه

أتصور أنه بمثل هذه النماذج يتضح مدى تعانق الهم العربي والبعد القومي بالآثار الإسلامية ، وأن القروي كان لا يمل – وهذا لغلبة البعد العروبي والقومي عليه – هذا المزج حتى ولو كلفه الشطط أحياناً ، أو الغلو غير المقبول كما عرضنا لذلك منذ قليل .

ويعطي لمناسبة المولد النبوي – مثله في ذلك مثل سائر شعراء المهجر – قدراً من الاهتمام والاحتفاء ، فحينما جَّدثْ ذكرى المولد النبوي

الشريف– وهو في صنبول تشرين الأول ١٩٤٠م آنئذ – راح يشارك ، وينظم قصيدته (ونحن أعطينا القلم) (٣٦)– مجزوء الكامل– وقد استهلها بنزعة علائية ، افتخر فيها بالأمجاد العربية ، والحضارة الإسلامية ، وما كان من سيطرة المسلمين الأُول على عالم البحار ، وسبقهم العالم بأسره في علوم وفنون وأساطيل الملاحة البحرية (لاحظ موقعة ذات الصواري في عهد الأمويين) تراه يقول :–

نحن الأُلى سُدنا الشعوب ونحن مددنا الأُمَمْ
أعطاهمُ الله اللسان ونحن أعطينا القلم
خُضْنا البحار زمانَ لمْ يكُ ظِلٌّ سابحة بِيَمْ
حتى إذا لم يبق شطٌّ لم تطأْهُ لنا قدمْ
نامتْ عيون المتعبين وأيُّ عين لم تنمْ

ثم يتحدث عن النور المحمدي(٣٧)، ومدى استقبال العالم له ، واستفاضته على البطاح والقمم ، ويشير إلى الفتوحات الإسلامية التي غزت سائر الأنحاء مكبرة مهللة.

نور النبوة فاض من مهد المروءة والكرمْ
يطغى به موج الضياء من البطاح على القِمَمْ
وتدفقت تلك الجحافل كالخِضمِّ على الخِضَمْ
هذا قضاءُ الله أم عُربٌ تكرُّ على عَجَمْ ؟
زحفت مكبِّرةً فذكر الله يملأ كل فَمْ

وينهي قصيدته بتمجيد فكرة العروبة ، وحتمية الوحدة العربية ، مشيراً إلى تقاسم الآلام والآمال والفخار ، وما هو جدير بأن يتم عملية التآزر والتعاون ، بعيداً عن العصبية البغيضة ، فالكل أبناء عمومة ، وأمجادهم العربية والشرقية واحدة ، نعموا بحضارة زاهية إبان كان الغرب يرزح في عماءات الخرافة والجهل ، تراه يقول :

وإذا العروبة في أقاصي الأرض خافقة العلم
مرحى غطاريفَ العروبة إننا أبناء عم
ولقد تقاسمنا الفخارَ كما تقاسمنا الألم

طلـــع الهـــدى مـــن شـــرقنا والغـــرب يخـــبط فـــي الظُلـــم

وكانت هناك بعض الجمعيات ذات التوجه الإسلامي في دول المهجر الجنوبي ، وكانت من حين لآخر تقيم بعض الاحتفالات والمناسبات الخيرية ، كمعاونة الأطفال الأيتام ، والفقراء ، والنساء الأرامل ، للتغلب على لأْوائية الحياة ومشاكلها ، وكان الشعراء في المهجر لا يفتأون حضور مثل هذي الاحتفالات ، والمشاركة فيها بقصائد تبارك التوجه والمسعى ، وتدعم جهود المتبرعين ، كما لم تنس أن تحيي وتشد على أيدي المؤسسين والقائمين على أمور هذه الجمعيات، وكان القروي في طليعة هؤلاء الشعراء الذين رصدنا لهم أكثر من قصيدة ومقطوعة ، ونلتقط هنا جزءاً من قصيدته (مدنف في مستشفى) –من الخفيف[٣٨]– التي نظمها مشاركة في الاحتفال بوضع حجر الأساس للمستشفى السوري سنة ١٩٣١م ، وفي هذا الجزء يقوم بتصوير حال أحد المرضى – وهو هنا رمز لكل المرضى – ومدى تململه وصراعاته مع المرض والداء ، ومدى اختلاف حياته عن حياة الأصحاء ، والتي لا يرى إلا وجه الأطباء والمؤاسين ، والزيارات القصيرة ، أو زيارات البعض الذي لا يرغب في لقائهم،بل كثيراً ما يتمنى الموت عن أن يراهم ، وعبثاً يحاول التغلب على حياته البئيسة هذه بالقراءة في كتاب ، أو بالكلام الهامس الذي يبدو غمغمة لا يستبين لها فحوى ...إلخ هذه الصورة الأسيانة التي رسمها في قوله:

ســـاهرٌ لا تمتُّعـــاً بـــل عـــذاباً نـــائمٌ لا اســـتراحةً بـــل عَيـــاءَ
فـي مكـانٍ، هَبْـه السماء جمـالاً أيـرى المـدنفُ السماء سماء!؟
لـــيس يُغنـــي الضـــياءُ إن زاره حينـــاً عـــن الشـــوق أن يـــزور الضـــياء
يســـمع النـــاس يســـرحون إلـــى الأعمـــال صـــبحاً ويمرحـــون مســـاء
وهـــو عـــنهم فـــي قبضـــة الـــداء لا يملـــك إلا الإصـــغاء والإغضـــاء
إن يشـاهدْ مـنهم فوجـةَ طبيـب عـاده ثـم عـاد مـن حيـث جـاء
أوْ نســـــيبٍ إن زاره فكمـــــا زار محـــبٌ قبـــراً ومـــلَّ البقـــاء
أو صـديق يلـمُّ إلمامـةَ الطيـف تـــوارى ولـــم يكـــد يتـــراءى
أو ثقيـــلٍ لا يســـتطيع فـــراراً منـــه لـــو شـــاءَ وهـــو بـــالموت
لـــيس يســـتمريءُ الـــزلال شـــراباً لـــيس يســـتهنيء السُّـــماني

وإذا التـــذ بالكتـــاب فحينـــاً لـم يعـادلْ فيـه الهنـاءُ العنـاء

يستحســي حـين يسـأل الشـيء مضـــطراً ، ويحتـــاج غيـــره

وإذا حـــاول الكـــلام فَهَمســـاً يتلاشـــى فـــي كفِّـــه إيمـــاء

وعلـى المقابـل كـان الحـديث مرفوعـاً إلـى الأصحاء ، والإشارة إلى ما ينعمون فيه من نعم وآلاء الصحة ؛ حيث الحرية والانطلاقة والأخذ بأسباب الحياة ، ولكنه لم ينس أن يطلق صيحات التحذير من الاغترار بهذا الكنز المموه الزائف الذي من الممكن أن يُسلب في أي لحظة ، ومن ثم نبه القروي إلى ضرورة التطهر والتنقية من أمراض النفس ، من سائر القيم السالبة التي يستعصى برؤها ، (الاغترار – القبح – البخل – السلب – الطمع) ، والمطلوب هو المقابل ، القيم الإيجابية التي تتحلى بها النفوس (علو الهمة – الكرم– النقاء – النزاهة – والشفافية– الإباء – العطاء – وإنكار الذات – والحرية والكرامة ...)إلخ هذي القيم الإيجابية التي من المفترض أن يتمتع بها الشخوص –الأصحاء خاصة– والتي معها تهون أمراض الجسوم، يقول القروي:

يـا صـحيحاً لـم يحجـب السـقف والجـد رانَ يومـاً عـن ناظريـه الفضـاء

أو تـــدري وأنـــت حـــرٌ طليـــقٌ نعمـــةً فيـك قـد تحـول شـقاء

هـــذه الصـــحة التـــي لـــك كنـــزٌ عنـــه تُعطـــي كـــل الكنـــوز فـــداء

فـــاملأ العـــين مـــا اســـتطعت ضـــياءً واملأ الصـدر مـا اسـتطعت هـواء

واخـش قبـل الأعضـاء مـن داء نفـسٍ يُتلـف الـنفس منـك والأعضـاء

رُبَّ سـاعٍ لـم يشـكُ فـي الجسـم داءً وهـو فـي الـنفس قـد شـكا أدواء

صـــحة الـــنفس أن تكـــون نقيّـــاً طـــاهراً لا يُـــدنِّسُ الأنقيـــاء

وكريمـــاً مـــا همُّـــه الأخـــذُ لـــوْ لـــم يـــكُ بالأخـــذ يســـتطيع العطـــاء

وأبيّـــاً قـــد صـــافح الســـيف حتـــى عـــاد حُـــرَّاً فصـــافح الأعـــداء

عالمـــــاً أن للحيـــــاة خلـــــوداً لا يســـاوي مـــع الهـــوان فنـــاءَ

ثم ينهي القصيدة بإكبار الحدث ، والإشادة والتنويه بالجهود التي احتملت السيدات أو النساء شقوتها ، وتحملن العبء وحدهن ،مما كان سبباً في غمز الرجال – وهنا تغليب للروح الوطنية ، والهم القومي ، وإن جاء على استحياء ساخر في نهاية القصيدة الذين توانوا وأهملوا الذود عن عرين

أوطانهم ، حتى ذهب لقمة سائغة لأعدائهم ، تراه يقول محاوراً المريض :

يـا علـيلاً بـالأمس نـال مـع المـنِّ شـفاءً فمـا اسـتطاب الشـفاء
دع ألـيم الـذكرى فـإن يـد الرحمـة ذرَّت علـى الجـراح عـزاء
ها جنـاحُ الحنـان يخفق فـي الأفق كـنجمٍ يبشـر البؤسـاء
قـد كُفيـت العـلاج عنـد غريـبٍ فأمنـتَ الـذي يفـوق الـداء
لـيس أدهـى علـى النـدى مـن كـريم عربـيٍّ يسـتعطف الغربـاء
نحمـد الله بعـد بـذل الغنـى فـي خدمـة الـذُّلِّ ، قـد خـدمْنا الإبـاء
وظفرنـا مـن الحيـاة بنصـفٍ فلنوكِّـل بـالآخر الأبنـاء
لـم نجـد للحمـى رجـالاً ولكـن قـد وجـدْنا للمكرمـات نسـاء

ويمكن أن تراجع في هذا أيضاً قصيدته (على ذراك) (٣٩) التـي ألقاهـا فـي حفـل وضـع حجـر أسـاس المستشـفى السـوري فـي هضـاب (جردون) فـي البرازيـل ، وقصـيدته (المتـيم السـوري) (٤٠): التـي نظمهـا منوهـاً ومشـيداً بجهـود القائمين علـى تشييد هذه الدار سنة١٩٢٦م، وفيها يوجه الأغنياء مـن أمثـال (بشـارة محـرداوي) إلـى البـذل وصـنع المعروف، والاهتمام باليتيم حتى يلمس فيها العزاء عن الأهل والرفاق ، يقول:

أيهـا الأقويـاءُ لا بُـد مـن يـوم عصـيب تقـوى فيـه الضـعفاء
لـو صـنعتم فـي الأرض خيـراً لصـارت جنـةَ الخُلْـد هـذه الرمضـاءُ
ربِّ احفـظ "شـبيبةً" شـاب منهـا اليـأسُ يأسـاً وشـبَّ فينـا
أنشـأتْ لليتـيم دار هنـاءٍ أَوْهمـتْ أن كـلَّ يُـتْمٍ هنـاءُ
لليتـامى فيهـا عـزاءٌ عـن الأهـل وللأهـل فـي السـماء عـزاءُ
كـلَّ يـوم يُـوفى الكـريمُ ديونـاً لـيس فيهـا وعـدٌ ولا إمضـاءُ
تصـنع المعجـزاتِ كـفٌّ سـخيٍّ يـا أولـي الفضـل ، إنكـم أنبيـاءُ
لـيس مُحيـي الـرميم أفضـلَ ممَّـن يتـوقَّى بـه الـردى الأحيـاءُ
ودواءٌ فيـه الوقايـة خيـرٌ مـن دواءٍ يكـون فيـه الشـفاءُ

وهكـذا انطلـق القـروي مـن وحـي المناسـبة الإسـلامية ، احتفـى بهـا وَوَجَّهَهـا ، ووظّـف مـن خلالهـا مـا شـاء لـه التوظيـف مـن الإشـكاليات والقضايا العصرية ، فكشف بذلك عن تعاطفه مع إخوانـه المسـلمين مـن جهـة ، وتخطـى الحـاجز الضيق المحدود (زماناً ومكاناً وجمهوراً) للحدث ، إلـى التحليـق فيمـا هـو أرحـب وأشـمل ، ويخـدم توجهـه العروبـي الملتزم والمفعم بـالروح الإسـلامية المتجلية آناً في الشخصية الإسلامية المحتفي بها ، وآناً في إكبار المناسبة الإسلامية (المولد النبوي – عيد الفطر– عيد الأضـحى) وآنـاً فـي الإشادة بالمجـد العربـي ، والثقافـة الشـرقية ، والحضـارة الإسـلامية، وآنـاً لمسـناه فـي حلمـه بـالخلاص والحريـة والاسـتقلال والوحـدة العربيـة ، التـي قـد تكون بديلاً لدولـة الخلافة الإسلامية، وأياً ما كان الأمر فقد كانت مثل هذي القصائد والمقطوعات بمثابـة الفرصـة السـانحة للكشـف والبـوح والعطـاء الشعري من خـلال منبـر اسـتحال فيـه مـن مجـرد مشارك في الحدث إلى صانع للحدث ، أو – على أقل تقدير – مستثمر لـه ، متفاعـل معـه ، غيـر مكتف بدور الرصد ثم الغياب.

ثانياً: بين السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي:

أ- المدائح النبوية:

المـدائح النبويـة : أحـد الفنـون الشـعرية التـي عمل التصوف على نشرها وإذاعتها بين الجماهير وفـي الأوسـاط الأدبيـة والنقديـة، وهـي كمـا يقـول الـدكتور – زكـي مبـارك– «لـونٌ مـن التعبيـر عـن العواطف الدينية ، وبابُ من الأدب الرفيع ؛ لأنها لا تصـــدر إلا عـــن قلـــوب مفعمـــة بالصـــدق والإخـلاص ، وأكثر المدائح النبوية قيل بعد وفاة الرسول –^– ؛ وما يقال بعد الوفاة يسمى رثاء ، ولكنه في الرسول–^– يسمى مدحاً ، كأنهم لحظوا أن الرسول –^– موصول الحياة ، وأنهم يخاطبونه كما يخاطبون الأحياء "(٤١).

جذور هذه المدائح النبوية تعود بنا إلى عهد الرســول –^– ؛ حيــث الأعشــى ودالیتــه (ألــم تغتمض عيناك ليلة أرمدا) وحسان بن ثابت في همزيتــه (عَفَــتْ ذاتُ الأصــابع فــالجِواء) ، ثــم عينيته التي ردَّ بها على الزبرقان بن بدر ، (إن الذوائب من فهر وإخوتهم) ، ثم لامية كعب ابن زهير السائرة إلى مطلعها (بانت سعاد فقلبي اليوم متبـول) ...إلـخ هـذا العـدد الـوفير مـن المبـدعين الشعراء الذين وظفوا شعرهم للدفاع عن الرسول – ^– والتصدي لخصومه من الشعراء ؛ لقد مدحوا ودافعـوا وذكـروا عظمـة الرسـول –^– وفضـله ، وأشـادوا بصـفاته الحسـية ومـآثره الروحيـة، كمـا نوَّهـوا بجـلال رسـالته التـي اسـتهدفت البشـرية

جمعاء للخروج بها من عماية الجهل والضلال إلى نور اليقين.

ولم يُعن أحدٌ من القدماء والمحدثين على السواء بتأريخ هذا الفن في اللغة العربية؛ لأن الذين أجادوه لم يكونوا – غالباً – من فحول الشعراء؛ ولأنه لم يطرد في التاريخ ، ولم يكن فناً ظاهراً بين الفنون الشعرية الأخرى المعروفة كالرثاء ، والوصف ، والفخر ، والغزل أو النسيب ، وما أشبه ، إنما كان فناً نشأ في رحاب البيئات الصوفية ، ولم يهتم به من غير المتصوفة إلا القليل ؛ بدليل أن وضع القصص الخيالية عن مولد الرسول –^– ونبوته وزوجاته ، وغزواته ، هو من عمل الصوفية ، وهم الذين اتخذوا قصة مولده –^– أحبولةً يتصيدون بها أهواء الناس ،لاسيما العوام أو البسطاء الذين يشكلون أغلب الشرائح الاجتماعية عدداً(٤٢).

وعلي أية حال ، وسواء عدَّ البعض ما سبقت الإشارة إليه من قصائد الشعراء القدامى مدائح نبوية ، أو لم يعدوها ، متعللين بفقدان الصدق العاطفي ، أو عدم صدق النية تارة (كما في قصيدة الأعشى)، أو من باب التكسب ثانية ، أو من قبيل الخوف ومحاولة الإمساك بتلابيب طوق النجاة (كما في قصيدة كعب بن زهير بانت سعاد) ثالثة، أو من باب عدم الإتيان بجديد ، وأن المدحة ومقارعة الخصوم في الإسلام لا يختلفان عما كانا عليه في الجاهلية (كما في قصيدة حسان بن ثابت) ... سواء عد البعض ذلك من قبيل المدائح النبوية أم لم يعدوا ، فإن هذا الفن (المدائح) تعملق وتنامي حتى وصل إلينا في العصر الحديث ، مجتازاً كل العقبات التي حاولت اعتراض مجراه ، ومن ثم – وكما يقول الدكتور محمود مكي – : « ليس من الغريب أن تظل شخصية الرسول –^– ملهمة للشعراء حتى اليوم ... وقد بقيت بردة البوصيري هي النموذج الأعلى للمديح النبوي ، وظل تألق هذه القصيدة مثيراً للشعراء ، حتى بعد الوثبة التي قُدِّرتْ للشعر العربي على يد رواد الإحياء ، وعلى رأسهم محمود سامي البارودي»(٤٣).

ولم يختلف شعراء المهجر – والقروي في طليعتهم– عن الشعراء بصفة عامة ، حيث دفعتهم ثقافتهم الإسلامية ، وقراءتهم المتكررة في أطواء التاريخ الإسلامي ، وترددهم على العديد من النماذج الماتعة من القصائد القديمة التي تتناول الشخصية المحمدية مدحاً أو رثاء ، وكذلك رؤيتهم البئيسة لواقع وحال الأمة الإسلامية الممزق ، والمنهوب على يد المستعمر الصليبي القادم غازياً من وراء البحار والمحيطات ، وأيضاً ما كان من تواتر المناسبات الدينية والاحتفاء بها والمشاركة الفعالة في إحيائها ... كل هذا وغيره جعل الشعراء المهجريين – والقروي– يتحلقون

حول الشخصية المحمدية ، يطرونها ، ويثنون على نهجها ودورها في نهضة الأمم ، ويرصدون صفاتها الحسية ، ويعدِّ دون منا قبها وشمائلها المعنوية ، ويتخذونها رمزاً عاماً للخلاص ، واقتناص الحريات ، ولأنهم ليسوا مسلمين لفتت إبداعاتهم الشعرية أنظار الدارسين والنقاد فاهتموا بها وأكبروا أمرها شارحين ومحللين ..

وفيما يخص شاعرنا وجدنا له أكثر من قصيدة ومقطوعة يمكن إدراجها تحت هذا اللون (المدائح النبوية) وأكثر من قصيدة ومقطوعة – وأبيات مفردة تتخلَّل القصائد ذات الموضوعات الأخرى – وتعالج أو تستعرض فترات تاريخية إسلامية ،أو تستلهم بعض الشخصيات التاريخية ، وما ذلك إلا للاقتداء ، وسوق النموذج الأمثل لأخْذ النصيحة والعبرة وحبس النفس على النهج السديد ، وها هي ذي بعض النماذج التي تدعم ما نقول ، ففي قصيدته (عيد البرية) (٤٤)– من البسيط – وجدناه يحتفي مع إخوانه المسلمين بمولد الرسول –ﷺ– ، ويضفى العديد من الصفات المعنوية والقيم الروحية (حيث هو هداية ونور ، وحق ، وهدى ، وشمس هداية ، وشجاع ، وفاتح أعظم للأرض، (قائد فاتح) ومظفر ، وما عيده إلا عيد عم البشرية كلها ، لذا راح يطلب إلى أبناء الأمة العربية أن يبلغوه عظيم تحياته ، يقول :

عيدُ البَرِيَّةِ عِيدُ المَوْلِدِ النَّبَوِيّ فِي المشْرِقَيْن لَه وَالمغربيْن دَوِيّ
عِيدُ النَّبي ابن عَبْدِ اللهِ مَن طلعَتْ شَمْسُ الهدَايةِ مِنْ قُرْآنه العُلْوِيّ
بَدَا من القَفْرِ نُوراً للْورى وَهدىً يَا للتمدُّنِ عَمَّ الكَوْنَ مِنْ بدَوِيّ
يَا صَاحبَ السَّيْفِ لَمْ تُفْلَلْ مضَارِبهُ اليَوْمَ يَقْطُرُ ذلاً سَيْفُكَ الدَّمَوِيّ
يَا فاتح الأَرْضِ مَيْداناً لدوْلتِهِ صَارَتْ بلادُكَ مَيْدَاناً لكُلِّ قَوِيّ
يَاحَبَّذَا عَهْد بغْدادٍ وَأَنْدلسٍ عَهْدٌ بِرُوحي أُفدِّي عَوْدَهُ وَذَوِيّ
مَنْ كَانَ في ريْبَةٍ مِنْ ضَخْم دَوْلَته فَلْيَتْلُ ما في تَوَارِيخِ الشعوبِ رُوِي
يا قَوْمُ هذا مَسِيحِيٌّ يُذَكِّرُكُمْ لَا يُنْهض الشَّرْقَ إلاّ حُبُّنا الأَخَوِيّ
فَإِنْ ذكرتُمْ رَسُول اللهِ تَكْرمةً فَبَلِّغُوهُ سلام الشاعر القروي

وله قصيدة أخرى عنوانها : (ونحن أعطينا القلم) (٤٥)– من مجزوء الكامل – قد مررنا بها سابقاً ، لكن لا مانع من الإلمام ببعضها لاستحضار الصورة ، نراه فيها يسجل اعتزازه وإعجابه بالشخصية المحمدية ورسالتها ، ونهجها القويم ، وما أفاءت به على البشرية من قيم روحية سامية ومن رسالة غدت محور ارتكاز أصيل في نهضتها ، لنستمع إليه وهو يسطر إعجابه

بالرسول الأعظم ورسالته ويفخر بالأمجاد والعلوم الفكرية والحربية التي سطرها الأوائل فيقول:

نحـــن الأُلـــى سُـــدنا الشـــعوب ونحـــــن مـــــددنا الأُمَـــــمْ
أعطـــــــاهم الله اللســـــــان ونحـــــن أعطينـــــا القلـــــم
خُضْـــنا البحـــار زمـــانَ لـــمْ يـــكُ ظِـــلٌ ســـابحة بِـــيَمْ
حتـــى إذا لـــم يبـــق شـــطٌّ لـــم تطـــأْهُ لنـــا قـــدمْ
نامـــتْ عيـــون المتعبـــين وأيُّ عـــين لـــم تـــنمْ
واســـــتيقظت مســـــحورةً تســـتقبل العهـــد الأهـــم

ويوالي إعجابه واعتزازه بالنبي الكريم ، ويشير إلى نور النبوة العميم الذي غمرت أشعته أرجاء الكون ، فأشرقتْ به الأرض بطاحاً وقمماً على السواء .

نـــور النبـــوة فـــاض مـــن مهـــد المـــروءة والكـــرم
يطغـــى بـــه مـــوج الضـــياء مـــن البطـــاح علـــى القمـــم

ويذكر بالتجلة والإكبار ما كان من عهد الجهاد والفتوحات الإسلامية، والبلاءات الحسنة التي سطرها المسلمون الأوائل في هذا الصدد ، فيقول:

وتـــدفقت تلـــك الجحافـــل كالخضـــمِّ علـــى خضـــم
هـــــذا قضـــــاء الله أم عُـــرْبٌ تكـــرُّ علـــى عجـــم
زحفـــت مكبِّـــرةً فـــذكرُ الله يمـــلأ كـــل فـــم

ثم تنتهي القصيدة بأنسام العروبة ، وشذى التوحد ، الذي يأمله ويتغياه الشاعر لأبناء الأمة العربية ، طالما أن هناك قواسم مشتركه وأصيلة تؤهلها للقيام بهذه المهمة .

وإذا العروبـــة فـــي أقـــا صـــي الأرض خافقـــة العلـــم
مرحـــى غطـــاريف العـــرو بـــة ، إننـــا أبنـــاء عـــم
ولقـــد تقاســـمنا الفخـــار كمـــا تقاســـمنا الألـــم
طلـــع الهـــدى مـــن شـــرقنا والغـــرب يخـــبط فـــي الظُّلَـــم

وتروق له شخصية الرسول-^- وسيرته العطرة ، فيأخذ في إطرائها ، بعد أن رسخ لديه أنه الرمز الملهم ، والقائد الفذ الذي استطاع – برسالته وقيمه الغراء– أن يصنع أمة ماجدة ذات

حضـارة ومجـد بـاذخين ؛ ومـن ثـم فـلا عجـب أن يقتـدي بهـذه الشخصـية ، وأن يعتنـق الإسـلام ويهجـر المسـيحية ، يرفـع حديثـه إلـى السـلطان

إذا حاولتَ رفعَ الضيم فاضرب

وقد صنعه الله على عينه واصطفاه ، فكان خير

وَحَذْوَ أمكِ ربَّيْت البنين كما

ولا يزال يملأ قلبه ووجدانه بحب المصطفى–^– ، حتـى غـدا شـغله الشـاغل ، وحتـى غـدت

مَن يبكِ عهد الموامي والدُّمي فأنا

شغلتُ قلبي بحب المصطفى وغدتْ

وهكذا استطاع القروي أن يبرهن على صدق عاطفته ، ويكشف من خلال مد حياته النبوية – التي جاءت في صورة قصائد كاملة ، أو في أبيات استقرت في تضاعيفها ، وكانت المناسبة الإسلامية هي التي فجرتها واستقطبتها إلى عالمه الشعري – عن مدى حبه الرسول ^، ورسالته الغراء ، وكيف أنه استحال نموذجاً للبناء والتوحد ، كما كشف كذلك عن مدى اقترابه من الإسلام أو اعتناقه للعقيدة الإسلامية ، ولكننا لاحظنا أن مد ائحه خلت من بعض القيم المتوافرة في غيرها قديماً وحديثاً ، فقد أهمل الحديث عن الشفاعة ، والتوسل والابتهالات ، والأناشيد الدينية ، وما إلى ذلك ، وركز – ما استطاع إلى ذلك سبيلاً – على ما سبقت الإشارة إليه ، فضلاً عن استثمار الأطرش (قائد التنك أي الدبابة) ناصحاً بالتماس المنهج والخطط الحربية من التعاليم الإسلامية ، لا المسيحية ، يقول :

بسيف محمدٍ واهجر يسوعا(٤٦)

المرسلين ، وخير البرايا ، يقول معبراً عن إعجابه بنموذج الشخصية المحمدية :

أغلى اليتامى وخير المرسلين رَبِي(٤٧)

العروبة والإسلام مثله الأعلى ، يقول(٤٨):

والحمد لله قد حطّمتُ أصنامي

عروبتي مثلي الأعلى وإسلامي(٤٩)

المدحة لبث بعض الهموم العربية والقومية كعادته دائماً في جميع قصائده التي تكون من وحي المناسبة ، قل إن المدحة موظفة لتصوير المشهد العربي المهترئ سياسياً ، واجتماعياً ، واقتصادياً ، وحتى دينياً ، وإن وجد في حديثه بعض الغلو والانحراف ، فهو بلا شك ناتج عن عدم الوعي الكامل بأمور العقيدة وأركان الدين الإسلامي وثوابته .

ب– الأحداث التاريخية الإسلامية :

التاريخ: سجل حافل بأرصدة الأمم ، ينحني على العديد من القيم والمآثر والأمجاد والأحداث والمواقع والشخصيات التي لعبت أدواراً مهمة ومؤثرة في صنع الانتصارات أو الانكسارات ، وفي فترات الهزائم والانكسارات والإحباطات يرحل

الإنسان – المبدع المسلم خاصة– إلى التاريخ ، يعكف عليه ، يستوحي ما فيه من نماذج باهرة ، وصور طريفة نادرة ، وكنوز وافرة ، يتغنى بعظمة الإسلام ومجده؛ ليشحذ عزائم الأمة ويذكرها بأمجادها التليدة ، وعظمة المسلمين الأوائل الذين أحرزوا قصب السبق في كل مضمار ، ومن هنا ظهر على الساحة أحمد محرم وإلياذته البديعة ، وأحمد شوقي ومنظومته التاريخية (دول العرب وعظماء الإسلام) ، وغيرهما ممن استلهم التراث الإسلامي ، وكان حاديه في ذلك معزوفة المجد العربي ، والاعتداد بحضارة الأمة العربية بأكملها (٥٠).

وجاء شعراء المهجر الجنوبي فوقفوا أمام التاريخ الإسلامي الزاهي بأحداثه ، الحافل بشخوصه ، استلهموه مبهورين حينما قارنوا حاضرهم البئيس بماضي المسلمين المضمخ بعبق البطولات والأمجاد ؛ ومن ثم أبدعوا لنا تجارب شعرية رائدة ، لكن أبرزهم في ذلك كان الشاعر إلياس طعمة (أبو الفضل الوليد بعد أن أعلن إسلامه) ، ربما لأن له عدداً من المطولات التي يستعرض من خلالها أحداث التاريخ الإسلامي ، وشخوصه ، وأمجاد الأمة العربية والإسلامية ، كالذي نقرأه مثلاً في قصائده ذات السمة الطولية (المشرقية – المغربية– المكية – الأموية– المقدسية– البغدادية – الأندلسية)....إلخ ما يظهر لنا مدى تعامله مع التاريخ الإسلامي بطريقة دائرية لا جزئية ، وأنا أقتطع هنا بعض النماذج التي أضعها بين يدي القارئ للتدليل على ما نقول ، يقول في قصيدته (العراقية) (٥١):

لدجلـــة نِيْنَـــوى أُمُّ حَصَـــانٌ وبابـــل بعـــدها أمُّ الفـــرات
فبابِـــلُ أيُّ مملكـــة حوتْهـــا وقـد جـاءت بكـل المعجـزات
بأســوار تنــوءُ بهــا الرواســي وجنـــاتٍ تلـــوحُ معلَّقـــات
وأمـــلاكٌ لهـــم ملـــكٌ فخـــيمٌ بنـــاه بُخْتنصّـــرُ بالظُّبـــاتِ
وأمـــا نينـــوى فلهـــا حـــديثٌ شـــجيٌ بالعظـــائم والعظـــات

ثم انتهت تلك الأمم ، واندثرت حضاراتها، ولم يبق إلا الحضارة الإسلامية بأمجادها العريقة ، وتاريخها الزاهي.

فكـــم دُولٍ توالـــت ثـــم بـــادتْ وكـــم أُمـــم تـــوارثْ بائـــدات
ســـوى عربيـــةٍ ثبتـــتْ لفضـــلٍ ولـــيس لغيرهـــا فضـــلُ الثبـــاتِ

وفي قصيدة أخرى[٥٢] راح يستعرض مقاطع من التاريخ الإسلامي ، يذكر بعض القادة والأمجاد فيقول :

لقد كان جند الله أعظم عسكر ... تسير به الخيل العتاقُ الصلادمُ
فمن يوم أجنادين والنصر بادئ ... إلى وقعة اليرموك والفتح خاتم
تلاقت على أرض الحجاز صفوفه ... وقيصر فيها حائر متشائم
فيالك جيشاً كان في الهند زحفُه ... وفي الصين واليابان منه غماغم
لأجل الهدى خاض الحروب فأصبحت ... مغارمُه في الناس وهي المكارم
فما عاد إلا ظافراً وكتابُهُ ... صباح لديجور الضلالة هازمُ
وقائعه في كل أرض وأمةٍ ... على السلم أعياد له ومواسم
وفي كل أرض أهلها عرفوا الهدى ... حوافر أعرابيةٌ ومناسمُ
فأيامُهُ في الروم والفرس لم تكن ... سوى معجزات أنزلتها القوائمُ
وأيامهُ في الترك والهند بعدها ... وفي الصين قد دلَّت عليها المعالم
وأيامه في البربر اتصلت بها ... إلى القوط والإفرنج تلك الأداهم
أقاموا بسيف الحق دين محمد ... وقد قوَّموا ما عوَّجتهْ المظالم
تداعت عروشٌ داسها خلفاؤهم ... وتيجانهم بين الملوك العمائم

.... القصيدة ، وحينما راح القروي يحدثنا عن تلك الأمجاد العربية والحضارة الإسلامية ، أسقطها على واقعه المعاصر ، وألمح إلى التضحيات الهائلة التي قدمها العرب (والشباب الفلسطيني خاصة) في سبيل مناهضته الاحتلال الصهيوني ، وإلى حادثة مهمة كان لها صداها الواسع في مسيرة النضال العربي ، وفي إبداعات الشعر خاصة[٥٣] يقول القروي:

نحن قومُ فتنثَنَا مُثلٌ ... ما لنفس الحُرِّ عنها من محيدِ
كلما استشهد منا بطل ... هتف الأجداد أهلاً بالحفيد!
وتَلقى ابنُ زيادٍ روحَهُ ... بتهاليل الرضى وابن الوليدِ
فرأى «بلفور» في أصفادِهِ ... يتلوى تحتَ أقدامِ «الرَّشيدِ»

«وفــؤادٌ وعطــا الزيــرُ وجَمجـومُ» يُهْـــــووون عليـــــــه بِعَـــــــمودِ
والأُلـــى اســتقوى بِهــم لــم يُغـنهم جَـــريُ أُســـطولٍ ولا زَحـــفُ جُـــنودِ
تَنبُـــــذُ الجـــــنَّةُ منـــــهم مـــــائةً كُلمـــا احتـــل فلســـطينَ يَهـــودي!
أنجبتنـــــا أمـــــةٌ مـــا برحـــت تنجـــب الأبطـــال مـــن قبـــل ثمـــود
زرعـــوا الأرض ســـيوفاً و قنـــاً ثـــم رَوَّوْهـــا بإحســـانٍ وجُـــودِ
رقَّصُـوا الخيـل علـى الطعـن كمـا رقّصـوا الطيـر علـى خفـق البُنُـودِ
كـل يـومٍ يكشـف العلـمُ لهـم أثـراً عـن ذلـك الماضـي المجيـدِ
كلمـا قيـل انطـوت أعلامُهـم وانطـوَوا هَبُّـوا إلـى مجـد جديـدِ
كـالنجوم الزُّهْـر فـي أفلاكهـا أبـداً بـين هُـوِيٍّ وصُـعُودِ
لـم يضْـرنا راحـةٌ بعـد العَنَـا فـالكرى يغمـضُ أجفـان الأُسُـودِ
وسـنُعلي مـا بَنَـى أسـلافُنا بالمزايـا الغُـرِّ والعـزم الحديـدِ
فارتقـبْ يـا أيهـا المـزرى بنـا لـيس يـوم البعـث منّـا ببعـيدِ(٥٤)

وهكذا استلهم القروي الأحداث المهمة في التاريخ الإسلامي ، ومزجها بالحديث عن حاضره ، أو أسقطها على واقعه المعاصر ، وقد لاحظنا أمرين :

الأول : أن شـــاعرنا انتصـــر كثيـــر اً للحقيقـة والتـاريخ علـى حسـاب الفـن غالبـاً ،

فأيامُـهُ فـي الفـرس والـروم لـم تكـن سـوى معجـزات أنزلتهـا القـوائمُ
وأيامـــهُ فـــي التـــرك والهنـــد بعـــدها وفي الصين قد دلَّت عليها المعالم
وأيامـــه فـــي البربـــر اتصـــلت بهـــا إلـى القـوط والإفـرنج تلـك الأداهـم

وقوله :

تَنبُـــذُ الجـــنَّةُ مـــنهم مـــائةً كُلمـا احتـل فلسـطينَ يَهـودي!

... إلخ .

فكثيراً مما قرأناه هنا يرتكز على تقديم الحقيقة لا وَهْـم الحقيقـة ، أو الحقيقـة الفنيـة ، بـل أحيانـاً كنـا نقـرأ كلامـاً نثريـاً عاديـاً خاويـاً مـن كيميائية الشعر ، لاحظ مثلا قوله :

الآخـر : أن القروي لـم يتعامـل مـع التـاريخ بطريقـة دائريـة ، تعمـل علـى تنـاول كـل العصـور والحقـب التاريخيـة ، إنمـا ركـز علـى حقـب ، وبـؤر ، وأحـداث ، وشخصـيات بطريقـة انتقائيـة تبعـث علـى التفـاؤل ، وتسـهم بإيجابيـة فـي تكـوين شخصـية الفـرد المعاصـر المـأزوم واقعيـاً ، والمنكسـر حضـارياً، أي أنـه ركـز علـى الفتـرات المشـرقة كالفتوحـات الإسـلامية ، والحضـارة الإسـلامية ، والانتصـارات الزاهيـة فـي بعـض المعـارك والوقـائع كبـدر ، واليرمـوك ، والقادسـية ، وإعـدام الشـهداء الثلاثـة فـي فلسـطين والمشـار إليهم عما قليل ، وما إلى ذلك مما هو بعيد عن تاريخ العرب قبل الإسلام ، وبعيد كذلك عن فترات المد والجزر والمنعطفات التاريخية الحادة حتى داخل التاريخ الإسلامي ، ربما كان ذلك من باب سدِّ الذرائع أو تجنباً للفتن الطائفية والعقدية ، جل ما لمسناه هو محدودية العطاء الفني الكامن فقط في مقارنة الماضي بالحاضر ؛ لتتضح الفجوة والمفارقة من جهة أخرى ، ومع ذلك يكفي الرجلَ صدق العاطفة ، ومحاولة التماس بعض الأعذار والتبريرات لمراحل الاسترخاء العربية التي حدقت بالأمة من مثل قوله :

لـم يضْـرنَا راحـةٌ بعـد العَنَـا فـالكرى يُغمِـضُ أجفـان

والعلمية ، والعمرانية ، والإبداعية ، والسياسية ، والاجتماعية ، وما إلى ذلك مما يمكن أن يشكل منجزات حضارية متقدمة ، تركت بصماتها الواضحة على خط سير الحياة .

ولا تسام هذه المنجزات الحضارية بالثبات وعدم التحول أو التغير تارة ، وبالتسامح والعدالة وحسن المعاملة وقبول الآخر قبولاً يوفره العدل واحترام الحقوق والواجبات والمبادئ تارة أخرى ، تعمقت جذور هذه الحضارة وترسخت في أذهان الأجيال على مر العصور ؛ حتى راح المسلم وغير المسلم يفخران بها وبعطاءاتها الجاذبة واللافتة لأنظار النُّخَبِ والمثقفين والمبدعين ،

جـ – تمجيد الحضارة الإسلامية :

حضارة أمةٍ ما هي عنوان هويتها ، وهي التي تميزها عن غيرها عبر انحنائها على مجموعة من القيم والوسائط التي تقف الأخلاق والعقيدة والثقافة في طليعتها ، وبين الحضارة والثقافة والعلوم والقيم صلات جد وثيقة ؛ حتى وإن كانت الثقافة جزءاً من الحضارة ، أو كانت العلوم جزءاً من الثقافة ؛ لأن كل ذلك عبارة عن « حصيلة جهود فكرة وعملية متعددة ، قدمتها أجيال بشرية متتالية »(٥٥).

وما من شك في أن المسلمين الأُوَل تركوا لنا تراثاً زاخراً مفعماً بالخبرات والموارد الثقافية

ولاسيما الشعراء ، وشعراء المهجر الجنوبي خاصة ، والقروي شاعرنا في طليعتهم ، تراه وقد راح يتمثل تراث أمته الحضاري ؛ ليعالج من خلاله بعض الأزمات السياسة والاجتماعية والفكرية التي تمر بها الأمة العربية ، يرحل إلى هذا التراث الحضاري الإسلامي ، يستلهمه ، ويعتز بقيمه، وبأعلامه ، ويراه النموذج الحضاري أو المثال النافع والمجدي ليس لأمته فقط ، بل للبشرية جمعاء ، تراه في مطولته (عودة الشاعر)[٥٦] –من البسيط – يكشف عن سماحته ، وحبه للحضارة الإسلامية ، وامتلائه زهواً وعُجباً بالتاريخ الإسلامي الذي رآه سبباً في إنعاش الشرق والغرب معاً ، يقول القروي مفاخراً مباهياً بالأمجاد الأموية والعباسية والأندلسية :

أنا العروبة لي في كل مملكة ... إنجيل حب ، ولي قرآن إنعام
سلْ عهد شامي وبغدادي وأندلسي ... عن عمق فلسفتي عن عدل أحكامي
ما اخضوضر الشرق إلا تحت أقدامي ... وازهوهر الغرب إلا تحت أعلامي
تمشي البطولة والسحرُ الحلالُ معي ... فالأرض ملعب آسادٍ وآرام
نقشتُ في الشمس طغرائي وما برحت ... مرسومةً في جبين البدر أختامي
ما غيرتْ نكباتُ الدهر من شيمي ... وإن طوتْ في ثنايا التُرْب آطامي

ثم يفيد من هذا الزهو الحضاري في شفاء غليله من الممارسات القمعية التي يرتكبها الصهاينة والإنجليز والفرنسيون في حق بعض الدول العربية ، كالعدوان الثلاثي ١٩٥٦م ، على منطقة القناة وبورسعيد خاصة يقول:

حطمت أشرسَ ضارٍ في جزيرته ... ما ابتلَّ نعلي ولا دنستُ أقدامي
فارتد عن (بُرْسعيدٍ) جيشُه كَلِماً ... خُطَّت على الرمل أو أشباح أفلام
كم من نبضةٍ من فؤادي في عُمان لها ... قصفٌ يدك الصياصي في (بَكِنهام)
وزأرةٍ من جبال الأطلس اخترقت ... كالنصل سمعَ المصَلّي في (نُتردام)
لا أسأم الحربَ ما طالت وما حزَبتْ ... فالعام كاليوم ، حين اليوم كالعام

وحب القروي للحضارة الإسلامية دفعه إلى المواجهة مع الآخر **الغربي، المتباهي بحضارته المادية** ، راح شاعرنا يفضح هذه الحضارة الموهومة ، وينزع عنها أقنعتها الزائفة المؤسسة على الماديات والغرائز والرغبات أو النزوات **المحمومة** ، **فضلاً** عن إلحاق الفتك والأذى والقتل والتدمير بكل منتقد ممارستهم العدوانية ببعض الدول الضعيفة أو الشعوب المغلوبة على أمرها ،

تراهم قد جدُّوا في تسخير علومهم ومصانعهم لإنتاج الأسلحة التي تضمن لهم غزو البلاد ونهب ثرواتها ومقدراتها لصنع حضارتهم الزائفة ذات الوجه القبيح ، نلمح هذا في قصيدته (الأوربيون) التي نظمها عام ١٩١٤م عند نشوب الحرب العالمية الأولى، حيث يقول – من الكامل – : (٥٧)

ملكـــوا أزِمَّـــة كـــل علـــم ســـامِ والحـــرب تملكهـــم بغيـــر زمـــام
لـــم أدر قبـــل الآن أن حُلـــومَهُم وهـــي الجبـــال تخـــف كـــالأحلامِ
مـا كنـت أحسـب أن أعـلام الهـدى فـــي الحـــرب ترفـــع قـــانيَ الأعـــلام
زحفـوا إلـى سـاح الـوغي بمـدافع كالأُسْـــدِ رابضـــةً علـــى الآكـــامِ
بطشـتْ ومـا وثبـتْ ،فمـن أشـداقها إنْ زمجـر تْ يثـبُ الِحمـامُ الحـامِي
وصـــواعق الـــزبلِيْن عنـــد هُوِيّهـــا محتكـــــةٌ بفجـــــائر الألغـــــامِ
هاتيـك توغـل تحـت أطبـاق الثـرى نُـــزلاً ، وتلـــك تغيـــبُ فـــي الأجـــرامِ
تقـــفُ النفـــوسُ مكانهـــا مبهوتـــةً لـــم تـــدر كيـــف غـــدت بـــلا أجســـامِ
مـــن لـــي بطـــائرة لرفـــع القلـــب مـــن مهـــوى الشـــقاءِ وحمـــأة الآثـــامِ
مـــن لـــي بقنبلـــة لحصـــد الهـــم مـــن دنيـــا التعاســـة ، لا لحصـــد الهـــامِ
مـن لـي بمختَـرع يميـت الغـدر فـي ذئـبٍ ، وينفـي الـبطش مـن ضـرغام
ظفـروا بحاجـات الجسـوم وحاجـةُ الأرواح ، عاصـية علـى الأفهـام
فالجسـم فـي المنطـاد فـوق كواكـبٍ والـنفس فـي الأحقـاد تحـت رغـام
ربَّـــاه خُـــذ منـــا المعـــارف كلّهـــا وابـــدلْ بهـــذا الكـــل بعـــض ســـلام

وبوحي من هذه الأقنعة الزائفة والمخاتلة الكاذبة الواهمة التي بنيت عليها الحضارة الغربية – (أقصد حضارة الجسد والطلاء) وليس حضارة (الروح والجوهر والصدق) – بوحي من هذا رفض أن يسلم قلبه للفتاة الأوروبية ؛ مؤثراً عليها حب العربية الماجدة ، يقول– من الهزج– :

بنـــاتِ الغـــرب قلبـــي عنـــد أقـــــدامِ ابنـــــةِ العُـــــربِ
فـــلا تطمعـــن فـــي حُلُـــمٍ مـــن القـــرويّ بالحُـــبِّ
ولا تـــــأملْن إغرائـــــي فلـــن تفلحْـــن فـــي جـــذبي
نُفُـــورٌ فـــيَّ مـــنكنَّ غريـــبٌ يـــا ابنـــةَ الغـــرب

فســـــبحان الـــــذي شـــــاء فَأَنْـــــآكُنَّ عـــــن قلبـــــي[٥٨]

وتأتي قصيدته (إلى شباب العرب) [٥٩] محمسة ، وناصحة ، ومرشدة شباب الأمة العربية إلى ما فيه نهضتهم ووثبة بلادهم ، وهو في طريقه إلى ذلك فتح عيونهم على أمجادهم الساطعة ، وحضارتهم الزاهية ، ومدى ما أحرزه الأوائل من نهضة في مجال العلوم والقيم ومواجهة الأعداء ، وعلى المقابل كان تحذيره من الحضارة الغربية التي لا تحوي إلا الشرور والآثام ، وقتل النفس والروح معاً ، يقول رافعاً حديثه إلى الشباب العرب – من مجزوء الكامل–:

إن فاتـــــك الـــــرأيُ الســـــديد فخـــــذ بـــــرأي ذوي العقـــــول
ودع الغبـــــيَّ يقـــــولُ مـــــا شـــــاء التعصُّـــــبُ أن يقـــــول
إلحـــــق بشـــــاعرك الأبـــــ ـــــي وفيلســـــوفك يـــــا جهـــــول
مـــن ســـار خلـــف (الـــديك) [٦٠] **يعلـــم أيـــن آخـــرة الوصـــول**
هـــــلَّا ذكـــــرتَ فتـــــوحهم بالمشـــــــــرفية والقلـــــــم
أيـــــام هـــــزُّوا للعُلـــــى والعِلـــم فـــي الغـــرب العَلَـــم
جمعـــوا الـــذكاء إلـــى الوفـــاء إلـــى الإبـــاء إلـــى الشـــمم
قهـــروا العـــدى نشـــروا الهـــدى رضـــعوا النـــدى بـــدعوا الكـــرم
قُـــلْ لـــي بربـــك هـــل ربحـــت مـــن الغريـــب ســـوى المحـــن
وفـــــروغ جيبـــــك واليديـــــن وقتـــــل روحـــــك والبـــــدن
كانـــــت تـــــدرُّ الشـــــهد أرضُـــــك والســـــلافةَ واللـــــبن
فغـــدا الوقـــوف علـــى ربوعـــك كـــالوقوف علـــى الـــدِّمن

وهكذا تغنى القروي بالحضارة الإسلامية، والأمجاد العربية، والثقافة والقيم الروحية، ووضعها على النقيض من الحضارة الغربية المخاتلة الزائفة والموهومة، وهدفه من وراء ذلك كله هو نصرة القضية العربية، وتحميس الشباب العربي لإكمال مسيرة الآباء والأجداد، ولملمة الصفوف وتوحيد القوى العربية تحت راية واحدة ، لاسيما وعدوهم يتربص بهم الدوائر ، ويتفنن في غزوهم ونهب ثرواتهم ومقدراتهم ، وليس أدل على ذلك من إنشائه العديد من المصانع والهيئات والمؤسسات التي تنتج الشرور والآثام ، مسخرة العلوم لإنتاج ما يضمن مصلحتها وسيطرتها ؛ لا فيما يخدم البشرية ، أو يعود عليها بالنفع العام .

والقروي حين يقوم بهذا الدور إنما يبرهن على اعتزازه بأصوله العربية ، وانطلاقه من تراثه الإسلامي وحضارته الرائدة ، ثم على استيعابه ما

يتردد في محيطه من أفكار ونظريات وحركات تحررية ، بل مؤامرات يدبرها الغربي بليل للشعوب المغلوبة على أمرها.

د- استلهام الشخصية الإسلامية :

شاءت الأقدار أن يكون للعرب تاريخ مجيد، وحضارة ثابتة الدعائم زاهية الملامح ، قوية الأركان ، منحتهم مكانة سامقة بين الأمم ، وجعلتهم يشار إليهم بالبنان ، وشاءت الأقدار كذلك أن يعج تاريخهم الإسلامي بعبق الأمجاد ، والفتوحات ، والبطولات والأسماء اللامعة للقادة المخلصين لأمتهم وعقيدتهم الذين راحوا ينشرون – عملياً ونظرياً – قيمها ومبادئها وثقافتها الحية والخالدة ، وأثمر ذلك كله معيناً ثراً ، جدَّ مبدعو العصر الحديث في استلهامه ، وتوظيف ما رق وراق من كنوزه ؛ ربما لمباهاة الأجيال والعالم بأسره بأنهم ينتمون إلى أمة وحضارة ذات أصول ماجدة وجذور عريقة ، وإكمال مسيرة الآباء والأجداد ، وشحذ هِمَم الأجيال التالية ، وتدعيم وشائج القربى بين الماضي والحاضر ، وما إلى ذلك مما يدعم مقولة أنه كلما تنامت حدة الفجوة بين الماضي والحاضر ، ازدادت وتوثقت صلة المبدعين بتاريخ أمتهم وتراثها وحضارتها ؛ للبحث في تلافيف وأطواء هذا التاريخ عن الممكن ، والمثال ، والنموذج المستنير الذي يضمن ردَّ الكرامة ، وإعادة المجد والفردوس المفقودين ، لذا كانت رحلة الشاعر إلى التاريخ الإسلامي ، وإلى شخوصه ونبلائه ، بل ربما كانت مساحة استلهام الشخصية الإسلامية أكبر من غيرها الذي تعامل مع الحدث والموقعة والقيم الحضارية وما شاكل ذلك ، هكذا لمسناها عند شعراء المهجر الجنوبي وعند شاعرنا القروي على نحو خاص .

وتعد شخصية الرسول الكريم (محمد ^) في طليعة الشخصيات التي استدعاها شاعرنا ، وحظيت لديه بالقبول والتقدير ؛ لأنه – كغيره – رأى فيها الرمز الذي ينبغي أن تتحرك كل القضايا في اتجاهه[٦١]، فهو النموذج المحتذى الهادي الأوحد في الحياة كلها ؛ لاسيما وقد عاش القروي في ظل أوضاع سياسية واجتماعية وفكرية محبطة ، وتستدعي رفع معنويات الأمة وشحذ همتها ، فلم يكن أمامه إلا استدعاء أروع النماذج الهادية والقادرة على إقناع المتلقي العربي وإعادة التوازن إليه وربطه بماضيه المجيد الذي ازدان بنور النبوة المحمدية ، يقول القروي في قصيدته (عيد البرية)[٦٢]– من البسيط–:

عيـــدُ البَرِيَّـــةِ عِيـــدُ المَوْلِـــدِ النَّبَـــوِيّ ... فِـــي المشْـــرِقَيْن لَـــه وَالمغـــربيْن دَوِيّ

عِيـــدُ النَّبـــي ابـــن عَبْـــدِ اللهِ مَـــن طلعَـــتْ ... شَـــمْسُ الهدَايـــةِ مـــنْ قُرْآنـــه العُلْـــوِيّ

بَـــدَا مـــن القَفْـــرِ نُـــورَاً للْـــورى وَهـــدىً ... يَـــا للتمـــدُّنِ عَـــمَّ الكَـــوْنَ مـــنْ بـــدَوِيّ

يَـــا صَـــاحبَ السَّـــيْفِ لَـــمْ تُفْلَـــلْ مضَـــارِبهُ ... اليَـــوْمَ يَقْطُـــرُ ذلاً سَـــيْفُكَ الـــدَّمَوِيّ

يَـــا فـــاتح الأَرْضِ مَـــيْداناً لدوْلـــتِهِ ... صَـــارَتْ بـــلادُكَ مَـــيْدَانَاً لكُـــلِّ قَـــوِيّ

يَـاحَبَّـــذَا عَهْـــد بغْـــدادٍ وَأَنْـــدلسٍ عَهْـــدٌ بـــرُوحي أُفـــدِّي عَـــوْدَهُ وَذَوِيّ
مَـنْ كَـانَ فـي ريْـبَةٍ مـنْ ضَـخْم دَوْلَـته فَلْيَتْـلُ مـا فـي تَـوَارِيخِ الشـعوبِ رُوِي
يـــا قَـــوْمُ هـــذا مَسِيحِـــيٌّ يُـــذَكِّرُكُمْ لَا يُـــنْهض الشَّـــرْقَ إلاّ حُبُّنـــا الأَخَـــوِيّ
فَـــإِنْ ذكـــرتُمْ رَسُـــول اللهِ تَكْرمـــةً فَبَلِّغُـــوهُ ســـلام الشـــاعر القـــروي

ومرة أخرى وجدنا نور النبوة يفيض فيعم البطاح والقمم؛ لينبئ بأنه من دوحة المروءة والكرم ، يقول – من مجزوء الكامل – [٦٣]:

نـــور النبـــوة فـــاض مـــن عهـــد المـــروءة والكـــرم
يطغـــى بـــه مـــوجُ الضـــيا ء ، مـــن البطـــاح علـــى القمـــم
طلـــع الهُـــدى مـــن شـــرقنا والغـــربُ يخـــبط فـــي الظُّلَـــم

ويستثمر استدعاء شخصية النبي الكريم في معالجة بعض قضايا الوطن وهموم العربية ، كالتشوق إلى تحقيق الوحدة الإسلامية والعربية، والذي يمثل محمد–ﷺ– خير الرموز التي تمثلها، يقول في قصيدته (عيد الفطر) [٦٤] – من الطويل –:

أُكـرِّم هـذا العيـد تكـريم شـاعرٍ يتيـــه بآيـــات النبـــي المعظـــم
ولكننـــي أصـــبو إلـــى عيـــد أمـــةٍ محـــرَّرة الأعنـــاق مـــن رقِّ أعجمـــي
إلـــى عَلَـــمٍ مـــن نســـج عيســـى و(آمنـــةٌ)فـــي ظلـــه أخـــت (مـــريم)
هبـونيَ عيـداً يجعـل العُـرب أمـةً وسـيروا بجثمـاني علـى ديـن بَـرْهم!
فقد مزقت هذي المذاهب شملنا وقـــد حطمْتنـــا بـــين نـــابٍ وَمَنْسِـــم

وحينما زحف القائد سلطان الأطرش برجاله على السويداء ؛ لإنقاذ الأسير الذي اعتقلته السلطات الفرنسية في بيت السلطان ، خارقة بذلك حرمة الضيافة العربية المشهورة، والذي انتهى بدحر الفرنسيين وهروبهم ، آنئذٍ نظم القروي قصيدة عنوانها : (السلطان الأطرش والتنك) [٦٥] – من الوافر– يمجد فيها مسعى الأطرش ، ويبارك زحفه ونتائجه ويرسم بطولته مع جنوده رسماً ينبئ بالشجاعة والإقدام والحماسة... إلخ، ومع ذلك لم ينس أن ينصحه أن يجعل الرسول– ﷺ– قدوته وإمامه ورمزه الموحِّد للعروبة والمسلمين ، والمخلص من الاستعمار والاستبداد ، نلمح ذلك في مثل قوله :

إذا حاولت رفع الضيم فاضرب بسيف محمد واهجر يسوعا

وقد لاحظنا أنه – في المثالين السابقين على الأقل – كثيراً ما يربط بين شخصية الرسول – ﷺ – وعيسى أو «يسوع» –عليه السلام–، وأحياناً (مريم) مع (آمنة) ،وهذا إن دل فإنما يدل على عمق النظرة ، واتساع الرؤيا ، وإغراق في التفكير لإصلاح مجتمعات مأزومة كان الإسلام في طليعة تأثراتها ، ويلزم هنا أن نشير إلى أن قصائده في المدائح النبوية ، يُمثل استدعاء شخصية الرسول محمد –ﷺ– محور ارتكاز أصيل فيها، وقد عرضنا لها سابقاً ، فلا داعي لتكرار القول فيها خشية الإطالة .

وحينما أراد الحديث عن التضحية ، والفداء ، والخلاص ، والصبر على الصلب والمعاناة في سبيل تحمل البلاء والخطايا عن الآخرين ، استدعى شخصية المسيح عيسى–عليه السلام– ، يقول في قصيدته (رسم)[٦٦] – من الطويل – :

سأضربهم من خاطري وتنهدي ومن أدمعي بالبرق والرعد والسُّحْبِ
وأنشبُ كفّي بين جنبيَّ حاملاً على القلب علّي استريح من القلبِ
يعذبني هذا الشقيُّ مكلِّفي أناةً على الأعداء ليست على الصحبِ
ويطلب مني أن أغضَّ على القذى وأذكر إني لستُ أحسن من ربي
رويدكَ يا قلبي فلستَ مُجَرِّبي وما أنا من يرض بمركبك الصعبِ
لئن كان قومي كاليهود ضلالةً أتحسب لي صبر المسيح على الصلبِ؟!

وتتوالى استدعاءات يونس، وداود، وأيوب، وسليمان، ويوسف، ومريم، وكلها تجسد رموز البطولة، والصبر والجمال وصنع المعجزات والطهر والعفاف وجمال الصوت وحسن الإنشاد، كما هو واضح في شخصية داود التي استدعاها القروي حين قال[٦٧] جامعاً بين شخصيات عدد من الأنبياء بينهم داود – من الطويل– :

فلاح لعيني في الدُّجُنَّةِ مشهدُ غريبٌ تقوم النفس منه وتقعدُ
و(داود) أستاذ المغنين منشداً و(أيوب) في أوجاعه يتنهَّدُ
وطارث إلى القرآن منه شرارةٌ تلاقي بها (موسى) و(عيسى) و(أحمد)
ومحَّصَتِ النيرانُ محكمَ آيهم كما من تراب الأرض مُحِّصَ عسجَدُ
فلم يبق من أقوالهم غيرُ لفظةٍ تَخرُّ لمعناها القلوبُ وتسجُدُ
أحاطت بجو اللانهاية فاغتدي بقوسيْن من حاءٍ وباءٍ يُحدَّدُ

وكما استدعى القروي شخصيات الرسول – ٨– والأنبياء الكرام ، استدعى كذلك بعض شخصيات الصحابة التي لعبت دوراً مهماً ومؤثراً في مسار التاريخ العربي ، وفي بلاد الشام خاصة ، من مثل شخصية خالد بن الوليد ، وطارق بن زياد ، وصلاح الدين الأيوبي ، وهارون الرشيد[٦٨] ، وما إلى ذلك .

لنـــا كـــل يـــوم غضـــبةٌ مضـــريةٌ تبـــرهن أن الحـــق كـــالله أكبـــر
نُخَبـــئ فـــي أطمارنـــا كـــل ضـــيغمٍ يعـــرفكم عـــن نفســـه حـــين يـــزأر
ومـــن كـــان فـــي أجـــداده مثـــل(خالـــد) فمـــن آيـــه مـــا تبصـــرون وأكثـــر

وفي قصيدته (منطق الغرب) التي يفاخر فيها بأبناء الأمة ، ويفضح الإنجليز (أصحاب وعد بلفور المشئوم ، وما صنعه الصهاينة في فلسطين – نراه يستدعي شخصية خالد بن الوليد ،

فـــــي فلســـــطين آيـــــةٌ للرســـــــول المنـــــــافقِ
سُـــــجِّلت فـــــي صـــــحائف مـــــن قَتـــــام الحرائـــــق
رتَّلـــــــــتهنَّ للـــــــــورى فُوَّهـــــــات البنـــــــادق
وروتْهـــــــــنَّ ألْسُـــــــــنٌ مـــــن حبـــــال المشـــــانق
....
هـــا هـــو الأمـــس أمســـكم مـــــاثلاً لـــــم يفـــــارق
هـــا ميـــامين (خالـــد) هـــا مغـــاوير (طـــارق)

وحينما يتحدث عن القدس تقفز إلى ذهنه شخصية الناصر صلاح الدين الأيوبي ؛ لما لها من دور مهم في استعادة أو استرجاع بيت المقدس ، وتطهيره من دنس الصليبين ، وكأن شاعرنا في هذا يلقي باللائمة على الشعوب العربية التي لم تفلح – وهي مجتمعة – في استنقاذ بيت المقدس ، وفك أسره من قطعان الصهاينة ، أو أنها عجزت مجتمعة عما قام به فرد واحد هو صلاح الدين الأيوبي، وكأنه أيضاً يتطلع ويحلم بقائد مُخَلِّصٍ ، قادر على تجسيد أحلام الأمة وطموحاتها ، هذا يمكن أن يفسر لنا سر إعجابه ومدحه السلطان الأطرش الذي هاجم

فخالد بن الوليد هو رمز المروءة والشجاعة وعلو الهمة ، وهو بطل مسلم غيَّر مجرى الأحداث التاريخية على عهده ، ومن ثم استثمر القروي هذه الشخصية ، ليواجه الأمة تارة ، وليذكّر الأجيال بماضي المسلمين المشرق ، وبأنهم قادته وأبطاله تارة أخرى ، تراه يقول في قصيدته : (جزى الله)[٦٩] – من الطويل –:

وطارق بن زياد مشيداً بأبنائهم المناضلين على دروب الخلاص والتحرير ، فيقول – من مجزوء الخفيف– :(٧٠)

الفرنسيين في بعض المواقع ، وأحرز معهم عدة انتصارات ، فلربما خاله القروي بطلاً يمكنه إعادة

وحسام (سلطان) وهل من سامع
مَـلَّ القـراب إلـى الرقـاب تشـوقاً
فَنَضَـاه يُـذكِرهم صـلاح الـدين فـي
ومشـى إلـى الهيجـاء يضـحك واثقـاً

كما مثَّل الخليفة هارون الرشيد إحدى الشخصيات المهمة التي استدعاها القروي وأحسن توظيفها في معالجة هموم الأمة ، ربما لأن هذه الشخصية ترمز إلى الحنكة ، والصلاح، والحكمة في إدارة شئون البلاد ، وسوس الرعية بالعدل والإخلاص في العبادة ، وربما أخيراً لكونها رمزاً

فلكـــم بـــأكواخ الشـــقاء وأهلـــهِ
لـــم يحـــظ هـــارون الرشـــيد بكســـرةٍ

وهكذا استدعى شاعرتا القروي مجموعة هائلة من الشخصيات الإسلامية بدءاً من الرسول الأعظم –ﷺ– ، وانتهاءً بشخصيات بعض الخلفاء والقادة الذين غيروا مسار التاريخ، وقد استثمر استدعاءاته لها لصالح الهموم الجمعية والعربية، وربما كان هذا نابعاً من تشابه التجارب ، للإيماء إلى وحدة التجربة الإنسانية ، لكننا لاحظنا أن تقنية الاستدعاء كانت تتم عبر اللقب (كالمسيح وصلاح الدين ... إلخ) تارة ، وعبر العلم أو الاسم (محمد – عيسى – مريم – يونس – داود ... إلخ) ثانية ، وعبر بعض الصفات الروحية والرمزية ثالثة مثل (نور الهدى) و(الهادي) ، وعبر الإلماح إلى بعض المعارك والمواقع الحربية والفتوحات والأمجاد العربية تارة أخرى ، وقد راعى الأمجاد والمآثر كصلاح الدين الأيوبي ، نراه يقول في قصيدته (الحق لا يتجنَّس)[٧١] – من الكامل:

بحســـام (ســـلطان) ولا يـــتحمس
ملـل الصـبيّ ، عليـه طـال المحـبس
ضـــرباته لمـــا رآهـــم قـــد نســـوا
بالنصـر لـيس بمـؤمن مـن يعـبسُ

لاخضرار الحياة ونعومة العيش وسعة الرزق ، تراه يقول في قصيدته (كم هاتف)[٧٢]– من الكامل:

لـــك مـــن عشـــاءٍ فـــاخر الألـــوان
منـــــه ولا كســـــرى أنوشـــــروان

في ذلك الوضوح والشهرة التي تناسب أحوال الجماهير العربية ومدى ثقافتها غير المعمقة غالباً .

ثالثاً : أهم القضايا الإسلامية :

أ– الدفاع عن الإسلام ومناهضة الغزو الفكري :

منذ الحروب الصليبية وحتى العصر الحديث كانت الحملات الغربية (تبشيرية واستعمارية) تحاول زعزعة استقرار وكيان الأمة الإسلامية ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً، تارة بالحملات العسكرية وتجييش الجيوش، وثانية بغرس بذور الانفصال والفتنة بين أبناء الأمة الواحدة ، وثالثة بجلب نظريات هدامة تطعن الدين في الصميم ،

كنظرية (كارل ماركس) التي ترى الدين مخدراً للشعوب ، أوْ خرافة ووَهْماً ، حتى صارت هذه المقولة فيما بعد من أهم وأبرز شعارات الشيوعية[٧٣] ، وتارة أخرى بترويج بعض الآراء المنحرفة والشائنة ، كرأي (كرومر) القاضي بأن المسلمين لا يمكن أن يرقوا في سلم الحضارة والتمدن إلا بعد أن يتركوا دينهم ، ويدعوا القرآن وأوامره وراء ظهورهم ؛ لأنه يأمرهم بالخمول والتعصب ، وأن الإسلام يناقض مدنية العصر ، وأن الشريعة الإسلامية هي شريعة صحراوية»[٧٤].

أمثال هذه الحملات قد أيقظت الأمة الإسلامية ، ونبهت شعوبها ، ووجهت مشاعرها نحو المواجهة والتصدي ، وكان النصيب الأوفى للقلم والكتابة ، وأمر طبيعي أن يتزعم المسلمون عملية المواجهة ، وأمر غير متوقع أن تهب بعض الأقلام والقرائح الشاعرة المسيحية للدفاع عن عرين الإسلام وقيمه وتعاليمه ؛ وما ذلك إلا من باب حبهم لسماحة الإسلام ، واعتناق بعضهم للعقيدة وتأثرهم بمنهجه المتكامل ونظرياته الأصيلة في التربية والأخلاق ، والسلوك ، والاجتماع ، والاقتصاد وما إلى ذلك مما يتقاصر أمامه خَطْوُ النظريات الأخرى.

وكان شعراء المهجر الجنوبي عامة ، والقروي خاصة في طليعة الأقلام والكلمات التي جندت نفسها لصد هذه الهجمات الشرسة على الإسلام وأهله، فالقروي راح يرد على مَنْ يزعم أن تخلف الأمة الإسلامية والعربية راجع إلى تمسكهم بالإسلام ، يقول في قصيدته (الناخلة) [٧٥] – من الكامل– :

زعموا بلاءَ الشرق من أديانه ... ومرادهم دينٌ من الأديان

متعصبون ويدَّعُون تساهلاً ... دعوى الذئاب وداعة الحُملان

حتى إذا طلعت عليهم حجتي ... وانشق للمرتاب فجرُ بياني

وتكشف النورُ الذي حلموا به ... عن قسْطلٍ متلبّدٍ وَدُخَان

فزعوا إلى القوم الذين عهدتُهم ... لكرامتي فوجدتُهم لهواني

ثم يهاجم اليهود، والاستعمار، وأذنابهم ، وعملاءهم ، وعابدي أصنامهم من المتاجرين بدماء الشعوب وكراماتهم، ويشبههم في حملاتهم على الأحرار وأنصار الحق والفضيلة بالكلاب الصغيرة المدللة التي تهجم على عجلات القطار أثناء جريه السريع ، ثم يغمز الطبقة المترفة (الارستقراطية) التي تستأجر بعض الأقلام والمؤسسات الصحفية والإعلامية للترويج لهذه الحملات ، وتجميل وجوهها القبيحة فيقول في القصيدة نفسها :

قل لليهود وعابدي أصنامهم ... من كُلِّ هضَّام الحقوق أناني

ولمـــن يتـــاجر بـــالعُلا معقـــودةً بسلاســـلٍ كتمـــائم الصـــبيان
مـــن طالـــبِ النيشـــانِ حتـــى صـــاحب النيشـــان حتَّـــى واهـــب النيشـــان
أمـــوالكم وضـــياعُكم وقصـــورُكم عنـــدي وحبَّـــةُ خـــردلٍ ســـيّان
قالوا:ســـكتَّ ، فقلـــتُ: أيُّ عجيبـــةٍ فـــي فُحـــش فـــاجرةٍ ، وصَـــمْت حَصَـــان
أيُـــزيحُ قـــاطرةَ الحديـــد مُـــدلَّلٌ عـذبُ الـهرير يعـيش فـي الأحضـان!
وتخيـــف قبعـــةُ الحريـــر ســـميذعاً صـــالتْ يراعتـــه علـــى التيجـــان
الحـــقُّ ســـلطاني ولســـتُ بحـــاذرٍ فـــي الحـــق ســـلطاناً ســـوى ســـلطاني

ويعتز بالإسلام ديناً وعقيدة ، ويمجد قيمه وتعاليمه ، ويشغل قلبه بحب المصطفى –^– ، بل غدت عروبته وإسلامه مثله الأعلى ، يقول في قصيدته (عودة الشاعر) – من البسيط– :(٧٦)

مَن يَبْكِ عهدَ المَوامِي والدُّمَى فأنا والحَمْـدُ لِلَّهِ قـد حطَّمْـتُ أصـنَامِي
شـــغلتُ قَلبِـــي بحـــبِّ المصـــطفى عروبتـــي مَـــثلِي الأَعْلَـــى وَإِسْـــلاَمِي
قُـل للأُلـي سـخروا بـي وازدروا أدبـي مـــن خـــائنٍ وشـــعوبيٍّ ونظَّـــامِ
وكُـــلُّ هَشَّـــامِ أعـــراضٍ لـــه قلـــمٌ وَغْـدٌ ولـيس لـه عـرضٌ لهشَّـام
وشـــامتٍ بـــيَ مســـرورٍ بحزْنِـــيَ مستَشْـفٍ بـدائيَ ، ملتـذٍّ بـآلامي
قولـوا لـه عربـاً تقضّـوا عليـه فـإن يســـلمْ فثنّـــوا بقـــرآن وإســـلام
كـم مـن سـيوفٍ علـى أعـدائكم صِـيغَتْ مضـاربُها مـن قلبـي الـدامي

وكان من صور دفاع القروي عن الإسلام عقيدة، ومنهجاً، وثقافة، وحضارة، تناوله التاريخ الإسلامي بأحداثه وشخوصه ومواقفه ورموزه، وإشادته بالحضارة الإسلامية في مقابل التنديد بزيف الحضارة الغربية وما إلى ذلك مما مررنا عليه سابقاً، ويكفينا هنا الائتناس ببعض النماذج، يقول في رباعيته (عش للعروبة) [٧٧] – من مجزوء الكامل – مؤكداً اعتزازه بعروبته ومجده الإسلامي:

عـــشْ للعروبـــة هاتفـــاً بحياتهـــا ودوامهـــا
وامـــدُدْ يمـــين الحـــب يـــا لبنانَهـــا لشـــآمِها
انظـــر إلـــى آثارهـــا تنبئُـــك عـــن أيامهـــا

وكانت هناك عدة صور تجسد مدى دفاع القروي عن الإسلام وحضارته وقيمه وتعاليمه، كتغنيه بالمدن الإسلامية المشهورة ، ودفاعه عنها وعن نهضتها من أمثال (الأندلس ، الشام ، العراق ، مصر ، الحجاز ، والجزيرة العربية) ، ودفاعه كذلك عن اللغة العربية ، والشعر المحافظ الملتزم ، وما إلى ذلك مما عرضنا له سابقاً في المبحث الثاني ، ومن ثم فلا داعي لتكرار الكلام ؛ لأن ما سبق يحقق المطلوب .

ب- الدعوة إلى الوحدة وإقامة دولة الخلافة:

كان لضعف الخلافة العثمانية ، وعدم قدرتها على النهوض بأعباء الأمة الأثر العميق في صفوف الجماهير العربية المتعطشة إلى الحريات، والانضواء تحت راية واحدة تسمح باحتواء الجميع ، وتبعد عن الساحة شبح العنصرية والمذهبية الطائفية ، الأمر الذي شجع على تعالى الصيحات المطالبة بالوحدة العربية والإسلامية ؛ لاسيما والعدو الصهيوني يرقب المواقف ، ويحفظ ويحيك المؤامرات والدسائس، ويدبر الأمور بليل ؛ ليوقع الفتن التي تضمن له بقاء مصالحه ونفوذه ؛ الأمر الذي جعل الشعراء المهجريين – وشاعرنا من بينهم- خاصة يلهجون بالوحدة والعروبة ، ويحمسون أبناء الأمة ، ويفتحون العيون على بؤر الفساد التي يلزم تلاشيها ، وأصبح من الطبيعي – والحال هذه – أن تجدهم يربطون بين العروبة والوحدة العربية ، والوحدة الإسلامية ، وفي تصورهم أن هذا كله من قبيل الترادف الذي يستقطب في النهاية إقامة دولة الخلافة ، وكان القروي من أبرز شعراء المهجر الجنوبي الداعين إلى التوحد ولم الشمل ، والساخطين على التشرذم والانقسام ، والمتطلعين مع الجماهير العربية إلى تحقيق الوحدة العربية والإسلامية ، متكئاً في هذا على ترديد عدة محاور وأفكار يمكن إجمالها في:

- حفز الهمم واستنهاض العزائم .
- الدعوة إلى الوحدة والسخط على الانقسام.
- مقاومة المستعمر وفضح مخططاته ومؤامراته .
- مقارنة الماضي بالحاضر .
- المقارنة بين الحضارة الشرقية والحضارة الغربية .
- مقاومة النعرات الإقليمية (كالفرعونية والفينيقية والآشورية ... إلخ).
- توضيح وظيفة الأدب ورسالة الأديب الإصلاحية .

وإليك بعض النماذج التي تدعم ما نقول : ففي مقطوعته (الحمد للجوع)[٧٨] نراه يمجد الجوع أو يثني على الفقر ؛ لأنه من وجهة نظره قد يكون سبب توحد الأمة وائتلافها وإيقاظها من غفوتها ، ولأنه استطاع أن يحقق ما عجزت عنه الخطب الطنانة، والكلمات الرنانة ، فالجوع وهو دليل وأمارة صادقة على الخُطُوب كان أبلغ بيان وأنصع خطاب داعٍ إلى التوحد ، وترك

التدابر والتشاحن عند تحديق الخُطُوب ، يقول القروي:

**الحمد للجوع حمداً واضحَ السبب		إن كان أيقظكم يا معشَر العرب**
**إني لأحمده من أجل عصبتكم		وإن يكن عضَّ إخواني ومضَّ أبي**
**قد اجتمعتم على خيرٍ ولا عجبٌ		فكم أتى الدهر قبل الآن بالعجب**
**داء التفرق لم تنجع به خُطَبٌ		وفي الخطوب دواءٌ ليس في الخُطَب**
**أثماركم سقطتْ ما ذاقها أحدٌ		في الناس فاعجب لكرمٍ مُجْدِبٍ خَصب**
**ما لابن آدم إلا ما يجودُ به		إن الذهاب لمشتقٌّ من الذَّهَب**
**غداً تبرهن أيدى المحسنين لنا		أأعجميٌّ هو السوريُّ أم عربي!**

وحينما تمت الوحدة بين مصر وسوريا (عام ١٩٥٨م) ، وتوحد القطران تحت عنوان (الجمهورية العربية المتحدة) آنئذٍ استبشر القروي، وتفاءل بأن تكون هذه الوحدة إرهاصة أو تمجيداً لقيام وحدة عربية إسلامية تنضوي كل الشعوب تحت لوائها .

لقد استثمر هذه المناسبة لينظم مقطعةً عنوانها (باسم العروبة)[٧٩] – من البسيط– ألقاها ضمن خطاب له سنة١٩٦٠م في القاهرة، وفي حفل عظيم مهيب ضم الآلاف من الجماهير العربية المتعطشة للتوحد ، والساخطة على النعرات والعصبيات ، راح يقول كاشفاً عن ابتهاجه بهذا الحدث ، وبالزعيم جمال عبد الناصر راعى هذه الوحدة آنئذٍ :

**باسم العروبة بعد الله أفتتحُ		لله ثم لعيدِ الوحدةِ السُبَحُ**
**شرحتُ صدري لها طفلاً وهلْ بسوى		ذكر العروبة صدرُ الحر ينشرحُ**
**كم جرعتني ليالي بؤسها ترحاً		فحقَّ لي في ليالي عُرسها الفرحُ**
**حسبي اسمها يا نديمي إنني ثمِلٌ		كالشاربين ولا خمرٌ ولا قدحُ**
**أما سمعت (جمالاً) وهو يسفحُهُ		والشعب مغتبقٌ ومُصْطَبحُ**
**أسقطتُ دعواي يا دنيا فهاك يدي		لم يبق لي ألمٌ يُشْكَى ولا جُرُحُ**

وقبل هذا الحدث بعامين – أعني في سنة ١٩٥٦م– كانت بعض الدول تتعطش وتتطلع إلى أمر الوحدة العربية ، وكانت تهيئ الأجواء لذلك ، وتحاول بكل سبيل نزع فتيل العنصرية والطائفية التي يمكن أن تشكل عقبة كأداء تقف معترضة تحقيقها ، فقط كان هناك زعيمان عربيان هما (الحسين بن طلال ، وفيصل بن غازي) يعارضان هذا التوحد ، يعملان على تمزيق هذه الوحدة تنفيذاً لمخططات الإنجليز ورغباتهم ، وسط هذه الأحداث الخطيرة في دنيا العرب ، وتحت مظلة السماوات العربية والإسلامية الملبدة بالغيوم والضبابية ، انتفض القروي ونظم مقطعة عنوانها (آية البعث)[٨٠] يكبر فيها أمر الوحدة ، وينعي على التشرذم والتفسخ ، ويشيد بخطاب السيد أنور السادات وزير الدولة آنئذٍ ورئيس المؤتمر الإسلامي ، وبخطاب غبطه البطريرك الماروني (بولس المعوشي) الذي ألقاه في قصر (بكركى) في لبنان ردًّا على خطاب السادات ، وقد حمل الخطابان معاً آيات واضحات من آيات التسامح الإسلامي ، جاء في هذه المقطعة – من البسيط – :

النصرُ ما نـزَّل القرضابُ سُورتَهُ ... والفجرُ ما أذَّن الضِّرْغامُ لا الديكُ

غنَّى (جمال) على الدنيا بشائره ... حتى الأيمةُ غنَّتْ والبطاريكُ

وأشرقت من(بِكِرْكى) الشمس وانفتحت ... على العقول الحبيساتِ الشبابيك

شِبْلَي (طلال وغازي) لا عدمتكما ... حتَّام هذي الأباكي والأضاحيكُ!

يا ويح سبطي رسول الله غرَّهما ... مالا يُغَرُّ به إلا الصعاليكُ

مضاجعُ الذُّلِّ ما ترضون أم سُرُرٌ ... أنتم عليها ملوك أم مماليكُ؟

أبطالُ يعربَ للثارات زاحفةٌ ... صفًّا وأنتم مقاطيعٌ متاريكُ!

وتأتي قصيدته (الهاشمية)[٨١] – من الكامل – لتترجم مدى احتفائه واستجابته للنهضة العربية، والثورة الحجازية التي قام بها الشريف حسين (١٩١٦م)– مع أهله وذويه– لتحرير العرب من نير الترك في أعقاب الحرب العالمية الأولى ، ولعله رأى في هذه الثورة بداية خروج الأمة العربية والإسلامية من حالات التململ ، والتي تنتهي بها (بداية الخروج) إلى تحقيق الوحدة، وإعادة دولة الخلافة الإسلامية، وعلى أية حال فالقصيدة تجسد كذلك طموحات وأحلام القروي المتصلة بحال هذه الأمة ، ونقتطع منها قوله مستدعياً شخصية هارون الرشيد ، رامزاً بها إلى الحسين بن علي شريف الحجاز ومكة .

عـادَ الرشـيدُ وعـادَ بـاهرُ عصـرهِ ... سـبحانَ مـن بعـثَ الحسـينَ لنشـرهِ

الليـلُ خـيطٌ مـن حـداد مغيبـه ... والصـبحُ سـهمٌ مـن أشـعة فجـرهِ

مـا بـين مكـة والشـآم تنـافسٌ ... هـذي بغوطتهـا وتلـك بـذكرهِ

ذكـر تضـوع فـي الجزيـرة ناشـراً ... فيهـا رفـاتَ العاطفـات بنشـرهِ

مشـت البشاشـة فـي طليعـة ... كـالعطر يُنْشَـقُ قبـل رؤيـة زهـرهِ

يُعطـى فـيملأه سـرور عُفاتِـه ... طربـاً كـأن قلـوبهم فـي صـدرهِ

ملـكٌ علـى الإسـلام أبـدى غيـرةً ... قـرّت بهـا عـينُ الرسـول بقبـرهِ

نصـر المـروءةَ فالمسـيحُ وأحمـدٌ ... يتبـادلان التهنئـاتِ بنصـرهِ

لمـا رأى الـدين الحنيـف مُهَـدَّداً ... ورأى المهـدِّدَ مُـمْعِناً فـي كُفْـرِهِ

ورأى العروبـةَ تسـتعين بربِّهـا ... مـن جَـوْر طـورانِ الغريـب وغَـدرِهِ

لبَّـى فجـرَّدَ سـيفه مـن غمـده ... بـل قُـل فجـرَّد عَزْمـه مـن صـبرِهِ

ودعـا الأسـودَ مـن القفـارِ فَـأَقْبَلُوا ... يتسـابقون إلـى إطاعـة أمـرِهِ

يـا دوْحـة الفضـل التـي فـي ظلهـا ... نَقْـوى علـى حَـرِّ الزمـانِ وقَـرِّ هِ

أدركـت شـأواً لـيس يـدرك راصـد ... فـوق النجـوم الزُّهْـرِ أَدْنَـى زَهْـرِهِ

هـذي إليـك يتيمـة مـن مُعْـدَمٍ ... تَـزدَانُ تيجـان الـملوكِ بِـدرّهِ

مَـنْ جَـوِّ لبنـان استمد سـناءَهَا ... واختـار لؤلـؤَ عقـدها مـن بحـرهِ

..... القصيدة .

هكذا ، وعلى الرغم من تقارب أفكار هذه الظاهرة ، وتداخل بعض المصطلحات أحياناً (كالعروبة التي تتداخل مع القومية أو الإسلامية) كان تحمس شاعرنا ومناداته الجهيرة بتحقيق الوحدة ؛ إعلاء للأمة ، واسترداداً لحقوقها السليبة ، من الممكن أن تكون بعض طموحاته وأمنياته قد تحققت ، ولو بنسبٍ خَجْلى ، ومن الممكن كذلك أن تكون صيحاته وهتافاته قد ذهبت في مهب الريح ، أوْ في وادٍ أجوف لا يصل أو يتردّد فيه صدى ، لكن حسبه أنه كان صادق العاطفة والشعور ، وعينه كانت مفتوحة دائمة على نهضة الأمة وتحقيق خلاصها ووحدتها العربية أو الإسلامية .

جـ – مقاومة المستعمر :

منذ الحرب العالمية ١٩١٤م ، ومروراً باتفاقية تقسيم تركة الرجل المريض الذي دخل الحرب إلى جانب ألمانيا وخسرها ، والمعروفة باسم (سايكس بيكو) ، ثم ما أعقب ذلك من استصدار بريطانيا وعد بلفور الأشأم ١٩١٧م ، الرامي والقاضي بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين ، وإلى إن وقعت بعض الدولة العربية – أوْ جلها– فريسة للمستعمر الغربي ، من أمثال (مصر وسوريا ولبنان والعراق والمغرب وليبيا ...) منذ ذلك الحين والأحداث ، كانت الثورات العربية التحررية لا تهدأ ولا تستكين ، وكانت الحركات المقاومة – بكل ما أتيح لها مادياً ومعنوياً – لا تمل ولا تهدأ من التصدي ، ومناهضة الصهاينة في فلسطين تارة ، والمحتل على أراضيها تارة أخرى ، مثل هذه الأجواء والمناخات شكلت وعياً جديداً لدى الجماهير العربية ، وخلقت أمام الكتاب والمفكرين والمبدعين مساحات جديدة للقول ، الأمر الذي ألقى بظلاله على خط سير العملية الإبداعية (والشعر منها خاصة) الحديثة ، فوجد ما يسمى بأدب التحرير أو المقاومة – وإن كان لذلك جذورٌ قديمة ، لكنها لم تتعملق فتصبح اتجاهاً مميزاً بملامحه وسماته الخاصة التي تميزه وتفرده عن غيره ، والذي صار موضوعاً رئيساً على خارطة الأدب العربي الحديث ، وفيما يتصل بالحركة الشعرية ، وجدنا الشعراء يهبون فيحمسون ويطالبون الجماهير العربية بالتصدي ، وإنفاذ الأراضي والثوابت والمقدسات ، ومع التحميس والتحريض كان رثاء الشهداء ، ومباركة الجهود ، وتسجيل الأحداث والوقائع ، ورصد البطولات والمعارك على مستوى الأصعدة والبلاد العربية المجاهدة لتحقيق الخلاص ، ثم التغني بالانتصارات والأفراح ، وما إلى ذلك مما لمسناه عند الشعراء العرب عامة ، والمهجريين خاصة ، وكان القروي في طليعة هؤلاء الشعراء الذين مجدوا الجهاد ضد المستعمر ومقاومته ، بل لا نبالغ إذا قلنا أنه كاد ينفرد بحمل راية الجهاد ضد المستعمر من بين شعراء المهجر الجنوبي خاصة ، غير أنك تلاحظ أن قصيدته الجهادية يمتزج فيه الحس الثوري المقاوم مع الحس السياسي و الحس العروبي ، مع التمتع أحياناً بنظرة شمولية ، لا تركز ضوءها على العملية المقاومة فحسب ، إنما تفتح المجال أمام أية صورة من صور الجهاد بالنفس أو بالسلاح ، أو بالنفيس والمال ، لا علينا ، الكل يكافح ، وبالوسائل المتاحة ، والكل عليه أن يدرك أنه أمام عدو لا عهد له ولا ذمة ، اقرأ مقطعته (رفاق الجهاد)[٨٢] – من المتقارب – تلمس ذلك على الفور :

رفاق الجهاد ارفعوا الرايتين فقد حقَّق الله نصف الأملْ

وجـــاء البشـــير بـــنقض القـــرار فزحـــزح عـــن كـــل صـــدرٍ جبـــلْ
ولكننـــا لـــم نـــزل فـــي الطريـــق ولـــن نغمـــد الســـيفَ حتـــى نصـــل
فقـد رضـع الغـربُ نكـثَ العهـود وإنَّ لنـــا كـــل يـــوم مثـــل
فـــإن ســـرَّكم أننـــي شـــاعرٌ فـــأعظم ممـــن حكـــى مَـــن فَعـــل
تضـــيع منـــابرُ أهـــل الكـــلام أمـــام ميـــادين أهـــل العمـــل
وقـــرش الزكـــاة بكـــفِّ الـــجواد كســـيف الجهـــاد بكـــفِّ البطـــل

ومن وحي (وعد بلفور) [٨٣]المشئوم كانت قصيدته التي راح فيها يهاجمه ، ويهاجم بريطانيا ، ويُنـدِّد بصـنيعها ، وسياسـتها الخرقـاء الكاذبـة التي تعلن فيها ظاهرياً أنها تبني وتعمر وتقف إلـى جـوار الشـعوب المغلوبـة علـى أمرهـا ، فـي حـين أنهـا تـدمِّر وتهجـر وتشـرد ، ومـا صـنائعها بفلسـطين والقـدس علينـا بعزيـزة، يقـول – مـن الكامل– :

الحـقُّ منْـكَ ومـن وُعُـودِكَ أَكْبَـرُ فاحسِـبْ حسـابَ الحـقِّ يـا مُتَجَبِّـرُ
تَعِـدُ الوُعُـودَ وتَقْتَضـي إنْجازَهـا مُهـج العبـادِ، خسِـئْتَ يـا مُسْـتَعْمِرُ
لـو كُنْتَ من أهل المكارمِ لـم تكُنْ مـن جَيْـبِ غيـرِكَ مُحْسِـناً يـا (بُلْفُـرُ)
عِـدْ مَـنْ تشـاءُ بمـا يَشَـاءُ فإنَّمـا دَعْـوَاهُ خاسِـرَةٌ وَوَعْـدُكَ أَخْسَـرُ
فلقـدْ نفُـوزُ ونحـنُ أضْـعَفُ أُمَّـةٍ وتـــؤُوبُ مغْلُوبـــاً وأنـــتَ الأَقْـــدَرُ
فلكـمْ وَقَـى مُتَواضِـعاً إطراقُـه وَكَبَـا بِفَضْـلِ رِدائِـهِ الْـمُتَكَبِّرُ
يَـا مَصْـدَرَ الْكَـذِبَ الَّـذِي مَـا بَعْـدَهُ كَـذِبٌ تَعَـالَى الْـحَقّ عَمَّـا تَنْشُـرُ
تَجْنِـي عَلَـى وَطَـنِ الْـمَسِيحِ مُـدَمِّرًا وَتُـذِيعُ أَنَّـكَ فِـي الْـبِلَادِ مُعَمِّـرُ
لكُـم التِّجَـارَة بِالرَّهِينَـةَ وَالرِّبَـا لا أَنْ تَبِيعُـوا العـالمينَ وَتَشْـتَرُوا!
مُسْـتَعبدُ الْإِنْسَـان عَبْـدٌ لِـلْأَذَى مَـا أَجْـدَر الْأَحْـرَارَ أَنْ يَتَحَـرَّرُوا
بَمَكَـارِمِ الْأَخْـلَاقِ قَبْـلَ الْعِلْـمِ سُـدْ يَـا أَيُّهَـا الْـمُتَقَدِّمُ الْـمُتَأَخِّرُ
يَـا عُـرْبُ والثَّـارَاتُ قـد خُلِقَـتْ لَكُـمْ اليـوم تفتخـر العُلـى أن تثـأروا

ثم يستدعي شخصية صلاح الدين الأيوبي ، وبطولاته وانتصاراته ضد الصليبين في القدس ؛ ليحمس من خلالها الأجيال ، وليجعلها القدوة والرمز الذي يجب أن يحتذى .

يَـدْعُوكَ شـعبُكَ يَـا صَـلَاحَ الـدِّينِ قُـمْ ... تَـــأْبَى الْـــمُرُوءَةُ أَنْ تنـــامَ وَيَسْـــهَرُوا

نَسَـــي الصَّـــلِيبِيُّونَ مَـــا عَّمْـــتَهُمْ ... قَبْـــلَ الرَّحِيـــلَ فَعُـــدْ إلـــيهم يَـــذْكُرُوا

(رِيكـــرْدسٌ) أَدْرَى بســـيْفِكَ منهمُـــو ... فلْيَسْـــــــأَلُوهُ لعلَّـــــــهُ لَا يُنْكِـــــــرُ

وعنـد حـائط المبكـى (البـراق) كـان تقـديم القرابين متزامناً مع صلوات اليهود ، لكنها قرابين منتوجة من دماء الفلسطينيين ، ودموع عيونهم ، يسخر القروي من بكائهم الذي لا يتناسب مع جرائمهم الشنيعة وأهمها الغدر بالمسيح حتى صلبه على الصلبوت، وكان الأولى بهم أن يسكنوا واديهم الذي ورد ذكره في التوراة (وادي يهوشافاط) ؛ لا أن يستلبوا أراضي غيرهم ليحشروا فيها ، يقول القروي :

أَلِأَجْـــلِ مَبْكَـــاكُمْ تُـــرَاقُ دِمَاؤُنَـــا ... دمـــع يســـيل ولا دمـــاءٌ تُهْـــدَرُ

تتهـــافتون علـــى الجـــدار كأنـــه ... يـــوم القيامـــة ، والْـــجِدَارُ الـــمَحْشرُ

فـــي كـــل مضـــطربٍ لكـــم مبكـــى فلِـــم ... هـــذا النعيـــبُ علـــى الخرائـــب يـــؤثرُ

مـــاذا يفيـــد بكـــاؤكم وذنـــوبكم ... تطغـى علـى قبـر المسـيح وتَزْخـرُ

قـــد سَـــمَّرَتْهُ علـــى الصـــليب جـــدودُكم ... واليـــوم مـــنكم لا يـــزال يُســـمَّرُ

أَقْلَقْـــتُمُ الـــدنيا بمـــوطنكم ، أمـــا ... مِـنْ هُـوَّةٍ فِيهَـا الْأَبَـالِسُ تُحْشَـرُ؟

وادي (يهوشـــا فـــاطَ) مفتـــوحٌ لكـــم ... وعســـاه قبـــل الـــحوْل لا يتـــذمَّرُ!

ولم يكتف بإلقاء التعبة على اليهود والانجليز فيما حاق بفلسطين ، بل راح يشرك معهم الشعوب العربية والإسلامية ، بل أبناء فلسطين أنفسهم ، وبالتالي الكل مسئول مسئولية مباشرة أمام الله والتاريخ والأجيال القادمة ، ثم يعتصره الأسى وتُمضَّه الأحداث وسلبيات الجموع، ويسلمه ذلك كله إلى إنكار الأعياد والأفراح ، فكيف تقام الأفراح والأعياد وبلفور المشئوم يطوق الجميع بقيود الذلة وسلاسل الانكسار ، ويمضي فيرحل إلى الماضي البعيد ، يستروح عبق الأمجاد والبطولات؛ ليجلو عن عينيه غشاوة الحاضر ، وليجسد التناقض والمفارقة بين أجداد الأمس وأجيال اليوم ، نقرأ ذلك في قصيدته (عيد المساخر)[٨٤] التي نظمها عقب وعد بلفور مباشرة ، يقول – من الوافر –:

ذَرُوا الْأَفْـــرَاح للشـــعب الســـعيد ... وخلُّونـــــا لـــــهمٍّ مُسْـــــتَزِيدِ

وعــن عيــد المســاخر أبعــدونا فـنحن مسـاخرٌ مـن غيـر عيـد
نـــــروم تنكـــــراً فيـــــه كأنَّـــــا عُرفْنَـا قبـل ذلـك فـي الوجـود!
وهـل هـذي الوجـوه إذا انتسـبنا تزكـي أصـلنا عنـد الجـدود؟
مضـت شُـمُّ الأنـوفِ فلـيس فينـا سـوى بـيضٍ لهـم شـيمُ العبيـد
وكـم زورٍ بـدا فـي لـون صـدقٍ وكـم بخيـل بـدا فـي شكل جـود
أَلَا رَحِـمَ المهـيمنُ كـل جَـدٍّ سـعيدِ الَجـدِّ فـي المثـوى
كـأن لـم يغمـض العينـين إلا كراهـةَ أن يـرى ذُلَّ الـحفيد
وهـل مـن بعـد هـذا الـذلِّ ذُلٌّ لشـعبٍ يسـتجير مـن اليهـود
لقـد متنـا ، أجـل والله متنـا فغيـرُ الميـت لـم يخضـع لـدود!

ثم يقوم بتعبئة الصفوف من جديد، يحمسهم ، ويستنهض هممهم، ليواصلوا الجهاد والنضال ضد اليهود الذين استباحوا فلسطين ومقدساتها ، داعياً الجماهير العربية والإسلامية إلى أخذ القدوة والنموذج من الملك عبد العزيز آل سعود، ملك العربية السعودية ، وأن يجعلوه عنوان رفع الهوان والذلة والانكسار عن الأمة ، يقول القروي في قصيدته (أَوَ مَا في العرب)[٨٥]–من الرمل– :

أو مـا فـي الغُرب مـن قـرم عنيـد ينقـذ الأحـرار مـن كيـد العبيـد
يـا لهـا مـن غـارةٍ عبسـيةٍ كنـتَ محسـوباً لهـا يـا ابـن السـعود
هـدَّدتنا قـوةٌ غاشـمةٌ صَـلَتِ الحـقَّ بنـارٍ وحديـد
واسـتباحتْ قدسـه جاعلـةً منـزل الرحمـة داراً للقـرود
كـل حـر عربـي مخلـصٍ فيـه رهْـنُ المـوتِ أوْ رهـن القيـود
يـا فلسـطين انـدبينا معهـم فلكَـمْ ميـتٍ ، وكـم حـيٍّ شـهيد
نالنـا فـي العـيش أضـعافُ الـذي نـال مـن تبكـين فـي جـوف اللحـود
مـا لـجُنْدِ البُطْـل يغْلـي حَنَقـاً كلمـا الحـقُّ تغنَّـى بنشـيدي

وقبل حرب أكتوبر ١٩٧٣م بأسبوعين تقريباً نظم القروي قصيدته (المدافع الخرساء)[٨٦]، وأهداها إلى روح الشهيد المبدع الفلسطيني (غسان كنفاني) ، وفيها راح يستحث المسلمين

على الثورة والثأر قصاصاً لما حل بديارهم ومقدساتهم وثوابتهم ، وأن يأخذوا العبرة من (فيتنام) ذات القوة المتواضعة ، لكن كرامتها أبت عليها إلا أن تصمد وتقاتل وتناضل ضد أعتى القوى عسكرياً وسياسياً واقتصادياً ، لقد وقفت ضد أمريكا ، لم ترهب السلاح والعتاد ، وكان لها بطولات مشهودة تدلل على كبريائها وسمّوها ، دعاهم القروي إلى استلهام هذا النموذج ، لاسيما وهم الأكثر عدداً والأزهى مجداً من الفيتناميين ،

أيها المسلمون الله أكبر ... أَوَ مَا حان أن نثور ونثأرْ؟
جثة السِّلم أُنْتِنَتْ فاقبروها ... قبلما هذي الملايين تُقْبَرْ
نشتري الأرض بالغضاضة والذلّ ... ونمحو عاراً بعارٍ أكبرْ
كُرةٌ للهوان بين حذاءَ ... (يَرِنٍ) تارةً ، وطوراً (رودجرْ)
أَوَ لا تخجلون أن تفزعوا من ... قلَّةٍ ربُّها عجوزٌ وأعْوَرْ
نحن أضعاف شعب (فتنام) عدًّا ... فلماذا لا ندفع الشر بالشر؟
دَمَّر البغيُ أرضَهُمْ فتحداه ... من العزم جَوْهَرٌ لا يُدَمَّرْ
كلَّ يوم يلقى عليها جحيمٌ ... من لظى وَهْيَ كل يومٍ أَصْبَرْ
السلاح المركوم من دون حرب ... ليته في يد الفدائي خنجرْ
لو ضمنتم له الكفاح طليقاً ... حَرَّر الأرضَ وَحَدَّه وَتَحَرَّرْ
رحمةً يا مدافع الثأر إنَّا ... قد ضجرنا وَحَقُّنَا أن نَضْجَرْ
زمجري أو فنبحي أو فَمُوئي ... أوْ فَمُوتِي ، فمَوتُ مِثْلِكِ أسْتَرْ

وقد مرَّ بنا كيف أن القروي قد أعجب بالسلطان الأطرش الذي قاوم الفرنسيين ، ونظم في ذلك قصيدة (بطل الصحراء)[٨٧] مَجَّد فيها وفي الوقت نفسه حذرهم من الانخداع بالمواعيد والكلمات المعسولة المجوفة، والتي لا تهدف في النهاية إلا إلى تراخيهم ، وتفويت الفرص عليهم إلى أن تقوى إسرائيل فتلتهم وتستلب الأراضي والثروات والمقدرات ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً ، عليهم أن لا ينخدعوا بشعارات الأمن والسلام ، فما ذلك إلا خدعة وكذبة كبيرة ، وراءهما ما وراءهما من آلام بلا حدود ، يقول القروي – من الخفيف –:

أيها المسلمون الله أكبر ... أَوَ مَا حان أن نثور ونثأرْ؟
جثة السِّلم أُنْتِنَتْ فاقبروها ... قبلما هذي الملايين تُقْبَرْ
نشتري الأرض بالغضاضة والذلّ ... ونمحو عاراً بعارٍ أكبرْ
كُرةٌ للهوان بين حذاءَ ... (يَرِنٍ) تارةً ، وطوراً (رودجرْ)
أَوَ لا تخجلون أن تفزعوا من ... قلَّةٍ ربُّها عجوزٌ وأعْوَرْ
نحن أضعاف شعب (فتنام) عدًّا ... فلماذا لا ندفع الشر بالشر؟
دَمَّر البغيُ أرضَهُمْ فتحداه ... من العزم جَوْهَرٌ لا يُدَمَّرْ
كلَّ يوم يلقى عليها جحيمٌ ... من لظى وَهْيَ كل يومٍ أَصْبَرْ
السلاح المركوم من دون حرب ... ليته في يد الفدائي خنجرْ
لو ضمنتم له الكفاح طليقاً ... حَرَّر الأرضَ وَحَدَّه وَتَحَرَّرْ
رحمةً يا مدافع الثأر إنَّا ... قد ضجرنا وَحَقُّنَا أن نَضْجَرْ
زمجري أو فنبحي أو فَمُوئي ... أوْ فَمُوتِي ، فمَوتُ مِثْلِكِ أسْتَرْ

وقد مرَّ بنا كيف أن القروي قد أعجب بالسلطان الأطرش الذي قاوم الفرنسيين ، ونظم في ذلك قصيدة (بطل الصحراء)[٨٧] مَجَّد فيها نضاله وَعَدَّهُ قائد الثورة السورية ، ونجتزئ منها قوله – من الوافر – :

خفقــتَ لنجــدة العــاني ســريعاً عضــوباً لــو رآك الليــث ريعــا

وحولـك مـن بنـي معـروف جمـعٌ بهـم وبـدونهم تُفنِـي الجموعـا

كأنـــك قائـــدٌ مـــنهم هضـــاباً تـبعنَ إلـى الـوغى جـبلاً منيعـا

تخِـذتَهمو لـدى الجُلَّـى سـيوفًا لهـا لعـن الفرنسـيُّ الـدروعا

وأي دريئـــة تعصـــي حســـاماً تعـوّد فـي يمينـك أن يطيعـا

وينقل إلينا بعض مشاهد الصراع في هذه الثورة ، ومدى الأمجاد التي أحرزها السلطان الأطرش مع جنوده ، ثم ما كان من إكباره هذه الممارسات ، فترجم ذلك عن شعوره وعروبته الصادقة ، فالأطرش يسقي مهج الأعادي الفرنسيين السم النقيعا ، ووثبته فوق التنك (الدبابة الفرنسية) تحكي وثبة نسر مؤهل للانقضاض السريع على الفريسة والفتك بها ، وبسيفه البتار القاطع تكهربت به البطاح والوهاد، وخرَّت الأعادي راكعة ساجدة ، تعلن الهزيمة والانقياد في إذلال ، ولا يزال يعمل فيهم سيوف الفتك والطعن حتى انسكبت دماؤهم ، فخضبت الثرى ، واستحال لون الأرض أحمر قانياً ، إلى أن ينصحه أن يلتمس القدوة– في حروبه ومعاركه – برمز القيادة الإسلامية الأول (محمد^)، وأن يهجر الإنجيل ويسوع المسيح ؛ حيث في القرآن الكريم الزاد لكل مستزيد ، يقول في القصيدة نفسها :

ولمـا صـرت مـن مهـج الأعـادي بحيـث تـذيقها السـم النقيعـا

وثبـتَ إلـى سـنام (التنـك) وثبـاً عجيبـاً علّـم النسـر الوقوعـا

وكهربـت البطـاح بِحَـدِّ عَضْـبٍ بهـرتَ بـه العِـدَى فَهـووا ركوعـا

كـأن بـه إلـى (الإفرنـك) جوعـاً وسـيفك مثـل ضـيفك لـن يجوعـا

تكفـل للثـرى بالخضـب لـما هفـا برقـاً فـأمطرهم نجيعـا

وفجَّـر للـدماء بهـم عيونـاً تجـاري مـن عيـونهم الـدموعا

فخـر الجنـدُ فـوق (التنـك) صَـرْعَى وَخَـرَّ التنـك تحتهمـو صـريعا

فيالـكَ غـارة لـو لـم تُـذِعْها أعادينـا لكـذّبنا المـذيعا

ويالـكَ (أطرشـاً) لمـا دعينـا لثـأرٍ كـان أسـمَعَنا جميعـا!

فتـى الهيجـاء لا تعتـبْ علينـا وأحسـنْ عُـذْرَنا تُحسـن صَـنيعا

إذا حاولْـتَ رفـع الضَّـيْم فاضـرب بسـيف محمد واهجـر يسـوعا

..... القصيدة.

وخلال المواجهة السورية للقوات الفرنسية الغازية ، حدث أن قاوم السوريون في دمشق مقاومة منقطعة النظير ؛ لدرجة أنهم تمكنوا من استرداد بعض الأحياء الدمشقية ، وشق ذلك على الفرنسيين ، فأمطروا المدينة بوابل صيب من القذائف والصواعق ، حتى كادت تحترق المدينة (دمشق) وتدمر تدميراً كاملاً ، وكان لهذه الأحداث صداها لدي القروي، بل سائر الشعراء العرب ، فقد انتهز فرصة إقامة الجالية العربية في (صنبول) ١٩٥٠م ، حفلة تكريمية لوزير سوريا المفوض في البرازيل الشاعر(عمر أبو ريشة) ونظم قصيدة عنوانها: (نكبة الشام)[٨٨] ، وفيها راح يشيد برجال المقاومة السورية (النسور التي روعت الحمائم والدجاج) ، الذين ألحقوا بالوصية (فرنسا) أقسى ألوان العقاب حتى ضجّ (بردي) وماج من شدة هوله ، ثم مضي يهدد ويتوعد تارة ، ويحمس ويشحذ الهمم ، ويستعرض جانباً من هول الحادثة الفاجعة والمفجعة تارة أخرى ، يقول – من الوافر–:

تعـوجُ بهـا فـلا تَلْقَـى معَاجَـا وقَـد نُسِـفتْ معالمهـا فجاجَـا
و باتـتْ جنـةُ الـدنيا جحيمـاً و كوثرهـا جـرى ملْحـاً أجَاجَـا
فَجـنحُ الليـل مبـيضٌ لـهيباً ووجـه الصـبح مسـودٌّ عجاجـا
فلـو رُمـتَ السُّرى فـي الفجـر فيهـا قبسـت مـن الظـلام لـه سـراجا
تعيـث بهـا ذئـابٌ كـم تـراءتْ نعاجـاً قبلمـا رعـت النعاجـا
ولـو ضَـرَبتْ عصـاها مَـنْ عصـاها لمـا كـان الهيـاجُ تـلا الهياجـا
ولكـن القشـاعم أعجزتَهـا فروَّعـتِ الحمـائِمَ والـدجاجا
وأسـرفت الوصـيةُ فـي انتقـام طغـى مـن هولـه (بـردى) و ماجـا
فَـرُبَّ محصَّـنات مـا تخطَّـى إليهـا الـوهمُ قـد عَـدِمَتْ سـياجا
حرائـرَ كـالقلوب مُخَبَّـآتٍ وَكُـنَّ لـها سـروراً و ابتهاجَـا

ثم يلفت أنظار الفرنسيين إلى التاريخ ، التاريخ العربي والإسلامي الذي احتوى بين دفتيه العديد من الرموز والأبطال والقادة المخلصين لعقيدتهم وأرضهم ، ويرصد العديد من الأحداث والوقائع التي ضمنت له ولأجداده وآبائه المجد والخلود ، ثم راح القروي يحدثنا عن مروءة العربي وشهامته وإقدامه ، وحسن بلائه يوم الزحف ، ويأتي في ذلك بالصور المنبئة بالحماسة والرامزة

إلـى تواصـل الماضـي مـع الحاضـر ، أو الأجيـال بالأجداد ، يقول :

كـــأن لـــم يُنبِـــكَ التـــاريخ مـــاذا يكـــون إذا الفتـــى العربـــيُّ هاجـــا
وأنَّـــــا بالأســـــنة و المواضـــــي نُقَـــوِّم مـــن نـــرى فيـــه اعوجاجـــا
ومـــا زلْنـــا كمـــا كنـــا قـــديماً نفـــاجئ كالنســـور ولا نُفَاجـــا
و إن لـــم تنفـــع الشـــكوى علاجـــا وجـــدنا بالســـيوف لنـــا علاجـــا
تميـــد بنـــا الجبـــالُ إذ زحفنـــا و تـــرتجُّ الســـهول بنـــا ارتجاجـــا
و تُنْجـــدنا قلـــوبٌ مـــن حديـــد تُحطِّـــم مـــن أضـــالعكم زُجاجـــا
قلـــوبٌ كالـــدروع تـــزلُّ عنهـــا قـــذائفكُم و تنـــزلج انزلاجـــا
ســـنفتح فـــيكمُ للمـــوت ســـوقا تلاقـــي فـــي صـــفوفكمُ رواجـــا
عســـاكم بعـــدها تـــدرون أيّـــا أشـــدُّ إلـــى الوصـــاياتِ احتياجـــا

وكمـا تنـاول شـعراء المهجـر الجنـوبي – والقروي من بينهم – الثورات والحركات التحررية في الوطن العربي الأسيوي ، تناول كذلك الثورات التحررية في أفريقيا ودول المغرب العربي ، والتي قام بها أبناء العروبة ، فقد أشادوا بثورة الجزائر في أكثر من قصيدة ، وأشادوا بتضحياتها الهائلة (فهي بلد المليون شهيد) ، واستنهضوا جميع الشـعوب العربيـة لإدراكهـا ، بعـد أن يوحـدوا صفوفهم ، ويجمعوا كلمتهم حتى تقوى شوكتهم ، ويهاب المستعمر شكيمتهم[٨٩] ، لقد مجد جورج صيدح ثورة الجزائر ، وكذلك إلياس فرحات الذي نظم فيها عدة قصائد ، كما جاء القروي فتناول ثورة الجزائر كذلك في قصيدته التي ألقاها عام ١٩٥٨م ، وهو يستمع إلى خطباء الحفلة التي أحياها مكتب الجزائر في دمشق ، وكان عنوانها (لبيـك)[٩٠] ، وفيهـا راح يشـيد بهـذه الثـورة المباركة ، ويحيى أبطالها المظفرين ، ويؤكد حق الشعب في البقاء والمحافظة على هويته ومقدراته مهما كلفه ذلك من تضحيات ودماء طاهرة ، إلى أن ختم القصيدة بالدعوة إلى التكاتف ومساندة الجزائر وثورتها ، ومدِّها بالأموال والعتاد الذي يضمن استمرارية كفاح المجاهدين الجزائريين ، يقول – من مجزوء الكامل – :

لبيْـــك يـــا بطـــل الجزائـــرْ عُقـــدتْ علـــى الثـــأر الخناصـــرْ
يفـــديكَ بالـــمهَجَات أحـــ ـــرارُ العروبـــة والحرائـــرْ

أرأيـــت أَنَّـــى جـــالَ طرفُـــك غيـــــر ثـــــائرةٍ وثـــــائرْ
نصـــرٌ علـــى الأعـــداء يتلـــو النصـــــر ، فالـــــدنيا بشـــــائرْ
وجبـــابر الطغيـــان كالحشـــــ ـــراتِ تحـــت حـــذاء (ناصـــرْ)
وكلابهـــم فـــي الشـــرق عـــا فتهـــا مـــن النـــتن المقـــابرْ
الشـــعب كالإعصـــار يســـحق غـــــادراً ، ويجـــــرُّ غـــــادرْ

وفي أثناء إلقائها قدَّم ورقة مالية زهيدة ، دعوة إلـى الجهـاد بالمـال والرجـال والـدماء قبـل الأقـوال والخطب الرنانة ، وقال :

أفتـــى العروبـــة غُـــضَّ عـــن هـــذي الوريقـــة طـــرْفَ عـــاذرْ
هـــــي لا تحـــــرِّرْ أو تُمَـــــوِّن جـــــيش تحريـــــر الجزائـــــرْ
لكنهـــــا تكفـــــي لـــــزرع رصاصـــــة فـــــي قلـــــب فـــــاجرْ
الحـــــربُ قائمـــــةٌ علـــــى ســـــاقٍ ، فمـــا شـــأن المنـــابرْ
والنصـــــر يؤتـــــاه المجاهـــــد بالخنـــــــاجر لا الحنـــــــاجر
ســـيفٌ لنشـــر الهـــام يســـوى ألـــــف شـــــاعرة وشـــــاعر

وكما مجد القروي ثورة الجزائر ونضالها ضد المستعمر ، راح يحيـي المقاومـة الليبيـة ضـد الاسـتعمار الطليـاني ، فـدلَّل بـذلك علـى مـدى التعاطف بين دول المشرق العربي ومغربـه ، تراه في قصيدته (على أثر الثورة الليبية)[٩١]، يمجد ليبيـا وثورتهـا وشـبابها المؤهـل لخـوض الحـرب والسلم معاً ، فيقول – من الرمل–:

ليبيـا يـا معقـل العـرب الجديـدا زدتِ أعيـادَ شـقيقاتِكِ عيـدا
مرحبـــاً بـــالثورة البيضـــاء لا جـرَّدت سـيفاً ولا حـزَّتْ وريـدا
مـــن شـــباب همُّـــهُ أُمَّتُـــه كـاد ينسـى نفسـه حبًّـا وجُـودا
هـــبَّ للســـلم وللحـــرب معـــاً بطـــلاً ينجـــز وعـــداً ووعيـــدا
غَلَـــبَ القـــوة بـــالرفق ولـــو أغضـــبوه كـــان جبـــاراً عنيـــدا
ينقـل الخطـوة فـي نـور الهـدى جـاعلاً رائـده العقـل الرشـيدا

بمثل هذه القصائد المباركة جهود الثورة والثوار في بلاد المغرب العربي (الجزائر – تونس – ليبيا أو طرابلس الغرب) يمكن أن يرد على الدكتورة عزيزة مريدن التي ذهبت إلى أن شعراء المهجر الجنوبي قد قصروا في مشاركتهم هذه الأقطار – ولاسيما الجزائر – في جهادها ومقاومتها الاستعمار[٩٢]، فحسب المتلقي ما ذكرنا ، وحسبه كذلك مراجعة دواوين شعراء المهجر الجنوبي من أمثال : إلياس فرحات، أبو الفضل الوليد ، أسد موسى ، نصر سمعان ، زكي قنصل ....وغيرهم مما يمكن أن يُصحح به قصور نظرة الدكتورة عزيزة مريدن حينما قالت : « أما الثورات الأخرى التي قامت في شمال أفريقيا خاصة فلم يكن لها نصيب من شعر المهجر الجنوبي ...» [٩٣].

وهكذا رأينا القروي يتفاعل مع أحداث المقاومة والجهاد والثورات حتى الاستقلال ، وانتزاع الحرية من بين براثن المستعمر الغربي ، وأن شعره في هذا الصدد ، دار حول مباركة الثورة والنضال ، وتمجيد جهود وكفاح المجاهدين والثوار ، والتقليل من شأن المستعمر ، وتصوير بعض ممارساته القمعية التدميرية ، وتحميس الشباب وأبناء الأمة واستنهاض عزائمهم ، والإشادة بالتاريخ والأمجاد والحضارة العربية والإسلامية، واعتبار ذلك سلاحاً يلزم إشهاره في وجوه الأعداء والمستعمر، واضطره ذلك إلى استلهام أو استدعاء بعض الشخصيات ، وجعلها رموزاً تنويرية أمام الجماهير العربية لتقتدي بها ، من مثل شخصيات الأنبياء وبعض الخلفاء والقادة والفاتحين، وما إلى ذلك مما لمسناه أثناء عرضنا لهذا المحور وما سبقه من محاور أخرى .

د – مواجهة الفساد ومحاربته :

حين نتحدث عن الفساد ومظاهره وعيوبه وكيفية إصلاحه وصداه عند المفكرين والمبدعين نذكر مدى الانحرافات الخلقية والسلوكيات الشائنة المرذولة ، والثالوث الأشأم (الجهل – الفقر – المرض) ، ونذكر كذلك ألواناً شتى من الشرور والآثام ، والعادات والتقاليد المنبوذة والأوهام ، ونستحضر كذلك الثقافات الدخيلة مع المستعمر والمنافية للقيم العربية والثوابت والمرجعيات الإسلامية ، والتي يستهدف من ورائها الهيمنة ، وبسط النفوذ ومسخ الهوية ، وسلب المقدرات ، وإشاعة الفوضى ، وما إلى ذلك مما دعا الغيورين على أوطانهم ومجتمعاتهم إلى التصدي والإصلاح ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ، وكان المفكرون والإصلاحيون والمبدعون في الطليعة أو المقدمة التي ربطت أسس الفساد الاجتماعي بالمستعمر وسياسته البغيضة ووجهه القبيح ، ولما كان هدف شعراء المهجر الجنوبي –وشاعرنا في طليعتهم – يكمن في النزعة الإصلاحية لمجتمعاتهم تارة ،

وتواصلهم العميق والمكثف مع أبناء مجتمعاتهم ثانية ، ومحاولة نشر قيم التسامح والمبادئ السامية والمثل العليا، ونبذ التعصب والمذهبية تارة أخرى ، راحوا يتصدون لمظاهر الفساد ، وينظمون في ذلك قصائد تكشف عن طموحاتهم وأمنياتهم لأوطانهم ، ويترجمون بذلك مذهبهم الفني الكامن – وكما يقول الدكتور حسن جاد حسن – حملوا لواء الواقعية الاجتماعية ؛ ليعالجوا من خلاله :«عيوب المجتمع ونقائصه، وينقدوا قوانينه وتقاليده، ويهاجموا أوهامه وعاداته ، ويحاربوا الجهل والفقر والاستغلال ، والذل والعبودية ، والتفرقة والتعصب ، ويشيعوا الحب والتفاؤل بين الناس، ويستهدفوا خلق مجتمع أفضل»[٩٤] في حياته وطرقه وأدوات تعامله مع الآخر .

فالقروي يأسى على استشراء الفساد واهتراء القيم في أوصال مجتمعه ، وينعي العفة والنزاهة ، ويعجب لألفة الناس رؤية الفساد ، فقد اعتادوا عليه لكثرة وجوده ، حتى صار من مكونات حياتهم اليومية والعادية ، تأقلم الناس مع الفساد ، تكيفوا معه، صار هو من مفردات حياتهم ، ومن ثم لا تجد أحداً ينكره ، أو يزدريه ، أو يبالي به، يقول تحت عنوان (الجميع فسدوا)[٩٥]– من الكامل–:

لم يبق بين الناس صاحب ... فهم على أجناسهم أنجاسُ

فعل الجميعُ الشَّرَّ حتى لم يعد ... أحدٌ يبالي أن يراه الناسُ

وعنده لا ضير في أن يخطئ الإنسان ، طالما أنه سيفيد من خطئه ، وأنه سيعترف به بكل شجاعة ، بل سيقدم الاعتذار بكل قناعة ورضا إلى من أخطأ في حقه ، آنئذ يبرئ الذمة ، حتى ولو لم يقبل الآخر اعتذار المخطئ ، فإن قبله وجب تقديم الشكر إليه ، يقول القروي– وهو في هذا يدعو إلى التسامح والتسامي – وهم من القيم الإسلامية – تحت عنوان (إذا فرطتْ) – من الطويل – :

إذا فرطتْ منك الإساءة فاعترف ... بها واعتذر إن كنت حُرًّا مهذبا

فإن قَبِلَ المستاءُ عذراً شكرته ... وإن هو لم يقبل برئتَ وأذنبا[٩٦]

وتشيع في شعره الدعوة إلى التسامح حتى يمكن القول إنها تشكل ظاهرة شعرية لافتة ، نذكر من هذا قوله عن اللطف والتسامح – من الوافر – :

رأيتُ اللطفَ يقهر كلَّ خصم ... فكن ماءً إذا حميَ الوطيس[٩٧]

وعن التساهل والحب والتماس الأعذار ، يقول – من الكامل – :

يـا مـن يعـدُّ علـيَّ كـلَّ صـغيرة ... إن لـم تكـن متسـاهلاً كُـنْ عـادلا

إن كنـتَ مثلـي ناقصـاً فاعـذر ... تـكُ كـاملاً فاعـذر لتبقـى كـاملا[٩٨]

ويلفت نظر حاسده إلى مراعاة حكمة الله في خلقه ، وأن تقسيم الأرزاق، وتفضيل بعض الناس على بعض في الرزق والمال والجاه.... إلخ ، كل هذا يتم بيد حكيم عليم، لا دخل للإنسان فيه، ومن ثم فلم الحسد؟! يقول – من الكامل–:

يـــا حاســـدي والله يحزننـــي ... أنِّـــي جلبـــتُ لقلبـــك الحزنَـــا

مـــا لـــي وحبِّـــك يـــا أُخَـــيَّ يـــدٌ ... فـــي مـــا يُـــذِيبكُ حســـرةً وعنَـــا

أعطـــاني المعطـــي بـــلا ثمـــنٍ ... فأبيـــتَ إلا دفعـــك الثمنـــا[٩٩]

ويأخـذ نفسـه – إزاء الآخـر الـذي قـد يكـون جاهلاً أو عنيفاً في سلوكه وتعاملاته – باللطف ، والتسـامح ، وتحكـيم العقـل واللـين ، والموادعـة ، وخفض الجنـاح فقد تفلـح – وحتماً ستفلح– مثل هذي القيم في ترويض الحانقين الغاضبين ، يقول تحت عنوان (لطِّفْ)[١٠٠]–من الكامل–:

لطِّـفْ حـديثك فـالنفوس مريضـةٌ ... ومـــن الكـــلام محـــنِّنٌ ومُجَـــنِّنُ

كـــم هـــادئٍ بـــالعُنف ثـــار وآبـــدٍ ... كـــالوحش روَّضـــه الـــدعاءُ اللـــيِّن

وإذا ابتُليـــتَ بِجاهـــلٍ كـــن عـــاقلاً ... حتـــى يقـــول العقـــلُ ويحـــك تجـــبُنُ!

لا ريـــبَ فـــي أن الحيـــاةَ ثمينـــةٌ ... لكـــن نفســـك مـــن حياتـــك أثمـــنُ

وعن تحري الصدق في القول ، والابتعاد عن الإطـراء الأجـوف، وإضـفاء المزيـد مـن النعـوت الكاذبـة والمموهـة ، وتوجيـه المـديح لأهلـه ولمـن يستحقونه ، وأن لا يذكر الممدوح إلا بما هو أهلٌ له ، ومتوافر أو متحقق فيه من صفات وسلوكيات وأخلاق ، عن ذلك كله يقول القروي تحت عنوان (إن شئت)[١٠١] – من السريع –:

إن شـئت إطرائـي فَفَصِّـلْ علـي ... قـدري ، ودَعْنـي مـن ذيـول الثَّنـا

كـــل مـــديح لســـتُ مـــن أهلـــه ... فهـــو لغيـــري قيـــل لا لـــي أنـــا

أفخَـــمُ نعـــتٍ مـــن نعـــوت العُـــلا ... أن يـــذكر المـــرء بمـــا أحســـنا

وينصح الآباء أن يتولوا هم بأنفسهم أمر تربية وتهذيب وتأديب أبنائهم ، وتقويم ما اعوج من سلوكياتهم وأخلاقهم ، فهم أولى بذلك من تأديب العَسَس والإصلاحيات (السجون) لهم ، يقول – من السريع – :

يا أبُ إن كنت أخا حكمة ... هُزَّ عصا التأديب للإبن

فإنما أنت بتقويمه ... أولى من الشرطي والسِّجن[١٠٢]

ويدعو إلى عفة القول ، وتنزيه اللسان عن سب الأكارم وطعنهم ، يقول من المتقارب:

أيا مَن تعوَّد سبّ الأكارم ... نزِّه لسانك عن طعنه

وبَصْقُ الفتى في مهب الرياح ... يُعيد البصاق على ذقنه[١٠٣]

ولا يمل الدعوة إلى الحب والتسامح ، وترك التدابر والتشاحن والعداء ؛ ويلم بالأثر القائل : « تبسمك في وجه أخيك صدقة » ، ويرى أن كل دين خالٍ من الحب هو بدعة ، وكل علم لم يؤسس على الحب هو محض وهم واختلاق ، يقول في قصيدته (أين وجدت الله) – من الطويل – [١٠٤]:

هو الحبُّ حتى ليس في الأرض ... ولا مدمعٌ يجرى عليها ولا دمُ

وحتى كأن القلب في خفقانه ... يودُّ به نُطْقاً كما نطق الفَمُ

فقلْ للذي لم يعرف الحبَّ قلبُهُ ... ولم يُلْفَ إلا شاكياً يتألَّمُ

أيا صاحبي إن العداء جهنم ... وما فيه من عزٍّ لتحلو جهنم

ويا صاحبي إن التجهم يقتضي ... من الجهد ما لا يقتضيه التبسُّمُ

ألا كلُّ دين ما خلا الحبَّ بدعة ... ألا كلُّ علمٍ ما عداه توهُّم

.... القصيدة .

وكما دعا القروي إلى إرساء قيم الحب والتسامح، دعا كذلك إلى الكفِّ عن الظلم والاعتداء والسطو على مقدرات الآخرين ، أفراداً كانوا أو مجتمعات ، ولا شك أنه ينطلق في ذلك من رؤية تمزج بين الواقع المهترئ ، والسياسة المتردية ، في لبنان خاصة ، وسائر شعوب الأمة العربية عامة ، تراه يشير إلى ذلك ، ويكشف عن الخلل والاهتراء السياسي والاجتماعي .

كفى ! يكفي ! لقد طفح الإناء وضجَّ لهذه الفوضى الفضاء
وطَيْرُ الأمن طار فليس إلا نسورُ الظلم طاب لها البقاء
فسادٌ في الدوائر واختلالٌ وظُلْمٌ في المحاكم والْتواءُ
ولا ترفع إلى الحكام شكوى فَأُذنُ العدل يزعجها النداءُ!!
أفي بيروت أمنٌ واتحادٌ وفي لبنانِ نهبٌ واعتداءُ؟!(١٠٥)

أما المنافقون، رجال كل العصور، والآكلون على كل الموائد والمتلونون بحسب الأحوال والمقامات، فيبدو أنه عانى منهم كثيراً ، لذا راح يفرد لهم بعض القصائد والمقطوعات ، كقوله في مقطوعته (دخلتُ على قوم)(١٠٦)– من الطويل–:

دخلتُ على قوم فهبُّوا ورحَّبُوا وقالوا لقد كنا بذكرك نلهجُ
وطالعتُ في ألحاظهم غير زعمهم فلم يخف سيماءَ الوجوهِ التبرجُ
إذا ذبح الودَّ الصديقُ يدلُّني على دمه خدُّ الصديق المُضَرَّجُ
وإنِّي لغفَّار العثارِ لصاحبٍ أسيرُ على ضوء النهار ويُدْلجُ

وعبثاً حاول – وبصراحته المعهودة التي توجعه وتؤنبه إن حاول التخلِّي عنها بُرهة لاستبقاء بعض أصدقائه ممن يحرص على دوام العشرة بينهما – أن يغير أو يصلح من حال بعض أصدقائه الذين مردوا على التملق والرياء وارتداء الأقنعة ، فقال في مقطعته (بذلت)(١٠٧) – من الطويل – :

بذلتُ لأصحابي كنوزَ صراحتي فما سرَّهُم شيءٌ كفلسِ التُّملقِ
فأسديت من قلبي إليهم نصيحتي فَرُدَّتْ وعاداني بها كلُّ أحمقِ
فجاملتُهم حيناً ، ونفسي حزينةٌ تؤنِّبني والخُلقُ غير التخلُّق
أَبَى ليَ إخلاصي أن أغشَّهَم ومن لك في صدق الهوى بالمصدِّق؟

ويسخر من مُراءٍ منافق متلوّن ، ويجسد تلونه في صورة طريفة يبدو فيها وحشاً أسطوريا مُزج مزجاً عجيباً ، إذ هو خروف مرة ، وذئب أخرى ، ولما فرغ من نهش الجميع انهال على نفسه

ينهشها بعد ذلك، (فالنار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله) ، يقول تحت عنوان (المرائي)[١٠٨] – من مجزوء الرمل – :

قـــد عجبنـــا مـــن مُـــراءٍ لان للنـــــــاس مَجَسَّـــــــه

هـــو ذئـــبٌ فـــي خـــروفٍ كيـــف لا يـــنهش نفســـه؟!

ويصب ويلات غضبه على المتنمرين المرائين الذين يغريهم بريق المنصب والجاه ، فيشمخون ويتنكرون ، ناسين تمريغ أنوفهم على الأعتاب ، وكم قرعوا أبواب أربابهم لينالوا فضلة الجاه عن ذلة وهم طائعون راكعون ، يقول في قصيدته (هنا وهناك)[١٠٩]– من البسيط– :

قومٌ إذا قعدوا في منصب شمخوا ناسين كم قرعوا بابًا وكم ركعوا

إذا تولَّوا على أحبابهم ضربوا فإن تجلت لهم أربابُهم ضرعوا

جورٌ على ذا وتعفير الجبين كنائم السطح مطروحٌ ومرتفع

وقريب من هذا – ويلقي بظلاله السود على المجتمع ، وعلاقات الناس فيه ببعضهم– ما كان من معالجته آفة الغيبة والنميمة ، ومدى ارتباطها بالغش ، والتدليس ، والوشاية والنفاق ، وما إلى ذلك ، مما حذر الإسلام من مغبته ، وخطورته على الأفراد والجماعات ، لقد راح القروي – بدافع من المرجعية الإسلامية ، وَبِوحْيٍ من فطرته النقية وعمق إحساسه الرهيف – يتناول هذه الآفة بأسلوب رمزي ينحني على كثير من التسامي والاستعلاء من جهته تارة ، في مقابل تسفيههم – خصومه ومتعاطى الوشاية والغيبة والنميمة عامة – وفضح مخازيهم وسوء طويتهم تارة أخرى ، يقول في مقطعته (عُشَراء السوء)[١١٠] – من البسيط–:

يا مَن أَمُرُّ وقد دبَّتْ عقار بُهم كأنني ليس لي سمعٌ ولا بَصَرُ

ليضربَ الله قلبي مثلكم بِعَمىً إن كنتُ منكم سوى العوراءِ أنتظرُ

لا تعجبوا من حلولي بينكم زمناً فطالما حل بُرجَ (العقربِ) القمرُ

ويبدو أن خصوم القروي وحساده وشانئيه كانوا من الكثرة بمكان ؛ لدرجة أن راح يتناولهم – ساخطاً وساخراً وهازئاً وناصحاً– في أكثر من موضع في شعره ، حسبك أن تطالع قصائد ه ومقطوعاته: (بين الحلم والحقد)[١١١] و(فساد الأخلاق)[١١٢] و(سب المكارم)[١١٣] و(عرائس الإلهام)[١١٤] و(ياحاسدي)[١١٥] و(كأني)[١١٦] وغيرها ، وكان من أطرف ما جاء في هذا الصدد

قوله في مقطعته (أقررْتُ للمحسود)[١١٧] – من الكامل – عازفاً على إيقاع المنولوج الداخلي تارة، وتوظيف الذم بما يشبه المدح تارة أخرى .

أقــررْتَ للمحســـود حـــين حســـدتَه إقــرار مُعْــيٍ عــن مَــداهُ مُقَصِّــر

وذممتَـــــه فمدحتَـــــه بقصـــــيدةٍ غــرَّاءَ مِـــنْ إعجابــك المتنكِّــر

وكثيراً ما نقرأ في قصائده ومقطوعاته عن غدر الرفاق ، وخيانة الأصدقاء ، وحسد أرباب المهنة ، وحقد المتلونين ، وما إلى ذلك مما يكشف لنا عن نزعة إصلاحية ترنو إلى مواجهة الفساد الاجتماعي ، وتربط بعض مظاهر ذلك بالسياسة تارة والمستعمر أخرى ، فضلاً عما حاولت المدنية الأوروبية الزائفة ترويجه من سقيم الفكر، وسيء العادات والتقاليد في الأوساط الاجتماعية الشرقية ، مما تنكره العقيدة الإسلامية، وتمجه الطبائع السليمة ، الأمر الذي لا تعجب معه من أن يثور القروي منتقداً ومفنداً ومواجهاً وناصحاً ومحذراً من سريان الأدواء والأوبئة في أوصال المجتمعات العربية.

المبحث الثاني: الجانب النقدي والفني

أولاً : البناء العام للقصيدة :

أ – المطولـــة : آثرنا التسمية بالمطولة ؛ لتوافر طول النفس الشعري أولاً ، وللابتعاد عن الملحمة بالمعنى الغربي الذي قد يدخل بنا في أجواء الأساطير والخرافات مما لا يتفق مع البعد الثقافي والإسلامي الذي نهض عليه هذا البحث ثانياً ، وإن كان هذا لا يمنع من القول بمدى تأثير ملحمتي هوميروس (الإلياذة والأوديسا) على بعض شعراء العصر الحديث ، فاستلهموهما وقدَّموهما بمضمون يتفق وأجواء العقيدة الإسلامية ومنطلقاتها وحضارتها من جهة ، كما يتفق مع قيم وسلوكيات الأمة الإسلامية من جهة أخرى ، ولعل قراءة في (الإلياذة الإسلامية) أو (مجد الإسلام) لأحمد محرم و (عمرية حافظ إبراهيم) و (علوية محمد عبد المطلب) تدعم ما نقول .

هذا وقد تصدى الدكتور حلمي القاعود لقضية أثارها البعض حول قصور الشعر العربي في مجال المطولات ؛ حيث ذهب الدكتور عز الدين إسماعيل[١١٨] إلى أن « الشعر العربي لم ينتبه إلا مؤخراً للقصائد الطوال ، كما في أعمال المدرسة الشعرية الرومانتيكية ، منذ عبد الرحمن شكري ، مروراً بصالح الشرنوبي ، وشعراء المهجر ، خاصة إيليا أبي ماضي ، وأن القصيدة الطويلة هي الكشف الحقيقي في ميدان الشعر العربي الحديث بعامة ؛ لأن الطموح إلى كتابة هذا النوع – مجرد الطموح – لم يظهر إلا مع التجربة الشعرية الجديدة المعروفة باسم الشعر الحر ».

رد الدكتور حلمي القاعود على هذا التوجه ، وقال : « هذا القول غير دقيق ، فالقصيدة الطويلة معروفة منذ العصر الجاهلي تحت اسم المعلقات ، وقد حفلت دواوين المشاهير من شعراء العربية في مختلف الأعصر بقصائد طويلة ، يبدو فيها النفس الشعري طويلاً طويلاً ، وفي دواوين أبي تمام والمتنبي وأبي العلاء المعري والبوصيري والبرعي وغيرهم نماذج تدل على ذلك ، ولعل القصيدة الطويلة كانت أكثر ارتباطاً بالشخصية المحمدية ، كما نرى في (البردة) و (الهمزية) للبوصيري في العصور الوسيطة ، كما نرى في العصر الحديث عند البارودي في (كشف الغمة في مدح سيد الأمة) ، وشوقي في أكثر من قصيدة ضمنها الجزء الأول والثاني من (الشوقيات) ، وحافظ في (العمرية) وعبد المطلب في (العلوية) ، وعبد الحليم المصري في (البكرية) ، وقد عدَّد الدكتور سعد الدين الجيزاوي عشرين مطولة تدور حول القصائد الدينية ، كتب معظمها قبل انبعاث حركة الشعر الحر ، ويبدو أن الرغبة في التجديد ، والانحياز لحركة الشعر الحر تجعل البعض لا يرى كل ما قدمه الشعر المحافظ من إنجازات ، واعتقد أن هذا الانحياز أو تلك الرغبة لا تجعل مثل هذه الأحكام الأدبية ذات قيمة»[١١٩].

لا ينبت الدينُ بُغضاً في مزارعنا ... مهما أخو الجهل من أشواكه بَذَرا

الكل فينا جنودٌ للإخاء فما ... في دولة الشعر نُوابٌ ولا وُزَرا

ولا أهازيلُ جمهوريةٍ وَلِيَتْ ... أمراً وسيِّدُها عبدٌ لمَن أمرا

أما الطغاة فلا نخشى صوالجةً ... وكم نصبنا لها هاماتنا أُكَرا

أما عن شعراء المهجر الجنوبي – والقروي من بينهم – فالثابت أن لهم مطولات شعرية ذات طابع فلسفي ، وتتناول موضوع الرحلة السماوية ، أو الرحلة إلى العالم الآخر ، وتبدو متأثرة بالكوميديا الإلهية (لدانتي) أو (رسالة الغفران) للمعري ، وتحمل أبعاداً فكرية، وفلسفية، واجتماعية، وخير من يمثلها مطولة (عبقر) لشفيق معلوف، و(بساط الريح) لفوزي معلوف ، وإن جاءتا خاليتين من أي أبعاد ورؤى إسلامية .

والمتأمل في شعر القروي – ذي المرجعية الإسلامية – يلمس وجود بعض القصائد المتسمة بطول النفس ، كقصيدته (الربيع الأخير) – من البسيط[١٢٠]– ، وقد جاءت في (١٠٥) بيتاً شعرياً ، وتنطوي على سبعة أفكار ، يحتل البعد الإسلامي منها الفكرة رقم (٦)؛ حيث يبدو الدين نوراً يجمع الأخوة الفرقاء على هوى موحد ، وشعور مؤتلف ، يقول القروي في هذا :

نستعذب الموت من أجل الحياة يجني الورى الشهد حتى نجنيَ الإبرا
عفنا القشور وهمنا باللباب فلا يُزرى الجهولُ علينا أننا فُقرا
لا نقدرُ الناسَ إلا بالعقول ولا نُقيم للمال وزناً قلَّ أو كثرا
ولا نساوي بفردٍ من نوابغنا كل الألي اشتهروا فوق الثرى بِثرا
نور المسيح تجلى من مذاودِنا وسيف أحمد من صحرائنا شُهرا

وتأتي قصيدة (الناخلة)[١٢١] مكونة من أربعة ومائة بيت – من الكامل – ، وقد لمسنا فيما سبق كيف انحنت على بعض القضايا الإسلامية الممزوجة بالبعد السياسي المرتبط بالاستعمار الغربي ، ومن تعامل معه من الخونة والعملاء ، وفيها كذلك نلمس دفاع الرجل عن الإسلام ، وعن القضية الفلسطينية ، مع التحمس وتحريك القواعد والعزائم الرواكد ، ومدى اعتزازه بالقرآن الكريم ولغته ، وما إلى ذلك ، ونقتطع منها قوله :

زعموا بلاء الشرق من أديانه ومرادهم دينٌ من الأديان
متعصبون ويدَّعُون تساهلاً دعوى الذئاب ودَاعة الحُملان
حتى إذا طلعت عليهم حجتي وانشق للمرتاب فجرُ بياني
وتكشف النورُ الذي حلموا به عن قسطلٍ متلبِّدٍ وَدُخَان
فزعوا إلى القوم الذين عهدتهم لكرامتي فوجدتهم لهواني

.... القصيدة .

ومن قصائده ذات النفس الطويل كذلك قصيدته (أين وجدت الله)[١٢٢]، وقد جاءت في ستة وخمسين بيتاً ، وعلى أنغام بحر الطويل، وفيها نلمح الحس الفلسفي الذي تناول قضية طالماً حدثنا عنها الفلاسفة المسلمون – فضلاً عن الشعراء – من أمثال ابن سينا ، وهي (هبوط النفس من المحل الأرفع لسكونها جسد الإنسان) ، كما تأتي القصيدة على بعض تطوحات القروي بين الشك واليقين ، وحديثه عن الحب والسمو والبعد عن التشاحن والتدابر والتباغض ، وحتمية أن تنهض المجتمعات على أواصر الحب الذي لا يعرف المذهبية ولا يُقر الطائفية، كما تحدثت القصيدة كذلك عن الحريات المصادرة من قبل المستعمر، واستلهمت فيما تناولته بعض الشخصيات الإسلامية ، لاسيما شخصيات الأنبياء (موسى– عيسى – داود – سليمان – نوح) ... إلخ ، فضلاً عن رسولنا الكريم ، ونقتطع منها قوله :

فـلاح لعينـي فـي الدُّجُنَّـة مشـهدُ ... غريـبٌ تقـوم الـنفس منـه وتقعـدُ

كـأن زفيـر النـار بـوق (أديصـنٍ) ... سـمعت بـه آي الكتـاب تـردَّد

وداود أسـتاذ المغنـين مُنْشـداً ... وأيـوب فـي أوجاعـه يتنهـد

وطـارتْ إلـى القـرآن منـه شـرارةٌ ... تلاقـى بهـا موسـى وعيسـى وأحمـدُ

وَمحَّصـت النيـر انُ محكـم آيهـم ... كما من تُراب الأرض مجِّص عسجدُ

فلـم يبـق مـن أقـوالهم غيـر لفظـةٍ ... تخـرُّ لمعناهـا القلـوب وتسـجد

أحاطـت بجـوِّ اللانهايـة فاغتـدى ... بقوسـين مـن حـاء وبـاءٍ يُحـدَّدُ

هو الحب حتى ليس في الأرض مجرمُ ... ولا مـدمعٌ يجـري عليهـا ولا دمُ

وحتـى كـأن القلـب فـي خفقانـه ... يـودُّ بـه نطقـاً كمـا نطـق الفـم

.... القصيدة .

أما قصيدته (عودة الشاعر) [١٢٣]– من البسيط – فقد جاءت في أربعة ومائة بيت ، وفيها تتجلى إشادة الشاعر بالوحدة المصرية السورية ، ومفاخرته بالعروبة ، ثم تعريضه بالمنافقين الساخرين من أدبه القومي ، وبالشعوبين أعداء القضية العربية وما إلى ذلك ، منتهياً بالإعراب عما يشعر به من راحة كبرى في حضن بلاده الأم ، كأنما طرح الله عنه كل أوزاره في اليم ، قبل أن يضع قدميه في ترابها ، ونقتطع منها قوله :

حتّـامَ تحسـبُها أضـغاثَ أحـلام ... سـبِّحْ لربّـك وانحـرْ أنـت فـي الشـام

لـم يـأذن الله يـا بـوقَ العروبـة أن ... تقضـي الحيـاة غريبـاً بـين أعجـام

وكنـت فـي أبعد الأمصار أقرب من ... أهلـي إلـيّ وأخـوالي وأعمـامي

أضناك طولُ السُّرى والسير يا ولدي ... فـاطرح رداءَك وامسـح جرحَـك الـدامي

هـذي عيـوني وجنّـاتي وفـاكهتي ... فـاملأ يـديك وبـرّد قلبَـك الظـامي

وارتـعْ بقلبـيَ واسبح كالشعاعة في ... عينـي ، ونـم بـين أهـدابي وأحلامـي

.... القصيدة [١٢٤].

تلك هي أبرز القصائد التي طال فيها نفس القروي ، وانطلق في معالجتها من منظور إسلامي ، أسقطه في كثير على قضايا معاصرة تتصل بالاجتماع تارة ، وبالسياسة أخرى ، ويبدو أن طبيعة الموضوع مالت بالقروي نحو الإطالة ،

أو أنه نفسه يؤثر الإطالة في مثل هذي المضامين المتعلقة بالقيم والحضارة والثقافة الإسلامية ، ثم الكشف عن نوايا المستعمر ومخازيه، وما يستتبع ذلك من فساد وأدواء اجتماعية نخرت في أوصال المجتمع الإسلامي وحفزت الشاعر على التصدي لها كما مرَّ بنا آنفاً .

مع هذا تجدر الإشارة إلى أنه رغم طول القصيدة هنا فإنها لم تفقد الوحدة الفنية، حيث الموضوع الموحد ، والخواطر والأفكار المتناغمة والمتجانسة، وحيث المرونة والطلاقة التعبيرية البعيدة عن المزالق الفنية، وعن اجتلاب المفردات وإقحام بعض التراكيب، فانتقالات القروي بين أفكار ومضامين القصيدة كانت هادئة، بعيدة عن التعثر، فقط علينا أن نفهم أن الوحدة الفنية هنا هي الوحدة النفسية أو الشعورية التي تبدو القصيدة من خلالها وكأنها تسبح في تيار نفسي موحد، يلفها وغمرها منذ لحظة البدء حتى نهايتها، وليس الوحدة العضوية بمعناها الحرفي الدقيق التي نادت به جماعة الديوان وغيرها.

ب - المقطعة :

وهي قطعة شعرية قصيرة أُتي بها لتكون أدخل في السمع ، وأَجْوَل في المحافل، ولأنها أقرب أن تكون مثلاً سائراً شروداً، ولكي يتسنى حفظها وإذاعتها بين الناس ، جاء في العمدة لابن رشيق: «وقيل لابن الزِّبَعْري: إنك تُقصر أشعارك ، فقال: لأن القصار أَوْلَج في السمع ، وأجولُ في المحافل ، وقال مرة أخرى: يكفيك من الشعر غُرَّةٌ لائحة، وَسُبَّة فاضحة»[١٢٥]، وقيل لعُقَيل بن عُلَّفة: لم لا تطيل الشعر؟، فقال: يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق»[١٢٦].

ربما كانت هذه القيم الجمالية للمقطعة أو بعضها سبباً في وجود قطع شعرية قصيرة لشاعرنا ، جاءت في صورة بيتين ، أو ثلاثة ، أو أربعة إلى تسعة أبيات ، وقد لاحظنا أن جلها اتجه ليعالج بعض العيوب والمفاسد الاجتماعية ، واتجه بعضها الآخر ليكون في صورة نصائح أو تحذيرات قُصد منها تقويم بعض المثالب والسلوكيات والأخلاق المرذولة، كالغرور والنفاق والغيبة والحقد ... وما أشبه ، ولا يخفى على أحد أن مرجعيتنا الإسلامية وثقافتنا ، وتقاليدنا العربية تنفر من مثل هذه القيم السالبة ، ولا تقرها ؛ ومن هنا أيضاً يتضح مدى تأثير ذلك على القروي ، وإليك بعض الأمثلة .

هذه هي إحدى ثنائياته التي حملت بعداً إسلامياً يقدر من خلاله آيات القرآن الكريم ، وينزهها عن خوض الخائضين ، وينصح أن لا يجالس المرء من لا يعرف آيات الذكر الحكيم ولا يقدرها حق قدرها ، وسنلحظ أنه في نهاية البيت الثاني سيلم ببعض الآية : ﴿ **وَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ**﴾ ، يقول من الكامل [١٢٧]:

آيات ربك ليس يعرف قدرها من ليس يفرُقُ في الحجى عن غيرهِ

لا تقعدوا معهم – إذا هزئوا به– «حَتَّــى يَخُوضُــوا فِــي حَــدِيثٍ غَيْــرِهِ»

وحين يكون هناك ذنب يلزم الاعتذار عنه ، والإقرار به ، فجرأة الإقرار تفوق في الفضائل كرم العفو عن الذنب ، يقول من الخفيف[١٢٨]:

رُبَّ ذَنــبٍ محوتُــه باعتــذاري وحملــتُ الــورى علــى إكبــاري

وإذا قيســت الفضــائلُ فاقــتْ كــرمَ العفــو جــرأةُ الإقــرار

ورحمة وحنان الأم وعطفها وحد بها على أبنائها ما هو إلا انعكاس لعطف الخالق ورحمته عز وجل ، والذي منه وحده التيسير والإحسان ، يقول في ثنائية عنوانها (رب)[١٢٩] – من الخفيف– :

رَبِّ منــك الإحســانُ والتيســيرُ ولــك الأمــر ان تهــون الأمــورُ

لــم تُغيِّــب جميــع وجهــك عنَّــا لــك فــي الأُمِّ جانــبٌ منظــور

ومن طريف قوله في التسامح : (من الرجز) [١٣٠].

أَضْــحَكُ مَــا يُضــحكني مُسْــتَعجِمٌ يسُــبني بلغــةٍ يســبُّهَا

وحقُّهــا إن لــم أكــن أُحبُّــه ســامحتُه لأننــي أحبُّهــا

وعن الحب والوفاء والتسامح أيضاً يقول – من الكامل –[١٣١]:

أنــا لســت مــن ينســى وداداً ســالفاً لأحبــةٍ قــد أحســنوا وأســاءوا

ولــرُبَّ ذنــبٍ أســودٍ شــفعتْ لــه فيمــا مضــى عنــدي يــدٌ بيضــاء

فإذا اتجهنا إلى مقطعاته الثلاثية وجدناها لا تبعد عن هذي المضامين كذلك ، فهذه دعوة إلى عدم الاكتراث بالمال ، قلّ أوْ كثر ، ادُّخر أوْ فُقد ، بل قد يكون المال أو الثراء نقمة على صاحبه ، فقد يحرم الغني لذيذ المنام ، في الوقت الذي ينعم فيه الفقير بنوم هنيء ، بل قد يكون الخير كله في الفقر ، والإنسان لا يدري حكمة الخالق في ذلك ، يقول في ثلاثية عنوانها: (نَبَا بِالْغَنيّ) [١٣٢] من المتقارب:

نبــا بــالغنيّ الفــراشُ الــوثيرُ ونــام الفقيــرُ علــى زَنْــدِهِ

فـــلا يُحزِنَنَّـــك فَقْـــدُ الغِنـــى فقـــد تجـــدُ الخيـــر فـــي فقـــده
وقـــد يهلـــكُ المـــالُ أربابَـــهُ كمـــا يغـــرَقُ النحـــل فـــي شـــهده

وكانت لـه ثلاثيـة تتحدث عـن المسـاواة بـين الخلائق في الموت ، ﴿**فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ**﴾ والموت يعتام الجميع ، لا يفرق بين عبيد وملوك ، فـ﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ**﴾ ، يقول – من البسيط – [١٣٣]:

دعْ مَن قَضى وادخرْ دمعاً لمرتهنٍ فإنـه ذاهـب فـي إثـر مـن ذهبـا
ولا تقُـــلْ ذاك مملـــوكٌ وذا ملـــكٌ فالرّجلُ والرأس في حكم التراب هَبَا
والموتُ ما عفَّ عن عبدٍ ولا ملكٍ كـالنهر يجتـرف الأقـذار والـذَّهبا

والذكر المحمود أو الصيت الحسن لا يعدلـه شـيء آخـر ، حتـى ولـو كانـت الأمـوال، لأنهـا محفوفـة بالمتاعـب والمكـاره، فـي جمعهـا نَصَـب، وفي ربحها تعب، وفي ادخارها رَهَقٌ ونكد ، يقول – من البسيط –[١٣٤]:

إذا اللصوصُ أضاعوا من مروءتهم ضعفَ الغنيمة فالمسلوب من سَلَبا
وقـد تعـود لـك الأمـوالُ إن ذهبـتْ ولا يعـود حميـدُ الصـيت إن ذهبـا
فـي المـال همٌّ ، وفـي تحصيله تعبٌ فـالمرء يتعـب حتـى يـربحَ التعبـا

ولا يجد أمامه – وقد قابلوا إحسانه بالإساءة ، ومودتـه بـالنكران ، وصـفحه عـنهم بالحقد عليـه – إلا الحق تبارك وتعالى يفر إليه شاكيًا ما كان بينه وبين الآخرين ، يقول في ثلاثية عنوانها (كأني) [١٣٥] – من الوافر – :

إلهـــي قـــد برئـــت إليـــك ممـــنْ غســلتُ اليـوم مـن دمـه يـديّا
أحـــاول بُـــرءَهُ بالصـــفح عنـــه فيقتـــل نفســـه حقـــداً عليّـــا
كـــأني قـــد أســـأتُ إليـــه لـــما صـــبرتُ علـــى إســـاءته إليّـــا

ولا يخرج محتوى رباعياته عن مثل ما قـدمنا ، ففـي رباعيـة لـه عـن الحسـد والحسـاد ، وجدناه يقول من البسيط[١٣٦] :

ألـيس فـي العمـر يـومٌ أسـتريح بـه ... مـن شـرِّ منـتقم أو لـؤم منتقـدي

مـن كـان يطمـع فيمـا نلـتُ مـن شـرف ... فلْيشـدُ وليعتقـدْ شـدوي ومعتقـدي

لـو كـان يـدري حسـودي مـا أكابـدهُ ... فـي الحـقّ مـا أكلثـه جمـرةُ الحسـد

إنـي صـعدتُ إلـى مجـدي علـى جبـلٍ ... ممـا تهـدَّم مـن روحـي ومـن جسـدي

وعن الحرية والكرامة والإباء ورفض المهانة والذل ، وَنُصح الآباء والأمهات أن يقوموا بتربية أبنائهم على القيم التي تصنع منهم رجالاً ، لا عبيداً ، أسوداً لا كلاباً ، راح يقدم دروساً في التربية والتهذيب والإصلاح الأُسري ، نلمسها في رباعيته التي عنوانها :(لا تَرْضَ صفعاً)[١٣٧] – من البسيط – يقول :

لا تـرضْ صـفعاً ولـو مـن كـفِّ والـدةٍ ... مـا قـال ربُّـك أن يُسـتعبد الولـدُ

مـا أبعـد العـزَّ عـن بيـت وعـن وطـنٍ ... بالـذلِّ فيـه تُربِّـي الأمُّ مـن تلـدُ

أسـمى التعـاليم مـا ترضـى العقـولُ بـه ... ويطمـئن إليـه الـروحُ والجسـدُ

إذا اسـتمر علـى حمـل الأذى أسـدٌ ... تُنْسـى الكـلابُ ويُنسـى أنَّـهُ الأسـدُ

وعند المشيب والاقتراب من المصير المحتوم تصفو النفس ويكون العتاب والتسامح والدعوة إلى الحب ، وإعادة ما رثَّ من جبل الصفاء والأخوة من جديد ، يقول في رباعية عنوانها : (أخي)[١٣٨] – من الطويل –:

أخـي إننـا صـرنا علـى آخـر الـدرب ... وحـان الـذي يُعيـى عبـاقرة الطـبِّ

فـإن كنـتُ قـد فرطـتُ سـهواً بحقكـم ... فمـا حُلْـتُ عـن عهـد الأخـوة والحـبِّ

أزفُّ إلـيكم مـن بعيـدٍ تهـانئي ... ولكـن حـديثُ الـودِّ أحلـى مـن القُـرب

ألا زورةٌ نُحيـى بهـا سـالف الرضـى ... ونغسـل قلبيْنـا بصـابونة العَتْـبِ

ويوقّع على نسخة من ديوانه برباعية قدمها إلى الأستاذ على الشاعر (السفير السعودي) بالبرازيل على عهده ، وقد وشحها بالثناء على الله وتحميده ، وإظهار وفائه وشوقه إلى زيارة الأماكن المقدسة ، وتكحيل عينيه بنور غار حراء ، يقول في رباعيته (شعر تلألأ)[١٣٩] – من الكامل–:

ازجـى وحمـد الله يمـلأ خـاطري ... ديـوان شـعري للعلـيِّ الشـاعر

شـعراً تـلألأ بالوفـاء كأنَّـه ... ينهـلُّ مـن وجـه السـفير السـافر

وأبيـــت أجـــأر بالـــدعاء (لخالـــدٍ) ولـــه ولـــى دعـــواتُ عبـــد شـــاكر

يـــا رب أوصـــلني لبيتـــك ســـالماً وبنـــور غـــار حـــراءَ كحِّـــل نـــاظري

وتشتمل مقطوعاته السداسية على بعض الأبعاد العربية والإسلامية ، نلمح هذا في مثل مقطوعته (فزع إلى الله سبحانه)[١٤٠] التي يقول فيها من الخفيف :

أنـــا فـــي غربـــةٍ عـــن الأهـــل لكـــن عنـــك يـــا ربُّ يســـتحيل اغتـــرابُ

لـــــيس لبنـــــانُ والبرازيـــــلُ إلا طرفـــــا ذرّة وأنـــــت الســـــحابُ

أنـــا طفـــلٌ وأنـــت تحـــرس مهـــدي فلتكثِّـــر عـــن النيـــوب الـــذئاب

أنـــا قـــزمٌ وأنـــت رأسٌ لرأســـي فلتطـــاوِل مـــا شـــاءت الأربـــاب

زدتَّ حِلمـــاً حتـــى حســـبتُك ترضـــى عـــن ذنـــوبي وكـــم يضـــيع الحســـاب

فلـــك الشـــكر فـــي قِصاصـــي فكـــم مـــن خطـــأ يســـتفادُ منـــه الصـــواب

وراح فـي مقطوعتـه السداسـية (بـإذن الله)[١٤١]– التـي نظمهـا فـي إحـدى زوراتـه للسـعودية ليلقيها في حضرة الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود– راح يفخر ببناء الدولة العربية على العلم والحضـارة والقـيم الدينيـة ، ولـم يـنْسَ أن يجعـل المملكـة العربيـة السـعودية محـور ارتكـاز الحيـاة الناهضـة ، ومـا ذلـك إلا لرعايتهـا للحضـارة الإسلامية واعتمادها على القرآن الكريم ، واتخاذ الشريعة الإسلامية دستورها الأمثل، يقول :

بـــــإذن الله ربِّ العالـــــمينا ورأي الـــخالد بـــن الـــخالدينا

ســـنبني دولـــة للعلـــم تســـمو علـــى دول الـــورى دنيـــا ودينـــا

تعـــم بهـــا حضـــارتنا البرايـــا كمـــا فعـــل الجـــدودُ الأوّلُونـــا

وإن زاد الصـــــهاينةُ اغتـــــراراً وظنـــــوا أنهـــــم لا يغلبونـــــا

وخاضـــوا مثلمـــا خاضـــوا قـــديما بمنـــــزل ربنـــــا مســـــتهزئينا

يعـــــذبهم وينصـــــرنا علـــــيهم ويشـــفِي صـــدور قـــوم مؤمنينـــا

أمـا المقطعـة السـباعية فقـد حملـت بعـض الهمـوم الاجتماعيـة ، إلـى جانـب بعـض القـيم المتصلة بأوجاع العروبة ، كسخطه على التفرق والانقسام ، ودعوته إلى لملمة الصفوف والتوحد ، وليس أجدى من داء الجوع والفقر ليشكل دافعاً حـافزاً علـى اجتمـاع الشـمل العربـي ، يقـول فـي

مقطعة عنوانها : (الحمد للجوع)[١٤٢]- من البسيط -:

الحمد للجوع حمداً واضح السبب	**إن كان أيقظكم يا معشر العرب**
إني لأحمدُه من أجل عُصبتكم	**وإن يكن عضَّ إخواني ومصَّ أبي**
قد اجتمعتم على خير ولا عجبٌ	**فكم أتى الدهرُ قبل الآن بالعجب**
داء التفرق لم تنجع به خُطَبٌ	**وفي الخطوب دواءٌ ليس في الخُطَب**
أثماركم سقطتْ ما ذاقها أحدٌ	**في الناس فاعجب لكرمٍ مجدبٍ خَصب**
ما لابن آدم إلا ما يجود به	**إن الذهاب لمشتقٌّ من الذهب**
غدا تبرهن أيدى المحسنين لنا	**أأعجميٌّ هو السوريُّ أم عربي!**

وهكذا انحنت مقطوعات القروي على مضامين ومعانٍ تتصل بالعروبة والإسلام والمسلمين ، وتخطب ود القيم الروحية ذات المرجعية الإسلامية ، محاولة من خلالها معالجة بعض الأدواء والمثالب الاجتماعية ، وهي في طريقها إلى ذلك كانت تقتبس أحياناً من بعض آي الذكر الحكيم ، لاسيما فيما يتعلق بالحروب ضد الصهاينة ، أو بفلسفة الموت وتساوي الخلائق جميعاً أمام الخالق عز وجل وعند الحساب ، كما لاحظنا أن شعره الناهل من الثقافة الإسلامية ، جاء خالياً من البيت الواحد اليتيم ، ومن الخماسية ، ولاحظنا أخيراً أن مثل هذه المقطوعات – إلا ما ندر جداً- جاء ليلتقط بعض الدلالات المعينة ذات المحتوى المشار إليه، وقد خلت من العمق ، والتأمل ، والاستغراق الطويل ، بل إن بعضها جاء نثرياً فجًّا، كما في مثل قوله: « فالمرء يتعب حتى يربح التعبا» ، وقوله : « ونغسل قلبيْنا بصابونة العتْب» ... إلخ ، فضلاً عن أن معظم هذي المقطوعات جاء متشحاً بزي الوعظ والإرشاد وإسداء النصائح والتوصيات غير المدعومة بالقيم الجمالية والفنية ، لاسيما في المقطعات الثنائية والثلاثية .

جـ - العنوان ودلالته الرمزية :

عنوان القصيدة ، أو عنوان القصة والرواية، أو عنوان المسرحية والمقالة ...إلخ هو أول درجة في عتبات النص ، هو شارة العمل الفني أيًّا كان ، في ضوئه يمكن قراءة المحتوى ، واستشفاف المضمون ؛ لأنه كذلك – وباختصار – المفتاح الأول والمهم في النص ، وعن طريقه يمكن فك بعض شفراته وشعريته ، تقول الدكتورة إخلاص عمارة : «أصبح العنوان واجهة عرض دالة وموحية بما في داخله ، فالقصيدة إذن مرحلة

أساسية وهامة من مسيرته الشعرية؛ لأن كل ديوان هـو شـوط قطعـه الشـاعر علـى درب النضـج والاكتمـال »[١٤٣] ، يـدعم هـذا أيضـاً مـا ذكـره الدكتور محمد عويس في هذا الصدد ؛ حيث ذهب إلـى أنـه بعـد اسـتقرار الأمـر فـي قضـية الوحـدة العضوية في القصيدة الشعرية « كان اتخاذ عنوان للقصيدة من الأمور المقررة ؛ إذ العنوان أصبح لبنـة من لبنـات الوحدة العضوية للقصيدة ، يتأثر بها ويؤثر فيها ، ولم يعد من المتصور الآن أن ينظم الشاعر قصيدته ويُخرجها إلى المتلقين دون عنوان يسمها سمة مباشرة ...»[١٤٤].

لقد أصبح حرص الشاعر على وضع عنوان لكـل قصـيدة – فضـلاً عـن ديـوان – مـن أهـم السمات الجماليـة التـي تميـز بهـا الشـعر العربـي المعاصر ؛ لأنـه وسـابقاً حتـى جيل شـوقي كانـت القصيدة تتشكل من عدة محاور تستوعب أكثر من قضية أو موضوع ؛ لتكون وفيَّةً بذلك لتقاليد عمود الشعر العربي القديم ؛ وليس غريباً– والحال هذه– أن يخلـو كثيـر مـن قصـائد شـوقي وجيلـه مـن العنوان ؛ بل إن الديوان نفسه (الشوقيات) يحمل تسمية تدل على اسم الشاعر لا على شعره ، وقد اختلـف الحـال لـدى كـل مـن الشـاعر الرومانسـي والمعاصر (الحر) ، حيث صار العنوان عندهما عنصراً عضوياً في القصيدة ؛ بل في كل ديوان يصدر على حدة ، والشاعر لا يختار العنوان – في قصيدة أو ديوان– اعتباطاً أو مصادفة ، إنما يختاره بعد تأمل لأعماق تجربته ؛ بحيث يأتي العنوان دالاً بشكل واضح – وربما مباشر – على ما أراد أن يستشيره لدى قارئه[١٤٥].

وبإنعام النظر في عنوانات قصائد القروي – قيد الدراسة – تبين أنه جارى شعراء جيله في هذه الخصوصية (وضع عنوان دال مُرَمِّز أحياناً) لقصائده ، وبعض هذه العناوين كان موظفاً بدقة للتبشير بمضمون القصيدة ، وتهيئة أذهان المتلقين لما يستقبلونه ، وجانب من عنواناته كذلك كان مختاراً بعد طول تأمل ومعايشة وانفعال عميق بدقائق التجارب وانشطارات أحداثها وتشعُّب مواقفها وسائر أبعادها ، الأمر الذي جعل تجاربه تصدر نابضة وحاملة عب هموم القروي والجماهير العربية معاً.

لكن مجموع العنوانات قيد الدراسة كان يعكس أمرين ، **الأول** : أن العنوان كان مستلاً من بعض مفردات ، وعبارات ، وجمل ، انحنت عليها أبيات القصيدة أو المقطوعة ، **والآخر** : أن هذه العنوانات كانت تنتج دلالة تأثير الثقافة الإسلامية على شاعرنا ، حتى ولو كان المضمون دينياً ، أو اجتماعياً ، أوعروبياً سياسياً وما أشبه ، وبمراجعة ما كتبناه سابقاً من أبعاد ومحاور ، يتأكد لدينا صدق هذا الطرح ، وإليك بعض الأمثلة للتذكير وربط المتلقي بالفكرة .

هناك عنوانات تنتج الدلالة الإسلامية ، وتجسد عملية الطاعة والقداسة والخضوع للحق تبارك وتعالى ، وتفويض الأمر إليه ، ودعائه ورفع أكف الضراعة إليه ، مع تسبيحه والابتهال إليه وحمده والثناء عليه ... إلخ ما يتنوع على هذا الأساس من دلالات نلمسها في مثل هذي العناوين (إلهي – جزى الله – الغفران – بإذن الله – رحماك – رُحمتَ – لبيك – يا رب – ربِّ ما حيلتي – لا أشرك – سل الإله – شجرة مباركة – فزع إلى الله سبحانه – أنا راضٍ – سورة القمر .... وغيرها) ، ومثل هذي العنوانات تعكس مدى تعلق الشاعر بربه، ومناجاته ، والفزع إليه ، ودعائه حينما يحزبه أمر ، أو تلم بأمته الخطوب .

وقد لاحظنا أن جانباً من هذه العنوانات متصل اتصالاً مباشراً بالقرآن الكريم ، كأن يستدعي القروي عنوانات بعض السور القرآنية، مثل سورة القمر ، أو يستوحي بعض المفردات والآيات القرآنية ، ويتخذها عنواناً ، من مثل : (فليفرحوا – شجرة مباركة – تلك القرى – ولا تقعدوا معهم – المن والسلوى – أجمعوا الأمر... إلخ)، وهذا يعكس مدى تأثره بالثقافة الإسلامية من جهة ، وإطالة القراءة في القرآن الكريم من جهة أخرى ، حتى كان لذلك كله صدى في عنوانات قصائده خاصة .

إلى جانب ذلك كان هناك العنوان التأملي الذي يجسد ر ؤية الشاعر للكون والحياة والأحياء ، وغالباً ما يشف مثل هذا العنوان عن نفس حائرة قلقة أسيانة ، وهذا توافق تام مع شاعر عاش في الغربة ، واكتوى بنيران البعاد والهجرة ، فصدر عنه هذا الاستغراق الذي انسحب على الكون والإنسان ومشاهد الطبيعة من حوله ، نلمح ذلك في عناوين : (أين وجدت الله ؟ – المعجزات – حضن الأم – الدوحة الساقطة – المساواة في الموت – أنا راضٍ – العمر مرحلة – ملائك الإحسان – انقطاع الوحي – عمَّ الجمال – نطلب أمراً – بلوتُ الناس – في ذرة التراب – عرس البنفسج – تَبَيَّنْتُ – ... إلخ» .

ومثل هذه العنوانات تنم عن حيرة وقلق وعدم اتزان نفسي تارة ، وتطوح بين الشك واليقين ثانية ، والبحث عن محاولة الفكاك من القيود وتوفير الاستقرار النفسي والأمان القيمي والروحي تارة أخرى .

وهناك أيضاً مجموعة من العناوين ذات دلالات وطنية أو عربية أو سياسية ، جاءت لتؤكد صدق انتماء القروي لوطنه وعروبته تارة ، ومهاجمة المستعمر الغازي وفضح أساليبه وممارساته القمعية ثانية ، ثم هي تفصح عن التزام الشاعر المؤمن برسالة الشعر ودوره النضالي تارة أخرى ، نلمس ذلك في مثل عنوانات : « على

اسم فلسطين – الاستقلال حق لا هبة – بعث الشهيد – الشهداء – وعد بلفور – الناخلة – عودة الشاعر – مآسد لا مراعي – إلى دول الاستعمار – بنت العروبة – العروبة – لهفي على وطن – لبنان ملَّ – تحية الحرية – الأوروبيون – شرَّ السلاح – بنت الشام – يناديك لبنان مستنجداً – سقوط أورشليم – قل للمفوض – وطني – نشيد سوريا ... إلخ) .

ولا يبتعد عنوانه ذو الدلالة الاجتماعية عن سائر عنواناته الماضية، سيما السياسية والوطنية ، سواء من حيث الارتباط بالقيمة والثقافة الإسلامية ، أو من حيث وضوح الأسلوب ، وجلاء الفكرة ، وعلو النبرة الخطابية والتقريرية بصفة عامة ، من هذه العنوانات نذكر : (الربيع الأخير – شهيد العلم – العمال – الدعارة – الإحسان – عشراء السوء – فساد الأخلاق – الجمال – الباطن – المتكبرون – فؤاد الأم – حجب الوجه وكشف الساق – عُد يا معلم – الغرور – يا عاقد الخير – الميتَّم – الفقير – كفى – صديقي – الحمد للجوع – أتكلف البغض – كقلب الطفل – قُل لأديب شكا – أيها المكرمون – بين الحلم والحقد – دخلت على قوم – بنات حواء – يا صبايا – جاوزت حد الصفح – أسعد الناس– إلى روح أبي – عليَّ حقوق – الجميع فسدوا ... إلخ) .

وبيْنا نتأمل عنوانات القروي (سواء في قصائده أو في مقطوعاته) وجدنا بعضاً منها يتسم بالطرافة تارة ، والسخرية التي تضفي ألواناً من المرح والدعابة ، وهي تصور حالات التناقض لدى المجتمعات أو بعض الأفراد (كالمنافقين والمرائين) أو تشير إلى عدم تكلفه واهتمامه بالبحث عن عنوان مناسب تارة أخرى، وإن كان هذا النمط الأخير من القلة بمكان ، كعنونته بـ(رباعية) اعتماداً على أن عدد أبيات المقطوعة أربعة ، وليس أخذاً من المحتوى نفسه، ومن مثل عنوانه بـ (ألف وياء) حرفي الهجاء المعروفين ، ربما لينتج دلالة الربط والتوحد والشمول ؛ لأن الألف أول الحروف الهجائية ، والياء آخرها ، وقد يلعب الصبغ البديعي دوراً في اختيار العنوان كالطباق والجناس مثلاً ، مثل هذه العناوين : (القرب والبعد – ورائي أمام – الدنيا والآخرة – حكومة وشعب – الشر الكبير والخير الكبير – غنى البخيل) ، وقد يكون العنوان فاتحاً الشهية نحو التساؤل عن سر اختلال القيم واهتراء المعايير ، من مثل : (ماذا ولماذا ؟ و (لمن المآدب) و (كم هاتف) و (قل لمن) و(كم مطلب) وغيرها.

ونلمس عنوان المفارقة التصويرية ، وحالات التناقض الساخرة في مثل (رأيي بجامعكم) حيث يريد جامعة لا جامعاً ، ويذهب إلى أنه لو كان (

بجامعتكم) كان أفضل ؛ فالمساجد والجوامع وبيوت الله كثيرة ، لكن الجامعات محدودة ، ولو كان قد جمع بين الاثنين كان أحسن ، ومثل : (عيد المساخر) و (تشكو خزائنكم) و (بين البشر والبقر) و(الأرض العانس) ، ولعله اعتمد في هذا الأخير على عنوان : (الأرض اليباب)، لإليوت ، ولا بأس ، فهما معاً يجسدان اغتراب الإنسان المعاصر ، و(موتوا لنكرمكم) ... إلخ ما يجسد الحس الساخر ، ويضفي لوناً من المرح والتشويق على النص لجذب المتلقي إلى عالمه .

وهكذا تنوعت دلالة العنوان في شعر القروي ذي التوجه الإسلامي، فكانت تارة دينية، وثانية إسلامية ، وثالثة عربية لغوية وعروبية، ورابعة تأملية رمزية ، وخامسة اجتماعية، وأخرى طريفة منوعة ، وما إلى ذلك مما يمثل مرحلة من مراحل نضج شاعرية القروي .

د – المطلع أو المقدمة :

مطلع القصيدة أو المقدمة هو فاتحتها ، واستهلالها الأول ، وأول ما يلقاه أو يستقبله المتلقي منها ، عن طريقه يستطيع الشاعر أن يجذب المتلقي ، ويأسر انتباهه، فضلاً عن أنه يمهد للفكرة أو الموضوع الشعري ، كما يكشف عن الحالة النفسية للمبدع « إذا كان متفائلاً أو متشائماً ، أو مادحاً ، أو هاجياً ، أو ذاماً ، أو مصوراً ، أو راغباً في الحياة ، أو راغباً عنها ، وكيف كان يتعامل مع النساء ، وما موقفه إزاء الحب وعذابه ، وغير تلك المشاعر التي يمكن أن تفهم في أغلب الأحيان من العبارات الأولى»[١٤٦] أو من مطالع القصيدة والمقطوعة، هذه الأهمية دفعت النقاد – قديماً وحديثاً – إلى إبراز أثره ، والاهتمام به اهتماماً كاد يفوق سائر القيم والعناصر الجمالية في القصيدة ، فلقد تحدث عنه ابن رشيق في العمدة والجاحظ في البيان والتبيين ، والحصري في زهر الآداب ، وأبو هلال العسكري في الصناعتين ... حتى أنهم عدوه من أمارات البيان ودلائله ، وداعية الانشراح ، ومظنة النجاح، وعن طريقه يستدل على ما في جعبة الشاعر من أفكار ورؤى، ومن ثم راحوا يطالبون الشعراء بأن يبذلوا غاية الجهد في إجادته وإتقانه، علماً منهم بقوة الأثر الأول في النفس ، وأنه دفع السامع إلى التنبُّه والإصغاء ، إن كان جيداً آسراً ، وإلى الفتور والانصراف إن كان ضعيفاً فاتراً ، ولذا عُنِي به الشعراء ، وصرفوا همهم إلى الإبداع فيه ، وبلغ كثير منهم في ذلك مقاماً محموداً[١٤٧].

واهتمام الشاعر بالمطالع نابع من تفهمه التوجيهات النقدية أولاً ، وثانياً لأنه يعي أنه « لا سبيل أمامه إلا وجوب إتقان مطلعه ، وضبط أصوله ، وتنظيم قواعده ، حتى تظهر معه فكرته المنشودة ، يمزج ذلك بما يحدثه من مشاركة فنية

بينـه وبـين المتلقـي ، فيقوي بـذلك الترابط البنيـوي بين أركان القصيدة »[١٤٨].

وقد كان ابن رشيق على صواب حينما ألمح إلـى ذلـك قـائلاً : «وبعـد: فـإن الشـعر قُفْلٌ أولُـه مفتاحُـه ، وينبغـي للشـاعر أن يجوِّد ابتداء شـعره؛ فإنـه أول مـا يقرع السـمع ، وبـه يُسـتدل علـى مـا عنده من أول وهلة ، وليجتنب (ألا) و (خليلي) و (قد) فلا يستكثر منها في ابتدائه ؛ فإنها من علامات الضعف والتكلان، إلا للقدماء الذين جروا علـى عـرق، وعملـوا علـى شـاكلة ، وليجعلـه حلـواً سهلاً، وفخماً جزلاً»[١٤٩].

ويرتبط حسن المطلع ببراعة الاستهلال ، ومن ثـم يتوجـب علـى الشـاعر أنْ يطـوِّع أدواتـه الفنيـة كلها ، وأن يسخِّر مقدرته اللغوية ليستهل قصيدته حتـى يـوفر لهـا براعـة الاسـتهلال ، ويتبعهـا حسـنُ الإقبال عليها ، أما إذا كان المطلع قبيحاً منفر اً فسيعرض عنه السامع ، ولو تمتعت بقية القصيدة بالحسن ، إذ الابتداء هو : « أول شـيء يصـطك بـأذن السـامع ، ولـذلك ينبغـي أن يسـتهله الشـاعر اسـتهلالاً حسـناً يجـذب انتبـاه السـامع إليـه ، ويستحوذ على مشاعره ووجدانه ، ويثير فيه شوقاً للاستماع إلى القصيدة كلها»[١٥٠].

هذا وتقاس جودة القصيدة وروعتها بمقدار ما يبدعـه شـاعرٌ مـا مـن عظـيم الأثـر الفنـي ودقـة معانيـه ، وعذوبـة ألفاظـه ، وصـفاء مـورد صـوره الشعرية ، ثم براعة الاستهلال التي اشترطوا فيها أن يكون مطلع القصيدة دالاً على معانيه شعراً من غير تصريح ، بل إشارة لطيفة تضرب من حلاوتها في الذوق السليم من عتاب ، أو اعتذار ، أو مديح، أو هجاء ... « ومـا سـمي هـذا النـوع براعـة اسـتهلال إلا لأن المـتكلم يفـي غرضـه مـن كلامه عند ابتداء رفع صوته ، ورفع الصوت في اللغـة هـو الاسـتهلال ، يُقـال : اسـتهلَّ المولـود صارخاً إذا رفع صوته عند الولادة ، وأهل الحجيج إذا رفعوا أصواتهم بالتلبية »[١٥١].

وقد اشـترط النقـاد أيضـاً فـي جـودة المطلـع : الفخامـة ، والروعـة ، والأبهـة ، والبعد عن التعقيد اللفظـي والمعنـوي ، والخلـو مـن العيـوب والمآخـذ النحوية ، وبرودة المفردة وكزازتها ، مع الميل إلى الابتكار والاختراع .

وهـذا الاهتمـام بمطـالع القصـائد لـم يخـتص بعصر دون غيره ، فهي أكثر أجزاء النص مرونـة وحيوية ، وهي أقدر على التطويع والخضوع لذوق العصـر ومقاييسـه النقديـة ، ويبـدو التطـور فـي المطلع أكثر من غيره ، ومن اليسير الوقوف على التجديـد مـن مطـالع القصـائد ، وتحديـد اتجـاه الشاعر في الالتزام بعمود الشعر أو التجديد فيه ، فضـلاً عـن تحديـد طبيعـة الفكـرة ونوعيـة المحتـوى [١٥٢].

وحين نتأمل مطالع القصائد والمقطوعات ذات الصلة عند القروي نلمس مدى إفادته من هذه الرؤى والقيم الجمالية والفنية والنقدية – أكانت تراثية أم حديثة – إلى حد بعيد ، بحيث استطاع المطلع أن يبشر بالمحتوى وينبئ به أو يمهد له ، كما استطاع أن يكشف عن مشاعره ، وعواطفه ، وهواجسه ، ومكنوناته الداخلية بصفة عامة ، كما أبان عن ثقافته الإسلامية والمشرقية ، وحدَّد توجهه الفكري والفني إلى مدى بعيد ، نلحظ

سيدي كن لي على الحياة معيناً

فهو يطلب العون من الله على الحياة ، معلناً توبته طمعاً في رضاه.

ويجسد مطلع قصيدته (ابتهال) ما يتمتع به من نظرات إسلامية صادقة

سبحانك اللهم سبحانك اللهمَّ
عمَّ لك التسبيح يا ربنا
يا قابل التوب ، ويا غافر الذنب

ويحمل مطلع قصيدته: (ربي أعوذ)[١٥٥]

ربي أعوذ بعفوك المأمول من

ويأتي مطلع قصيدته (يا رب)[١٥٦] ليجسد

يا رب إنك صاحب الأمر

ويحمل مطلع مقطعته (شبول الأرز)[١٥٧]

هذا التوجه الإسلامي في بدء قصائده ومقطوعاته أحياناً بالتسبيح، والتحميد، والابتهال ، والأدعية ، والتسابيح ، حتى بعض المطالع الغزلية لم ينْسَ أن يحيطها بهالة من تسبيح الواحد القهار ، وقل مثل ذلك أيضاً في بعض قصائده التي تنحو منحى سياسياً ، أو وطنياً ، أو قومياً ، وإليك مجموعة من الأبيات الدالة على ذلك ، يقول في مطلع قصيدة (صلاة)[١٥٣]:

تائباً ذاق من رضاك معيناً

ومخلصة ، ونلمس فيه تكثيفاً للتسبيح والتحميد والاقتباس ما شاء من سورة (غافر) يقول[١٥٤] :

يا ربّ اللُّها والنهى
فكل ما في الوجود طيرٌّ شدا
ومؤتي عبدِه ما اشتهى

إعلان استعاذته من الغطرسة والرياء والمكر والزهو والوساوس السيئة ، يقول :

مكْرٍ ومن زهْوٍ ومن وسواس

تفرد المولى عز وجل باللجوء إليه وتفويض الأمر لديه ، يقول :

وأنا إليك موكِّلٌ أمري

بعض الإلماحات الوطنية، وصدق انتماء الشاعر للبنان ، يقول :

إلهي ردَّ ما لك من أيادٍ على وطني وَرُدَّ له الإيادا

أما مطلع قصيدته (في ذره التراب)[١٥٨] فيحمل إقرار القروي بتفرد الله بالوحدانية، يقول:

علَّ الوجود هو الله الذي اتجهت هذي النفوس إليه بالعبادات

أما قصيدته (الميتم السوري)[١٥٩] فيأتي ووضع التبرع المالي في المكان الصحيح واللائق مطلعها متسقاً مع ما تتطلبه الدعوة إلى البر ، به ، يقول :

هكذا فلْيُشَيِّد الأغنياء تفتديكَ القصورُ يا ذا البناء

وتأتي (هضاب الأردن)[١٦٠] على قدر كبير من الروعة ، والجمال ، فتخيل صورة الجنان التي وعد بها المسلمون ، يقول :

أهضابَ أردنَّ ترى عيناي أمْ وعدَ النبي محمدٍ للمسلم

وقل مثل ذلك في المطالع الآتية : مطلع قصيدته (بإذن الله)[١٦١] يقول فيه :

بإذن الله ربِّ العالمينا ورأي الخالد ابن الخالدينا

ونقرأ مطلع قصيدته (كم للرثاء)[١٦٢] فتجد فيه :

كم للرثاء سلختُ فيك شهورا قلقَ الوساد أصارعُ المقدورا

ويستهل قصيدته (عيد الفطر)[١٦٣] بما يشيع أجواء الحماسة والقوة والتصميم على مواجهة الأعداء بالسلاح حتى يرتوي السيف من دمائهم ومهجهم ، يقول:

صياماً إلى أن يفطر السيفُ بالدم وصمتاً إلى أن يصدح الحقُّ يا فمي

والأمثلة على ذلك كثيرة ، ولكنني أكتفي بما ذكرت ؛ لأنه يحقق المطلوب ، ولأنه يدلل على ما نود إثباته ، وهو أن المطلع جاء وثيق الصلة بالموضوع الذي من أجله كانت القصيدة، وإن علته النبرة الخطابية والتقريرية في جل نماذجه ؛ فكل هذا متوقع من شاعر رسالي ملتزم كالقروي، فضلاً عن أننا لاحظنا أن بعض هذه المطالع جاء مصرعاً فشكل هذا مصدراً من مصادر الموسيقى الظاهرية ، تنضاف إلى وحدة الوزن والقافية والتدوير في بعض الأبيات كذلك.

هذا التنوع في المطالع كان بمثابة المناورة لاستقطاب المتلقي ، ومحاولة الدخول به إلى عوالم النص ، بعد استثارته وتشويقه ، عبر مراوحته بين عدة تقنيات حملها المطلع .

هـ - الخاتمة :

هي آخر ما يتبقى في ذهن المتلقي من العمل الفني ، وآخر ما يكون في نفس المبدع ، ولذا يلزم أن يكون تخلصه إليها طيعاً مناسباً ، وينبغي أن تكون هي حسنة بليغة ، كأن تختتم بتشبيه بليغ مليح ، أو مثل سائر حسن ، أو ما شاكل ذلك ، كان الشعراء يفعلون ذلك ، وكذلك كان البلغاء الحذّاق ، والمترسلون المبرِّزون[١٦٤].

ومن مهارة الكاتب في رسالته ، والشاعر في قصيدته أن تكون الخاتمة مؤذنةً بنهاية الكلام، ربما لأنها آ خر ما يبقى في الأسماع ؛ ولأنها ربما حفظتْ من دون سائر الكلام في غالب الأحوال ؛ فيجب أن يجتهد في رشاقتها ونضجها وحلاوتها وجزالتها »[١٦٥].

وتعد الخاتمة في طليعة أهم عناصر وأجزاء القصيدة بعد المطلع ، ويطلق عليها المقطع ، وقد تنامى اهتمام النقاد القدامي بها ، وألمحوا إلى مدى تأثيرها على المتلقي ؛ لأنها خير ما يقالُ في القصيدة ، وما يغتفر في غيرها لا يغتفر فيها، وركزوا على حتمية أن تكون أجود بيت ، وأدخل في المعنى الذي قصد إليه الشاعر [١٦٦].

ولم يبعد النقد الحديث – وكذلك الشعراء المعاصرون – عن هذا الاهتمام بالخواتيم ؛ فقط اختلفوا مع بعض النظرات النقدية القديمة الواردة في هذا الصدد ، حيث ذهب البعض إلى أن « القصيدة ليست إلا تجربة تنتهي بنهايتها ، وأن الشاعر لم يعد مطالباً بتلك الخواتيم التي حددها القدماء متضمنة أمثالاً وحكماً ، وتشابيه جميلة رائعة »[١٦٧].

وعلى أية حال ، وبالتأمل في خواتيم قصائد ومقطوعات القروي – قيد الدراسة– وجدناها قد أتتْ منوعة الأساليب والمضامين أو الأفكار ، تبعاً لتعدد مواقف الشاعر وتجاربه من جهة ، ومعبرة أو موجزة خلاصة وعصارة أفكاره ووجهات نظره من ثانية ، وكاشفة عن مدى ثقافته الإسلامية وأثرها في شعره من ثالثة ، ومؤذنة بانتهاء القصيدة أو المقطوعة ، وكأنها قُفلٌ محكم لفاتحتها ومتنها من جهة أخيرة ، ولا بأس من أن نضع بين يدي المتلقي عدة نماذج لهذه الخواتيم ، فمثلاً قصيدته (الميتم السوري)[١٦٨] التي يتحدث فيها عن الأغنياء ، ويحثهم على التبرع لتشييد الملاجئ والمشافي للأيتام السوريين وغيرهم ، راح ينهيها ببيت يلخص وجهة نظره ، ويرتبط بمضمون ومحاور القصيدة ، مع استثمار بعض المأثورات والأدبيات الشعبية (الوقاية خير من العلاج).

ودواءٌ فيه الوقاية خيرٌ ... من دواء يكون فيه الشفاء

أما قصيدته (أقسى حبيب)[١٦٩] – ذات

المضـمون الاجتمـاعي – فيختمهـا ببيـت لا يخفى مدلوله الإسلامي ، حيث يقول :

يـــا إلهـــي إليـــك وكّلـــتُ أمـــري حســـب نفســـي رضـــا بأنـــك حســـبي

وينهي قصيدته (ابتهال)[١٧٠] ببيت يجسد العدالـة الإلهيـة ، وعنـد الله حسـن المثوبـة ، ومضاعفة الأجر والحسنات لمن يشاء ، يقول :

يُثِيبُهـــا أضـــعاف إحســـانها مـــا ضـــاع ســـعيٌ عنـــد ربـــي سُـــدى

وقصيدته (أجراس العيد)[١٧١] ينهيها ببيت يتضمن إقراره بأن تحية ربه أرقُّ وأندى من تحايا أعيـاد المـيلاد ، وأروع صـوتاً مـن أجـراس كنيسـة (نُويُرْك)، يقول:

لكـنْ تحيـة رب العيـد أجمـل فـي عينـي وسـمعي وروحـي مـن تحاياهـا

ويختتم قصيدته (عيد البرية)[١٧٢] ببيت يتضمن الصلاة والسلام على رسول الله –ﷺ– ، يقول :

فـــإن ذكـــرتم رســـول الله تكرمـــة فبلّغـــوه ســـلام الشـــاعر القـــروي

وقد تنتهي القصيدة أو المقطوعة ببيت ينحني على بعض الإيقاعات الوعظية والحكمية ، كقوله في قصيدة (لبيك) [١٧٣]:

ســـيفٌ لنشـــر الهـــام يســـوي ألـــــف شـــــاعرة وشـــــاعر

وقوله مختتماً قصيدته (ألا هاتِ اسقني نفطاً) [١٧٤]:

فكـل قلـوب أهـل الأرض حـبٌّ وكـــل حجـــارة الـــدنيا قلـــوبُ

وقوله في نهاية مقطوعة (أغضب صديقك)[١٧٥]:

مـا صرَّح الحـوضُ عمـا فـي قراراتـه مـــن راســـب الطـــين إلا وهـــو مضـــطرب

وقوله في ختام مقطوعة (يا بلبل الشعر)[١٧٦]:

كـم قفـص عُلِّـق فـي وجنـة الأحبـاب ضمن

وأحياناً نجده يختتم القصيدة بتكرار عنوان القصـيدة ، فمـثلاً عنـوان (وأنـت يـا مصـر)[١٧٧] وجدناه يتكرر في الختام حين يقول :

وأنـــت يـــا مصـــر مـــاذا يـــا خيـــر أرضٍ وشـــعب

وقل مثل هذا في ثنائيته (ماذا ولماذا)[١٧٨] ، حيث تكرر العنوان في البيت الثاني حين يقول:

كــل علــم النــاس (مــاذا) فــإذا أدركوهــا وقفــوا عنــد (لمــاذا)

ونلمح مثل هذا أيضاً في ثنائيته (لا تقعدوا معهم) [١٧٩]، مع إضافة التناص القرآني، يقول:

لا تقعدوا معهم – إذا هزئوا بها «حتى يخوضوا في حديث غيره»

أمــا الخــواتيم ذات النبــرة الخطابيــة الزاعقــة فنلمحهــا فــي مثــل ختــام قصــيدته (اعمــل لمــا يرضيه) [١٨٠]:

وقــرش الزكــاة بكــف الــجواد كســيف الجهــاد بكــفِّ البطــل

وغير هذا الكثير مما هو متناثر في أعماله الشعرية الكاملة ، لكنه لا يخرج في دلالاته وترميزاته عما ذكرنا من تأثير الثقافة الإسلامية على شاعرنا ، وربما سيتضح هذا الأمر أكثر حينما نعرض لاقتباسات الشاعر ، وتناصاته ، ومصادر تشكيل صوره ، فيما سيأتي بإذنه تعالى.

ثانياً : لغة القروي :

محور الارتكاز الأصيل في العمل الأدبي هو اللغة ، وهي في القصيدة تمثل المادة القادرة على ترجمة المشاعر والعواطف والانفعالات ، بل المعاني والأفكار التي يود الشاعر نقلها إلى المتلقين ، وهي لغة مبدعة ؛ لأنها تتخطَّى حاجز المدلول اللغوي ، أو المعجمي ؛ (أقصد اللغة التكافؤية التي توازى ويتكافأ فيها الدال والمدلول) إلى التحليق في عوالم الإيحاء والرؤى ؛ لإنتاج فن مشبع بفيض المشاعر والعواطف يستطيع أن يحدث الصدمة الانفعالية لدى المتلقي ، فيحفزه على التجاوب الوجداني مع التجربة الشعرية عبر وسيط اللغة الشاعرة هذه .

في هذا الضوء يمكننا القول إن الشعر ما هو إلا استعمال خاص للغة ، وإذا كانت اللغة « هي الظاهرة الأولى في كل عمل فني يستخدم الكلمة أداة للتعبير »[١٨٢]، فإنها الظاهرة الأولى كذلك التي تعكس أثر التراث وتبينه أيضاً ، ونحن نكتب اليوم بلغة أجيال سبقتنا بامتداد وجودها في الزمان عشرات القرون ، منها نستمد سماتنا وسماتها ، وما يميزنا ، ومنها نرث – فيما نرثه– طرائقنا في التعبير وأساس لغتنا القوية[١٨٣] .

إذا كانت اللغة كذلك (أو على ما وصفنا) فإنها أيضاً تجبر الشاعر على « أن يسلك فيها مسلكاً خاصاً ، ليستطيع فيها أن يؤدي معاني بطريقة تختلف عنها فيما عدا الشعر من فنون القول ، ومعنى هذا أن عليه أن يختار فيتحري الجميل المناسب ، والأنيق الحسن ، ولم يسلم من

هـــذا الاختيـــار ، وهـــذا التـــأنق الشـــعراء الأقدمون»[١٨٤].

وصـفوة القـول : أن اللغـة الشـاعرة ليسـت ظـاهرة صـوتية أو لهجيـة أو أبنيـة صـرفية ونحويـة ومعجميـة وفقـط ، إذْ هـي إلـى جانـب ذلـك كيـان مجسم ، أو تجسيم حيٌّ للوجود ، يعتريها ما يعتري سائر الكائنات الأخرى ، من ضعف أو هزال أو قـوة ، أو نشـاط أو خمـول ، أو حيـاة أو مـوت ، تبعاً لمقتضيات الزمان والمكان والمنـاخ والبيئـة ، وتبعـاً كـذلك لمـدى مهـارة الشـاعر وقدرتـه علـى الأداء وامـتلاك أدوات القـول الشـعري ووسـائله التعبيريـة ، وطاقاتـه الإبداعيـة بصـفة عامـة ، ثـم مدى قدرته على حسن توظيفها لملاءمة الموضوع المتنـاول ، والمـذهب الفنـي الـذي ينتمـي إليـه أو يتفاعـل معـه ، يقـول الـدكتور / سـعيد الـورقي : «فالكلمات لدى الشاعر ليست مجرد ألفاظ صوتية ذات دلالات صـرفية أو نحويـة أو معجميـة، وإن كان الشاعر لا يغفل في استخدامه الكلمات هذه الدلالات – وإنما هي تجسيم حيٌّ للوجود ، فاللغة الشعرية وجودٌ له كيان وجسم»[١٨٥].

هذا وقد تميز القروي – في مجمل شعره قيد الدراسـة – بلغـة شـعرية دمثـة ، تـنم عـن ثقافتـه التراثيـة ، ومـدى محاولتـه الإفـادة مـن التـراث الإســلامي المنــوع (القــرآن الكــريم – الحــديث الشـريف – مـأثورات بعـض الصـحابة – والرمـوز الإسـلامية) ، ثـم نهلـه كـذلك مـن مـوارد التـراث اللغوي والأدبـي ، ومـدى انعكـاس ذلـك فـي حسـن استثمار وتوظيف بعض الأمثال العربية والأبيات الشعرية وما إلى ذلك .

فضـلاً عـن أن تفاعـل الشـاعر القـروي مـع قضـايا وهمـوم وأوجـاع الأمـة العربيـة دفعت بعض المفـردات والتراكيـب العصـرية (منهـا الـوطني والسياسـي والاجتمـاعي والقيمـي) إلـى التسلل إلـى معجمه الشعري ، حتى وجدناها تشكل حقلاً دلالياً مهماً وثرياً يمكن أن ينضـاف إلـى حقل الـدلالات الإيمانية ، لكن هذا لا يمنع من القول بأنه كانت هناك بعض المفردات والتراكيب النثرية الفجة التي تجف فيها مائية الشعر ، وتلتصق بالأساس بلغة الحيـاة اليوميـة المجوفـة التـي فقدت قـدرتها علـى البـوح والإيحـاء والتـأثير نتيجـة اسـتهلاكها وكثـرة تداولها على الألسنة لسبب أو لآخر ، كما كانت هناك بعض الظواهر الأسلوبية التي – فيما أزعم – لـم يحسن توظيفها ، فشكلت تبعاً لذلك بعض المزالق الفنية ، إلا أن هذا النمط اللغوي أو ذاك كان من القلة بمكان ، إذا ما قيس بالنمط الراقي الذي ينهض – مع غيره من سائر صنوف الإبداع – بـأن يسـلكه فـي مصـاف الشـعراء المجيـدين ، ويمكننـا أن نعضـد هـذه المقولات بـبعض النمـاذج الممثلـة لحقول دلاليـة شـتى ، تظهـر مـدى امـتلاء القروي بالثقافة الأصيلة.

حقل الدلالات الإيمانية :

وهو حقل خصيب منوع ، يمكن أن تندرج فيه ألفاظ وتراكيب تتعلق بالقرآن والحديث النبوي الشريف ، والعبادات ، ومسائل الغيب ، وتمجيد الذات العلية ، والإفادة من المناسبات ذات الصبغة الإسلامية ... إلخ ، في هذا الضوء نستطيع أن نلمح شيوع مفردات تتصل بالذات العلية وصفاتها والتوجه إليها ودعائها ، وتسبيحها والثناء عليها ... إلخ من مثل (الرحمن الرحيم – الله – الإله – الصمد – الخالق – الأعلى – القاهر – الهادي – البارئ – الواحد – المهيمن ... إلخ هذه الأسماء الحسنى التي اتشح بها مثاله الشعري .

أما مفردات وعبارات حقل العبادات والتعبد ، فيمكن التماسها في مثل : (الصلاة – الصوم – الحج – الزكاة – الركوع – السجود – الآذان – عيد الفطر – عيد الأضحى – التسبيح – التكبير – التهليل – التحميد – الحميد – الحمد – الحلال – الحرام – الخشوع – الطاعة) وما إلى ذلك مما لمسناه في محاور تمجيد الذات العلية ، وتناول المناسبة الإسلامية ، وحسن استرفاد أو استلهام الشخصية المحمدية (المديح النبوي) وما إلى بذلك .

أما الحقل القرآني فتشيع فيه مفردات تتصل ببعض سور القرآن الكريم وآياته ، وكان من أشهر ما جاء في هذا الحقل متصلاً بالقرآن الكريم اسماً كان أو صفة : (القرآن – الكتاب – الفرقان – المصحف – المنزَّل – الوحي – كتاب الله – الأعظم – الشريف – النور)...إلخ.

أما حقل المسائل الغيبية والكونية فيمكن التمثيل له بمثل : (الجنة – النار – الجحيم – الكوثر – الفردوس – الأعلى – يوم القيامة – يوم البعث والنشور – دار الفناء – دار البقاء)... إلخ ، ومن الممكن أن ترد المفردة الواحدة على صور أهمها : إضافتها إلى ما يحددها ويبرز دلالتها الإيمانية من مثل : (جنة الخلد – دار القرار – دار البقاء – جنة المأوى – جنات النعيم) ... إلخ .

أما الحقل السياسي والوطني أو القومي ، فهناك من المفردات والعبارات ما ينهض ببنائه من مثل: (الحرية – الاستعمار – القهر – الظلم – الاستقلال – الصهاينة – الكفاح – النضال – المقاومة – الجهاد – المجاهدين – الشهيد – راية الحرية – جحافل – جيش – القوة – الحاكم – الحكام – العروبة – الصولجان – السلطان – الحماية – الوطن – الدولة – القائد – الوزارة – الأمير – الملوك ...إلخ).

هذه المفردات التي لا تكاد تجاوز مدلولاتها المعجمية المعروفة ، والمرتبطة بالحاكم أو

الأرض ، أو الوطن ، أو النفوذ والسيطرة ، وسلب المقدرات والثروات أو حمايتها...إلخ .

وأما عن الحقل الاجتماعي فقد تواترت فيه ألفاظ وتراكيب ذوات مدلولات اجتماعية ، وقيم روحية ، أو ذوات مثالب لسلوكيات اجتماعية مرذولة ، من مثل : (الفقر – الفقير – الغنى – الأغنياء – الأيتام – الأطفال – المستشفى – المراقص – المساخر – الحسد – الخديعة – الرياء – الغرور – الكبر – الحقد – الداعر – الدعارة – الخمر – الملاهي – الشباب – التربية – اللؤم – الهجاء ...إلخ .

ولا بأس من أن نذكّر ببعض الأمثلة التي تدعم ما نقول ، يقول القروي (من الحقل الإيماني) :

أسأل نفسي كيف صرنا هنا؟ أهذه الخلدُ ؟ أهذا أنا ؟

لم يظلم الرحمن نفساً ولا كلَّفها أكثر من وسعها(١٨٦)

وواضح مدى اقتباسه من سورة البقرة : ﴿**لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا** ﴾ ، فضلاً عن إشارته للجنة بـ (الخلد) في البيت الأول ، وكذلك مدى إفادته من سورة الكهف في قوله تعالى : ﴿ **وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً**﴾.

سبحانك اللهم سبحانك اللهم يا رب اللُّها والنهى

عمّ لك التسبيحُ يا ربنا فكلُّ ما في الكون طيرٌ شدا

يا قابل التوب ، ويا غافر الذنب ومؤتي عبده ما اشتهى

من جنة الخلد التي أزلفت لكل من عمّا نهيتَ انتهى(١٨٧)

وفي القصيدة نفسها نجده يلم بافتتاحية سورة (غافر) مع التعبير بمفردات ذات دلالات إيمانية من مثل : (سبحانك اللهم – عم لك التسبيح – جنة الخلد – التي أزلفت) يقول القروي :

ويفتتح قصيدته (ربي أعوذ) ببعض المفردات التي تشير إلى طلبه عفو ربه عن ذلاته ، وأن يعيذه من سائر الأمراض الخُلقية كالمكر ، والزهو ، والخيلاء ، والوساوس ؛ لأنه وحده القدير والجدير برفع ذلك .

ربي أعوذ بعفوك المأمول من مكْرٍ ومن زهْوٍ ومن وسواس

ما لي إليك سوى الرجاءِ وسيلةٌ فمآثمي تُربى على أنفاسي(١٨٨)

والتوجه إلى الخالق بالدعاء والاستعطاف نلمحه في مثل :

فيـــا ربّ رفقـــاً بتلـــك الفـــراخ وأبـــق لهـــم أُمَّهـــمْ ســـالمه

حنانيـــك ربـــي ، حنانيـــك ربـــي لقـــد قصـــمتْ ظهـــريَ القاصـــمه

أيـــا رب فـــاتحتي مـــا تـــرى فهـل لـك أن تحسـن الخاتمـه[١٨٩]

ومرة ثانية وجدناه يقول عازفاً على الوتر نفسه :

يـا رب إنـك صـاحب الأمـرِ وأنـــا إليـــك موكِّـــلٌ أمـــري

من لـي سواك إذا الهموم طمتْ وتلاعبـــت بســـفينة العمـــر

مُرْهـا تُطِعْـكَ فطالمـا سـكنتْ طوعـاً لأمـرك لجـةُ البحـر[١٩٠]

ويمتزج الحس الإيماني بالحس الوطني متجسداً في مثل هذى المفردات :

إلهـــي ردَّ مـــا لـــك مـــن أيـــادٍ علـى وطنـي وَرُدَّ لـه الإيـادا[١٩١]

وعـن الخشـوع وإعلانـه الطاعـة والانقيـاد ، وتنزيهـه عـن الشـريك فـي العبادة نجد مثل هذي والإقـرار لله تعـالى بالوحدانيـة والربوبيـة ، وإفـراده المفردات .

علَّ الوجـودَ هـو الله الـذي اتجهـت هـــذي النفـــوس إليـــه بالعبـــادات

لـــه العـــوالم أعضـــاءٌ مـــرددةٌ فيهـا الحيـاةُ علـى بعـد المسـافات

ســـبحانه وتعـــالى أن يصـــاحبه نقصٌ ويُعنى بنفي أو بإثبات (١٩٢)

أما عن الحقل القرآني فيمكن التماسه في مثل قوله :

قبـــل أن نُـــؤتَى كتابـــاً منـــزلاً أبـــدع الله لنـــا هـــذا الوجـــودا

فقرأنـــا فيـــه آيـــات الهـــدى وذكرنـــاه قيامـــاً وقعـــودا

أيضـــير الـــدينَ لـــوْ كُنّـــا علـــى هامـــة الجـــوزاء لله ســـجودا؟[١٩٣]

ويقول مازجاً الحس الإيماني بالحس القومي:

أنا العروبة لـي فـي كل مملكـةٍ إنجيـلُ حـبٍّ ، ولـي قـرآن إنعـام[١٩٤]

ونلمـس فـي قصـيدته (الناخلـة) العديـد مـن المفـردات والعبـارات التـي تجسـد البعـد الإيمـاني المتداخل مـع المشـهد السياسـي العصـري ، وربـط ذلـك كلـه بالحضـارة والثقافـة الإسـلامية تـارة ، وبالقرآن الكريم أخرى ، نجد فيه مثل : (هل أنا مسـلم – طهـارة الوجـدان – إيكـال الأمـر إلـى الرحمن) وما إلى ذلك ، وقد عرضنا لها سابقاً .

وتعليق الأمور وربطها بالمشيئة الإلهية ، وربط دولة العلم ، وتأسيسها على الدين، والاقتباس القرآني من قوله تعالى : ﴿ **وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ**﴾ ، هذا كله نلمحه في مثل قوله [١٩٥]:

بإذن الله ربِّ العالمينا ورأي الخالد ابن الخالدينا
سنبني دولةً للعلم تسمو على دول الورى دنيا ودينا
وإن زاد الصهاينةُ اغتراراً وظنوا أنهم لا يُغلبونا
وخاضوا مثلما خاضوا قديماً بمُنْزَل ربنا مستهزئينا
يعذّبهم وينصرنا عليهم ويشفِي صدور قوم مؤمنينا

أما الحقل الغيبي والكوني فيمكن التماسه في مثل المفردات والعبارات التالية (خُط في الغيب – وفي الملأ الأعلى غثاء – نفخة الصور – التعبير عن رؤيا – البعث والنشور – سكرات الموت – العمل ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون – ثم مسألة الثواب والعقاب أو الوقوف بين يدي الخالق للحساب ... إلخ)، لاحظ قوله مثلاً :

أو ما سمعتَ الصور يُنفخ باعثاً من في اللحود ؟ أما سمعتَ الصورا؟
أو ما رأيت العرب من سكراتهم هبُّوا إناثاً للعلا وذكورا؟
لا موتَ بعد اليوم إلا للأُلي ملأوا البلاد مظالماً وفجورا
يا راثي الأحياء حسبك ضلةً ما كنت إلا واهماً مغرورا
ترثي خليل الله وهو مخلد ما كنت يا قروي تشهد زورا
ترثي الذي ورث النبي محمدا أو ما سمعت حديثه المأثورا؟

... القصيدة[١٩٦] .

ونراه يقول ناصحاً ومحذراً :

فاعمل ليوم لا رجوع به إلى عملٍ ، ولا عملٌ بغير جزاء
آمنت بالأخرى فليس وجودُنا عبثاً ، وليس مصيرنا لفناء(١٩٧)

وواضح أنه أفاد هنا من أدبيات الإمام علي بن أبي طالب ، حينما قال :« اليوم عمل ولا حساب ، وغداً حسابٌ ولا عمل» ، كما اقتبس من قوله تعالى:﴿ **أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ**﴾.

ومـن حقـل التعبـد والعبـادات نلـتقط لـه هنـا مفـــردات :(الصـــيام – الفطـــر – العيـــد – الصـــوم) وربطهـــا بـــدلالات عصـــرية تشـــي بمقاومـــة المســـتعمر بكـــل الســـبل المتاحـــة ،

صياماً إلى أن يفطر السيفُ بالدم ... وصمتاً إلى أن يصدحَ الحقُّ يا فمي
أفطرٌ، وأحرارُ الحمى في مجاعة؟ ... وعيـــدٌ وأبطـــال الجهـــاد بمـــأتم؟
بـــلادك قـــدِّمها علـــى كـــل ملَّـــة ... ومـن أجلهـا أفْطر ومـن أجلهـا صُـم
فمـا مـسَّ هـذا الصـوم أكبـاد ظُلَّـم ... ولا هـــزَّ هـــذا الفطـــر أرواحَ نُـــوَّمِ
لقـد صـام هنـديٌّ فجـوَّع دولـةً ... فهل ضار علجاً صومُ مليون مسلم؟
تجشـم عـن أوطانـه صـومُ عامـدٍ ... فجشَّـم أوطـان العـدى صـومُ مُـرْغَم(١٩٨)

وعـن العيـد (عيـد الأضـحى) ومـا يتعلـق بـه مـن المشـاعر والمناسـك وتقـديم الأضـحية ...إلـخ ، وجـدنا مفـردات مثـل : (العيـد – الإســـلام – الأضـــحى – أضـــاحي عرفـــات ومنـى – ضـحى بكـبش– تأديـة الزكـاة .... إلـخ) مـــع ربـــط مفـــردات هـــذا الحقـــل بـــبعض القضـــايا العصـــرية والمتصـــلة هنـــا بالمقاومـــة

لـــــيس للإســـــلام أو للعيســـــويّهْ ... مـــا بهـــذا العيـــد للـــدين مزيّـــهْ
نحـن والإسـلام فـي الأضـحى سـواء ... قـــد تقاســـمنا الضـــحايا بالســـويهْ
مـــا أضـــاحي عرفـــاتٍ ومنـــىً ... بـــل ضـــحايا الشـــام بالمجـــد غنيّـــهْ
لـــيس مـــن ضـــحًّى بكبْشَـــيْ غـــنمٍ ... مثـــل مـــن ضـــحى بـــنفس بشـــريهْ
أيـــن مـــن أدى زكـــاةً مـــن فتـــىً ... جـــاد للأمـــة بـــالروح الزكيـــهْ

ومن حقل تناول الشخصية المحمدية نَنْتَقي منه هذه المفردات (شغلت قلبي بحب المصطفى) و (خير المرسلين) و(عيد المولد النبوي) و(بدا من القفر نورا) ، و(فاتح الأرض) و (قرآنه العلوي) و(رسول الله) و (بلغوه سلام الشاعر القروي) و

ومنهـــا سياســـة المقاطعـــة الاقتصـــادية التـــي انتهجهـا الـزعيم الهنـدي (المهاتمـا غانـدي) تـراه يقول:

والجهـاد ضـد المسـتعمر حتـى اقتنـاص الحريـة والاسـتقلال ، ولـن يـتم ذلـك إلا بتقـديم المزيـد مـن الضـحايا والقـرابين ، يقـول القـروي فـي قصيدته (عيد بأي حال عدت يا عيد)[١٩٩]:

(نور النبوة) و(طلع الهدى من شرقنا) ... إلخ ، ولنأخذ على سبيل المثال قوله :

عيـدُ البريَّـة عيـدُ المولـد النّبـوي ... فـي المشـرقين لـه والمغـربين دوي

عيد النبـيّ ابن عبد الله من طلعت ... شـمسُ الهدايـة مـن قرآنـه العُلُـوي

بـدا مـن القفـر نـوراً للـورى وهـدىً ... يـا للتمـدُّن عـمَّ الكـون مـن بـدوي

يـا فـاتح الأرض ميـداناً لقوَّتـه ... صـارت بـلادك ميـداناً لكـل قـوي

فـإن ذكـرتم رسـول الله تكرمـة ... فبلغوه سلام الشاعر القروي[٢٠٠]

ويقول مستثمراً رمز القيادة والشجاعة المحمدية :

إذا حاولـت رفـع الضَّـيم فاضـرب ... بسـيف محمـدٍ واهجـر يسـوعا[٢٠١]

ومـن واقـع الكفـاح والجهـاد والمقاومـة ضـد المستعمر حتى تحقيق الخلاص والاستقلال اتشح معجمـه بمفردات عصـرية تسـللت إليـه مـن مثـل (قنبلـة – صواعق – فجائر الألغام – ساح الوغى – بمدافع – البطش – الحرب – بنات الغرب – العروبة – التعصب ...) إلخ ما نلمسه في مثل قوله[٢٠٢]:

ملكـوا أزمّـة كـل علـمٍ سـام ... والحـرب تملكهـم بغيـر زمـام

لـم أدر قبـل الآن أن حلـومهم ... وهـي الجبـالُ تخـفُّ كـالأحلام

مـا كنـتُ أحسـبُ أن أعـلام الهـدى ... فـي الحـرب ترفـع قـانيَ الأعـلام

زحفـوا إلـى سـاح الـوغى بمـدافع ... كالأُسـد رابضـة علـى الآكـام

بطشـت ومـا وثبـت فمـن أشـداقها ... إن زمجـرت يثـب الحِمـامُ الحـامي

وصـواعقُ الـزبلين عنـد هُوِيّهـا ... محتكـةٌ بفجـائر الألغـام

هاتيـك توغـلُ تحـت أطبـاق الثـرى ... نُـزلاً وتلـك تغيـب فـي الأجـرامِ

تقـف النفـوسُ مكانهـا مبهوتـةً ... لـم تـدر كيـف غـدت بـلا أجسـامِ

مَـن لـي بطـائرة لرفـع القلـب مـن ... مهـوى الشـقاء وحمـأة الآثـام

مـن لـي بقُنبلـة لحصـد الهـمِّ مـن ... دنيـا التعاسـة ، لا لحصـدِ الـهامِ

.... القصيدة وقد عرضا لها سابقاً .

وحين يتحدث عن الغرب وفظائعه وممارساته القمعية ، وفلسطين الجريح ، ووعد بلفور المشئوم

، تتشال علينا مفردات وعبارات مثل: (الرسول المنافق – فلسطين آية – التسجيل في الصحائف لتوثيق الحدث– قتام الحرائق – فوهات البنادق – حبال المشانق) ، ثم يستدعي بعض الرموز الإسلامية من أمثال خالد بن الوليد ، وطارق بن زياد؛ ليذكر بالأمجاد الإسلامية من جهة ، ويوفر الأجواء الحماسية للشباب العربي من جهة أخرى ، لاحظ قوله [٢٠٢]:

فـــي فلســـطين آيـــةٌ ... للرســـــول المنـــــافقِ

سُـــجِّلت فـــي صـــحائف ... مـــن قَتـــام الحرائـــق

رتَّلـــــتهنَّ للـــــورى ... فُوَّهـــــات البنـــــادق

وروتْهـــــنَّ ألْسُـــــنٌ ... مـــن حبـــال المشـــانق

....

هـا هـو الأمـس أمسـكم ... مـــاثلاً لـــم يفـــارق

هـــا ميـــامين (خالـــد) ... هـــا مغـــاوير (طـــارق)

كما اتشحت لغته بالعديد من الشخصيات الإسلامية التي ابتدأت بالرسول الأعظم محمد –ﷺ– ، ومرت بشخصيات الأنبياء – عليهم السلام– ، ثم الصحابة ورموز الحضارة الإسلامية ، فعلى امتداد بحثنا مررنا بشخصيات مثل (محمد–ﷺ– عيسى – المسيح – مريم – آمنة – موسى – يونس – داوود – سليمان– نوح – يحيى – خالد بن الوليد – طارق بن زياد – صلاح الدين الأيوبي) وقد استدعاها بالعلم تارة ، وباللقب ثانية ، وبالكنية تارة أخرى ، مراعياً في ذلك الوضوح ، ومدى شهرة الشخصية لدى الجماهير العربية الإسلامية ، لكن كما ذكرنا كانت هناك بعض النثرية الفجة التي تجف معها مائية الشاعر ، نذكر منها قوله :

نحن أضعاف شعب (فتنام) عدًّا ... فلماذا لا ندفع الشرّ بالشرِّ؟[٢٠٤]

ومن مثل تكراره كلمة (سلطان) ثلاث مرات في بيت واحد هو :

الحق سلطاني ولست بحاذرٍ ... في الحق سلطاناً سوى سلطاني[٢٠٥]

وقوله في القصيدة نفسها (الناخلة) مكرراً كلمة (نيشان) ثلاث مرات :

مِـن طالـب النيشـانِ حتـى صـاحب ... النيشـان ، حتـى واهـب النيشـان

ثم يأتي مِن (أبكى) و(أضحك) بجمع غريب مشتق منهما هو (الأباكي) و(الأضاحيك) ، يقول:

شبلئ طلالٍ وغازي لا عدمتكما حتام هذه الأباكي والأضاحيك؟[٢٠٦]

وكان من الممكن أن يستخدم المصدر (التباكي والتضاحك) لكن يبدو أنه أراد الجمع لا المصدر ، فكانت هذه الغرابة .

يا أبُ ،إن كنت أخا حكمة هُزَّ عصا التأديب للابن

فإنما أنت بتقويمه أَوْلى من الشرطيّ والسجن[٢٠٨]

لكنها (هذي النماذج) من القلة بمكان ، وعلى نحو لا يقدح في شاعريته ، ولا في معجمه الشعري الخصيب والمنوع ، والمستقي من مصادر عدة تتصل غالباً بالتراث الإسلامي والثقافة الإسلامية في أبهى تجلياتها كما ذكرنا .

ثالثاً : الصورة الشعرية :

الصورة هي الوسيلة الفنية الجوهرية لنقل التجربة[٢٠٩]،وهي أيضاً: رسم شكلته الكلمات والمفردات ، وهي في القصيدة الشعرية : تعبير يقوم بنقل« شعور الشاعر أو أفكاره معتمداً على التجسيد لا على التصريح ولا على التجريد ، كما تُشرك معه عواطف متلقي شعره ، وتشخص لهم ما يريد نقله إليهم»[٢١٠]، وفي هذا الضوء تصبح الصورة جزءاً حيوياً في البنية الفنية للقصيدة ؛ لأن اعتمادها على الخيال يجعلها «أقدر على التمييز والتأثير من الكلمات المجردة»[٢١١] إضافة إلى أن وأين الشعرية في مثل قوله : (يتسابقون إلى إطاعة أمره)[٢٠٧]؟

وهذه بعض تقريريته ونثريته الفجة المعيبة ، لاحظ قوله :

هُزَّ عصا التأديب للابن أَوْلى من الشرطيّ والسجن[٢٠٨]

وجودها يقوم بخلق حالة من امتلاء المعنى واتساع آفاق الرؤية في القصيدة[٢١٢].

وتتآزر الصورة مع غيرها من سائر الأدوات الفنية التي يحوزها شاعر حاذق لإنتاج « التشكيل الفني للقصيدة ، وهي عالم فسيح تتضح فيه العلاقات وتقترب حيناً ، وتدق حيناً آخر ، كما أنها تعد من أقوى الوسائل للتعبير عن الفكر والشعور تعبيراً حيًّا مؤثراً ، وهي ركن أساسي وقديم في الشعر»[٢١٣].

والصورة الشعرية سواء تولدت من مراءٍ حسية ، أو صنعها خيال شاعر مبدع ؛ لا يمكن أن تخرج إلى ساحة الوجود « إلا من خلال تجربة مرت بالأديب تحرَّك بها وجدانه ، ومارَتْ بها عواطفه فَفَارَتْ تلك التجربة حتى تجاوزت حدود الشعور الداخلي ، فانتقلت في صور شتى لتعبر حاجز الشعور إلى الإحساس ؛ لتعبر عن مكنون

النفس وخلجات الفؤاد ، وقد اصطنع لها الأديب سياقاً بيانياً خاصاً قوامه الألفاظ والتراكيب، والإيقاع الموسيقي، والرمز الإيحائي الذي يتولد عن الألفاظ والعبارات ، وكل ما يدخل المعجم الشعري من استخدام الحقيقة والمجاز ، وأدوات النداء والاستفهام ، وتردد العبارات بين الجمل الفعلية والاسمية ، واستخدام الصورة للفعل ماضياً أو مضارعاً ، وحسن التعليل أو التخلص أو التقسيم، وما يزين الصورة من محسنات بديعية»[٢١٤].

وكأن الشاعر أو الأديب – من خلال النمط التصويري – يعيد تشكيل العلاقات بين المكونات، أو يقوم بخلق روابط لم تكن موجودة من قبل بين وحدات تكوين العبارة الأدبية، إنه يفجر الطاقات الهائلة الكامنة في جوف الألفاظ ، أو يقوم بنقل اللغة من بوحها العادي والتقريري المباشر إلى إطار الخطاب الفني ، فيحقق بذلك هدف الأدب في الارتقاء بالأذواق الإنسانية[٢١٥]، ولا يعد الشاعر مبدعاً في صوره، مجدداً في وسائله التعبيرية وأدواته الفنية إلا عندما تدفعنا صوره إلى صدور انفعالات متجاوبة ومشاعر متأثرة ، تكون قادرة على انتزاعنا من واقعنا لتسلمنا إلى رحاب الموقف الذي اتخذته رؤية الشاعر والاختبار الذي مالت إليه ، ومن ثم لا يقتصر التصوير على الانطباع الوصفي في المخيلة والذاكرة ، وإنما– وإلى جانب ذلك– يعمل على إثارة الانفعال الواعي والتأثير الحقيقي على النفس[٢١٦].

وتأسيساً على ذلك نالت الصورة الشعرية الاهتمام الأوفر حظاً من النقاد القدامى والمحدثين على السواء ؛ حيث وجدناهم يهتمون بها اهتماماً كبيراً وكأنها تشكل – منفردة – لحمة القصيدة وسداها ، أو كأنهم انطلقوا من مقولة الجاحظ السائرة : « الشعر ضَرْبٌ من النسج وجنس من التصوير» ، وبوحي من هذه المفاهيم والرؤى ستكون دراستنا للصورة الشعرية في الشعر الإسلامي عند القروي .

وبالنظر في هذا الشعر وجدناه يحفل بعدة أنماط تصويرية ، فأنت ترى فيه وجود الصورة الكلية التي تضم عدداً من الصور الجزئية المتناغمة والمنسجمة حتى الامتزاج ؛ لتفرغ في النهاية لوحة فنية مكتملة العناصر الصوتية والضوئية (اللون) والحركية ، إلى جانب الصور المتقابلة والمتولدة عن بعضها البعض ، والمنضمة كذلك إلى نمط ثالث هو النمط الطريف المبتكر ، وأحياناً كنا نلمس بعض المكونات التراثية تسهم في إنتاج صورة ما وإن كان يمكنك رد هذه الأنماط جميعاً إلى اثنين رئيسيين هما : الصورة الكلية والصورة الجزئية ، وقبل عرض نماذج من هذه الأنماط يجدر أن

أشير إلى أن مصادر الصورة في شعر القروي – قيد الدراسة – كانت متعددة كذلك، ويمكن ردها إلى المصدر الإسلامي ممثلاً في (القرآن الكريم – الحديث الشريف – بعض الأدبيات والمأثورات الدينية – الثقافة والموروث الحضاري – المشاهد الكونية والطبيعية – وأسئلة الكينونة والوجود والمسائل الغيبية) وما شاكل ذلك ، ونفسح المجال الآن لعرض نماذج الأنماط التصويرية .

أ– الصورة الكلية:

وهي صورة أنتجتها مجموعة من الصور الجزئية المتناغمة والمنسجمة والمتجهة إلى إحداث تأثير ما على المتلقي ، هذه الصور يمكن التماسها في مثل قول القروي في قصيدته (الغفران)[٢١٧] – من الخفيف–:

قمتُ قبل الطيور أشدو حبوراً ... لا أرى علّة لفرط حبوري
مؤنساً وحشة الفضاء كأني ... نبأٌ طيّبٌ، سرى في الأثير
وعلى وجنتيَّ للوْرد ظلٌّ ... عائمٌ فوق موجةٍ من نور
أتهادى بين الغصون كغصنٍ ... وأناغي العصفورَ كالعصفور
قلتُ: ربي أزال عهدُ شقائي؟ ... أم أُراني في عالم مسحور؟
وإذا زهرةٌ كوجْنَة طفل ... جنبها شوكةٌ كنابِ هصور
فتذكرتُ ليلةَ الأمس حُلماً ... منه أدركتُ سرَّ هذا السرور
إن كفَّ الرحمن تحت سكون الليـ ... ـل بالعفو غلغلت في سريري
فرمتُ نفحةً من العطر في قلـ ... ـبي وعادت بشوكةٍ من ضميري

إننا أمام صورة كلية شكلتها ثلة من الصور الجزئية المتضامة ، والتي ربما لو جاءت جزءاً جزءاً ما أنتجت مثل هذا التأثير على المتلقي، صورة كلية تنهض فكرتها على تجسيد مدى تعمق النزعة الإيمانية في قلبه ، أو تغلغل الدين في سويدائه ، هذه الومضات الروحية ما كانت لتوجد لولا هذه الصور الجزئية المتمثلة في مثل :تصويره هو بطائر مغرد نشط ، راح يشدو معبراً عن حبوره بروعة الطبيعة التي صنعها الخالق على عينه (قمت قبل الطيور أشدو حبورا) ، ثم صورته هو كذلك التي تبدو في هيئة رسول بريد يحمل الأخبار السارة إلى الآفاق والفضاءات ليؤنس وحدتها ، ويذيب وحشتها ، ثم توليده صورة الشوكة التي بدتْ ناباً هصوراً من صورة الزهرة التي استحالت وجه طفل ، أي أنه ولَّد صورة الألم

والوجع والوخز بالأشواك من صورة الرقة والبراءة

وإذا زهـــــرة كوجْنَـــــة طفـــــل

وهناك تصوير لوجنتيْه ببحر مائج ، ثم عمق من الصورة حينما جسد ظل الورد في صورة سباح ماهر ، راح يشق عباب البحر ، ممتطياً صهوة

وعلـــى وجنتـــيَّ للـــوْرد ظـــلٌ

هذه الصورة سرعان ما أردفها بأخرى بدا فيها الشاعر غصناً مائساً يتهادى بين الغصون تارة ،

أتهـــادى بـــين الغصـــون كغصـــن

وإن ننس لا ننسى تصويره المبدع الذي بدا فيه حلمه – الذي رآه في ليلة أمسه – بكتاب كوني راح يتأمل صفحاته وسطوره ، حتى باح له بأسرار نشوته وطربه ، ثم عمق الصورة حينما أردفها بما يومئ إلى تدخل العناية الإلهية ، وقدرة

فتـــذكرتُ ليلـــة الأمـــس حُلمـــاً

إن كـفَّ الـرحمن تحـت سكون الليـ

فرمـتْ نفحـةً مـن العطـر فـي قلـ

مجموعة من الصور الجزئية تضامنت حتى شكلت في النهاية صورة كلية كان محور ارتكازها هو نفسية الشاعر الهادئة والناعمة بعفو الرحمة الإلهية ، بعد أن تطوحت حيناً من الدهر بين المد والجزر ، والشك واليقين ، وقد استطاعت هذه الصور الجزئية أن تعكس عاطفةً هادئةً مشرقة ، اشتجرتْ أحياناً مع اللون الغائم الذي انعكس من تصوير شوكة الزهرة بناب وحشٍ هصور ضار، والوداعة ، لاحظ قوله :

جنبهـــا شـــوكةٌ كنـــابِ هصـــور

أمواجه الأثيرية النورانية ، فتومئ الصورة إلى اتساع الوجنتين ونعومتهما وشدة تموجهما وصفائهما ، انظر إلى قوله:

عـــائمٌ فـــوق موجـــةٍ مـــن نـــور

أو عصفوراً يناجي عصفوراً آخر ، وينتقل من فنن إلى فنن تارة أخرى ، يقول :

وأنـــاغي العصـــفور كالعصـــفور

الخالق التي شملته بعفوه تارة ، وفجرتْ دواعي سروره ثانية ، وغمرت قلبه بالعطر والشذى ثالثة ، وأيقظت ضميره الغافي تارة أخرى ، انظر إليه يقول عاكساً تلك النفحات الربانية والومضات الروحية :

منـــه أدركـــتُ ســـرَّ هـــذا الســـرور

ـــل بـــالعفو غلغلـــت فـــي ســـريري

ـــبي وعـــادت بشـــوكة مـــن ضـــميري

لكن اللون العاطفي المسيطر على مكونات الصورة الكلية كان من النوع المشرق الهادئ الذي يغلف نفساً هانئة وادعة طروباً ، يعيشها في حمى الرحمن الرحيم .

هذا وقد توافرت في هذه الصورة الكلية جميع عناصرها الصوتية والضوئية (اللون) والحركية، فنحن نستطيع أن نسمع الأصوات في مثل: (

أشدو – نبأ – أناجي – أو أناغي – قلت – رمت وما ينتج عن الرمي من أصوات ... إلخ).

ونرى الألوان في مثل : (الطيور– الفضاء – وجنتي– ظل– موجه – موجة – نور – الغصون – غصن – العصفور – زهرة – وجه الطفل – شوكة – ناب – ليلة – سريري ... إلخ).

وأما عن عنصر الحركة فالصورة كلها مائجة بحركة فوارة موارة ، تلفها منذ مطلعها وحتى آخر مفردة فيها ، لاحظ مثلاً : (قمت – نبأ سرى في الأثير – عائم فوق موجة نورانية – يتهادى بين الغصون – أزال عهد شقائي – غلغلت في سريري– رمت نفحة من عطر – عادت بشوكة) ، الأمر الذي يجعلنا نقرر مطمئنين أننا أمام صورة كلية زاهية بأصباغها وألوانها ، عامرة بأصواتها وأصدائها ، مياسة بحركتها وتموجاتها ، وأنها في مجموعها كشفت عن أن الشاعر لم يتناول الطبيعة الصامتة تناولاً سردياً تقريرياً جافاً ، إنما صورها من داخله ، من رؤاه وأحلامه ، فدمج المجرد المرئي بالنفسي ، وزاوج بين المرائي الحسية ، والأحلام الروحية ، حتى بدتْ نفسه هادئة قانعة صافية صفاء الطبيعة ونقاءها ، راضية هنيئة بعفو الرحمن وآثار قدرته .

وبين أيدينا صورة كلية ثانية تقوم فكرتها المحورية على تصوير تململ أحد المرضي ، وهنا هنا رمزٌ لكل مريض ، يقول في قصيدته (مدنف في مستشفى)[٢١٨]– من الخفيف–:

ساهرٌ لا تمتُّعاً بل عذاباً ... نائمٌ لا استراحةً بل عَياءَ

في مكانٍ، هَبْهُ السماءَ ... أيرى المدنفُ السماءَ

ليس يُغني الضياءُ إن زاره حيناً عن الشوق أن يزور الضياء

يسمع الناس يسرحون إلى الأعمال صبحاً ويمرحون مساء

وهو عنهم في قبضة الداء لا يملك إلا الإصغاء والإغضاء

إن يشاهدْ منهم فوجةَ طبيب ... عاده ثم عاد من حيث جاء

أوْ نسيبٍ إن زاره فكما ... زار محبٌّ قبراً وملَّ البقاء

أو صديق يلمُّ إلمامةَ ... توارى ولم يكد يتراءى

أو ثقيلٍ لا يستطيع فراراً ... منه لو شاءَ وهو بالموت شاء

ليس يستمريءُ الزلال شراباً ... ليس يستهنيء السُّماني غذاء

وإذا التذ بالكتاب فحيناً ... لم يعادلْ فيه الهناءُ العناء

عمد القروي إلى عالم المرضى ، والتقط منه هذه الصورة الكلية المفعمة بالصدق الواقعي والفني معاً ، نقلها إلينا والأسى يعتصره كما اعتصر المريض تماماً ، والمريض هنا رمز لكل مريض متململ في فراشه ، يصارع أوجاعاً بدنية ، وأقسى منها قيمية أو أخلاقية ، آلام الداء وأسقام البدن أهون بكثير من آلام الروح والوجدان ، أهون بكثير من تنكر القريب قبل الغريب ، أقل هوناً من رؤية أناس– قد يكونون رفاقاً أو أصدقاء – يؤثر رؤية الحِمام على رؤيتهم ، والمهم أن القروي كان وهو يسرب إلينا هذه الرؤى يعتمد الصورة الواقعية – التي لا تنهض على تشبيه أو استعارة تارة ، والصورة الرامزة الموحية ثانية ، والتي رسمتْها المفردة أو العبارة ثالثة ، إلى جانب الصورة البيانية (التشبيهية أو الاستعارية) تارة أخرى ، وكان محصلة ذلك كله هذه الصورة الكلية التي تجسد عالم المرضى مقروناً بعالم الأصحاء – الذين سيفرد لهم مساحة خاصة فيما بعد – فمثلاً كان بين هذه الصور الواقعية تلك التي احتملها البيت الأول ، والذي يبدو فيه المريض أرقاً مسهراً ، يتململ ولا يقرّ له قرار ، يتقلب ذات اليمين وذات الشمال ، سهره من السقم والضنى ، لاعن تمتع بوصل حبيب ، أو جلسة ندمان يحفهم الطرب والقصف والمعازف من كل مكان ، وإن رأيته نائماً فهو نوم العياء والإجهاد ، لا نوم الراحة أو هناءة البال ، إذن الصورة تومئ إلى التململ ، وَقَضَّ المضجع وعدم الاستقرار ، وها هي ذي مكوناتها :

ساهرٌ لا تمتعاً بل عذاباً ... نائم لا استراحة ، بل عياء

تُعمق هذه الصورة حينما تتلوها أخرى تومئ إلى عدم استشعاره الجمال ، وسيماء السمو والترقي ، لا عن بلادة حس ، إنما عن توجع وأسى ، لاحظ قوله : وكأنه يكثف مع ذلك رؤية المريض للأشياء على غير حقيقتها .

في مكان هبْهُ السماءَ جمالاً ... أيرى المدنفُ السماء سماء

وها هو ذا الضياء يتجسد في صورة زائر لهذا المريض ، تراه إن فكر يوماً ما في زيارته ، لم تفلح هذه الزيارة في إطفاء نيران شوقه المستعرة بين جوانحه، إما تحرقاً على مرضه ويأساً في البرء من دائه، وإما شوقاً إلى الصحة ، وطمعاً في مغادرة الأوجاع لجسده ، وعلى أية حال فالصورة تومئ إلى العبثية وخيبة المسعى.

ليس يغني الضياء إن زاره حيـ ... ـناً ، عن الشوق أن يزور الضياء

وتأتي صورة أخرى تنهض على التقابل مرة، وعلى توظيف المحسن البديعي (اللف والنشر المرتب) مرة أخرى، وتشير في النهاية إلى ضعفه ، وفقده الإحساس للأشياء من حوله، ترى الناس وهم ذاهبون إلى أعمالهم صباحاً ، ثم يعودون في

يسمع الناسُ يسرحون إلى الأعـ
وهو عنهم في قبضة الداء لا يمـ

الذي يراه بصورة روتينية عادية مكرورة ومملة ، هم إما:

أ- وجه الطبيب المعالج الذي يراه في وقت معين كل يوم ، ثم يختفي عائداً من حيث جاء .

ب- نسيب أو قريب إن فكر في زيارته ، حقَّقها على عَجَل ، وأنجزها على نحو السرعة ، كأنه زائر القبور الذي يضجُّ من البقاء في

إن يشاهدْ منهم فوجةَ طبيب
أوْ نسيبٍ إن زاره فكما
أو صديق يلمُّ إلمامةَ الطيف
أو ثقيلٍ لا يستطيع فراراً

وهذه صورة رامزة إلى فقد الشهية ، وعدم القدرة على التذوق واستساغة الأطعمة (ولحوم

ليس يستمرئ الزلال شراباً

مرح مساء ، لكنه عنهم ذاهل ، شغله داؤه عن أن يسمع لهم نأمة أو صوتاً ، أو يراهم بِطرْفه الكليل، لكم وَدَّ أن يراهم ، أو يجاذبهم أطراف الحديث ، لكنه في تململه وحاله اليائسة لا يملك إلا الصمت وسكون الطُرْف ، انظر إلى قوله :

مال صبحاً ويمرحون مساء
لك ، إلا الإصغاء والإغضاء

عالم الأموات .

ج- صديق يلم به إلماماً خفيفاً ، وكأنه شبح أو طيف يلوح فجأة ثم يغيب دون أن تتوضح معالمه .

د- أو ضيف ثقيل الروح والظل والخطو ، ما إن يراه حتى يأمل في الفرار منه ، ولو إلى العالم الآخر ، انظر إليه يقول مجسداً هذي الأحوال :

عاده ثم عاد من حيث جاء
زار محبٌ قبراً وملَّ البقاء
توارى ولم يكد يتراءى
منه لو شاءَ وهو بالموت شاء

طير السمان خاصة)، وتجرع المال الزلال، تراه يقول :

ليس يستهنيء السماني غذاء

ثم تنتهي الصورة الكلية بصورة عبثية ، تومئ إلى خيبة الرجاء والفأل، وعدم تمتعه بغذاء الروح – بعد أن فقد التمتع بغذاء الأبدان – إذْ لم يفلح الكتاب ، ولا القراءة فيه – وهما خير أنيس للجليس ولمقعدي الأمراض خاصة – في إنهاء معاناته ، وإدخال أجواء الهناء إلى قلبه ، والأمرُ

سيَّان ، قرأ أو لم يقرأ ، أتوْه بكتاب أو رفعوه عنه وحجبوه ، بل كان العناء أقسى وأمض وأغلب

وإذا التـــذ بالكتـــاب فحينـــا لـم يعـادل فيـه الهنـاء العنـاء

ونمضي فنقول : إن مجموع هذه الصور الجزئية المشكلة للصورة الكلية ، قد أفلحت في رسم أجواء التوتر ، والقلق ، والانقباض ، وقسوة الألم ، والمعاناة البدنية والروحية التي اكتوى المريض بنارها ، وبرهنت الصور (واقعية كانت أو رامزة أو موحية أو بيانية) على أنَّ العاطفة السائدة هنا والمسيطرة على الأبيات هي من اللون الغائم الحزين، الذي يعري في أمانة وصدق نفسية القروي المتعاطفة مع المرضى وعوالمهم المكدودة ، وأحوالهم المأزومة ، وبين أيدينا ثلة من المفردات والعبارات التي تدعم ما نقول : فهناك :(ساهر من العذاب – نائم عن عياء – المدنف – ليس يغني الضياء– قبضة الداء – لا يملك إلا الإصغاء والإغضاء – زار محبٌ قبراً – ثقيل – بالموت شاء – ليس يستمرئ – ليس يستهنى – الغناء) ... إلخ، فضلاً عن أننا لمسنا في الصورة الجزئية المتداغمة حتى تشكيل الصورة الكلية نوعاً من توافر الوحدة الفنية ، بشقيْها الموضوعي (حيث تعالج موضوعاً واحداً هو عالم المرضى ومعاناتهم) والعضوي أو الفني ؛ حيث لمسنا انسجاماً في الخواطر، وتجانساً في الأفكار والمعاني ، وحسن تجاور وأشد وقعاً وتأثيراً سلبياً

للأصوات المجهورة والمهموسة، والشديدة والرخوة ، والمستعلية والمستفلة ، والمطبقة والمنفتحة، وما إلى ذلك من سائر الظواهر الصوتية التي أسهمت في تكثيف العنصر الموسيقي ، إلى جانب إيثار بحر الخفيف بصب هذه التجربة فيه ، فضلاً عن المرونة والطلاقة التعبيرية التي حفلت بها الصورة الكلية ؛ إذ كانت على مستوى موحد من الصياغة اللغوية والأدائية ؛ بحيث لم نشعر أن هناك مفردات مجتلبة للقافية ، أو تعتورها سمات الحوشية والغرابة والغموض التي تحوج إلى الرجوع إلى معاجم اللغة وقواميسها ؛ إنما وضوح ، وقرب مأخذ ، مع قوة سبك ورصانة ، الأمر الذي جذبنا إلى النص (نص الصورة الكلية) فتفاعلنا معه وتماهينا فيه حتى باح لنا ببعض الدلالات المتصلة بالقيم والأخلاق ، وكيفية عود المرضى ، ثم حال المرضى وطبيعة نظرتهم المتشائمة .

بقي أن أشير إلى أن هذه الصورة الكلية توافرت فيها عناصرها الصوتية والضوئية والحركية ، فسمعنا الأصوات في مثل كلمات : (يسمع الناس – الصوت الناتج عن عمل العمال ومرحهم وسمرهم وهم ذاهبون إلى أعمالهم صباحاً ، ثم وهم

عائدون منها مساء– عودة الطبيب ومجيئه وما ينتج عنهما – وعن وقع خطى أقدامه من أصوات – وقل مثل هذا في إلمامة الصديق ، وزورة النسيب) ...إلخ .

كما نستطيع أن نرى الألوان في مثل الكلمات :(السماء – لون – المدنف – الضياء – صبحاً – مساء – وجه الطبيب – لون القبور – والطيف أو الشبح – الشراب الزلال الصافي – لون طير السماني – لون الكتاب) وما إلى ذلك .

أما عن توافر عنصر الحركة فحدِّث عنه ولا حرج ، ونستطيع أن ندركه في مثل المفردات والعبارات الآتية : (إن زاره – أن يزور – الناس يسرحون – ويمرحون – يشاهد – ثم عاد – جاء – يلم إلمامة الطيف – توارى – يتراءى – فراراً ... إلخ هذه الحركات التي شكلت لحمة الصورة الكلية وسداها .

ونفسح المجال الآن لصورة كلية أخرى تقوم فكرتها المحورية على تشخيص العروبة ومدى تيهها زهواً وعجباً وتباهياً بالأمجاد العربية والحضارية على عهد الأمويين والعباسيين والأندلسيين خاصة ، وتنم الصورة عن عاطفة الزهو والإعجاب بما سطره الآباء والأجداد في هذا الصدد ، يقول القروي في قصيدته (عودة الشاعر)[٢١٩]– من البسيط :-

أنا العروبة لي في كل مملكة ... إنجيلُ حبٍ ، ولي قرآن إنعام
سلْ عهد شامي وبغدادي وأندلسي ... عن عمق فلسفتي عن عدل أحكامي
ما اخضوضر الشرق إلا تحت أقدامي ... وازهوهر الغرب إلا تحت أعلامي
تمشي البطولة والسحرُ الحلال معي ... فالأرض ملعب آسادٍ وآرام
نقشتُ في الشمس طغرائي[٢٢٠] وما برحت ... مرسومةً في جبين البدر أختامي
ما غيرتْ نكباتُ الدهر من شيمي ... وإن طوتْ في ثنايا التُرْب آطامي[٢٢١]
حطمت أشرسَ ضارٍ في جزيرته ... ما ابتلَّ نعلي ولا دنستُ أقدامي
فارتد عن (بُرْسعيدٍ) جيشُه كَلِماً ... خُطَّت على الرمل أو أشباحَ أفلام

أمامنا صورة كلية تحاول تجسيد الزخم الحضاري وسائر المنجزات التراثية (العلمية والمادية والثقافية والحضارية) التي نعمت بها الأمة العربية ونهضت عليها ، وراحت تباهي بها الأجيال والحضارات الأخرى ، ومع ذلك فنحن نرى في مثل هذه الصور الجزئية المنتجة للصورة الكلية رمزاً أو إسقاطاً على الواقع العصري المأزوم ، خاصة الواقع السياسي ، كأن القروي – عبر

هذه الصورة وغيرها – كان يرحل إلى التاريخ ، ويستلهم التراث بمعناه الشمولي الذي يجد فيه المثال والنموذج، وشارات المجد المضيئة ، والهادية للجماهير والأجيال، لينتهي من هذه الرحلة وقد فتح أعين الجموع على فترات التأزم والانكسار الحضاري ، ومن هنا فإننا – ومن خلال هذه الصور والأبيات – نكون أمام لون عاطفي موحد ، يكشف صدق الصور والأبيات – كما يكشف صدق الشاعر أولاً ، ومدى انتمائه وحبه للعروبة والقومية ثانياً ، هذا اللون العاطفي كان غالباً من النمط المشرق الزاهي المباهي بالهوية والكينونة العربية رغم ما يشوب هذا اللون من قتامة وضبابية أحياناً ، إذا ما نظر القروي إلى واقعه المأزوم .

أقول هذا اللون العاطفي تدعمه مفردات وعبارات مثل : (أنا العروبة) بهذه النبرة الجهيرة الزاعقة ذات الأنا المتضخمة والمتورمة ، والتي تذكرنا بأنا المتنبي بحر العربية الهادر ، ثم (إنجيل حب – قرآن إنعام – اخضوضر الشرق – ازهوهر الغرب – شمس البطولة تحت أقدامي – نقشت في الشمس طغرائي – الأرض ملعب آساد وآرام – حطمتُ أشرس ضارٍ – ارتد جيشه كلما) ... إلخ ما يدعم هذا اللون العاطفي الزاهي والمتباهي بالمنجزات الحضارية العربية والإسلامية .

أنـــا العروبـــة لـــي فـــي كـــل مملكـــة إنجيـــلُ حـــبٍ ، ولـــي قـــرآن إنعـــام

ثم تتنامى الصورة حينما تلفت وتحث كل مُتَشَكِّك في أمر الزهو هذا أن يرحل إلى التاريخ ويتساءل عن تراثها المحكي ، الحضاري والفكري والثقافي والفلسفي والقيمي (العدالة وتحقيقها) على السواء ، آنئذٍ سيخبره التاريخ بأمجادها في الشام وبغداد والأندلس:

هذه الصورة الكلية التي شكلتها ثلةٌ من الصور الجزئية المتداخلة والمتآزرة لصنع هذه الصورة البديعة ، قد تنوعت فيها الصور الجزئية فكانت ترميزية موحية تارة ، وبيانية ثانية ، وواقعية تارة أخرى .

في البداية كان التصوير الاستعاري ؛ حيث تجسدت العروبة في صورة إنسان ممتلئ فخراً وعزاً ، وراح يفخر بوحدته الوطنية ، وقيام مملكته على الحب والوئام المقدسين ، وقل إنها طائر ينهض على جناحين : أحدهما نسجه الحب المقدس ، والآخر شكلته النعمة والرضا المقدسين كذلك ، والقداسة هذه اكتسبت تارة من مكوِّن (الإنجيل) ، وثانية من مكوِّن (القرآن الكريم) ؛ وهما معاً كما أسلفنا يرمزان إلى الوحدة العربية والإسلامية التي تنضوي تحت راياتها الشعوب العربية :

ســـلْ عهـــد شـــامي وبغـــدادي وأندلســـي عـن عمـق فلسـفتي عـن عـدل أحكـامي

وتتعملـق الصـورة حينمـا نلمـح تكثيفـاً آخـر أكسبته صيغة (افعوعل) المكررة مرتين مزيداً من رُواء الصـورة ، وروعـة الـنغم والإيقـاع ، والصـورة فـي مجملهـا ترمـز إلـى بسـط النفـوذ والسـيطرة ، وترفيـد العـالم بأسـره بكـل مـا رقَّ وراق مـن القـوة المادية والناعمة ، حتى دان لها الشرق والغرب ، وعلـى مسـاحاتهما المخضوضـرة والمزهـوهرة كـم رفرفـت أعـلامٌ لهـا وبنـود ، وكـم خضـعت دول وحضارات تحت إمرتها ، يقول :

مـــا اخضوضـــر الشـــرق إلا تحـــت أقـــدامي وازهـــوهر الغـــرب إلا تحـــت أعلامـــي

مـع ملاحظـة مـا يـومئ إليـه الظـرف (تحت) المكرر مرتين، والمضـاف مرة إلـى (الأقدام) ومرة (الأعـلام) مـن إحـالات إلـى التسـامي والرفعـة والجـلال ، ولا يكـون هذا بـالطبع إلا مـع العروبـة، وإلـى الدونيـة، وإعـلان الطاعـة والتبعيـة والخضـوع التام ، ولا يكون هذا بالطبع إلا مع الأمم الأخرى ، ثم نمضـي مـع تصـوير آخـر نلحظ فيه البطولـة والقيم الروحيـة ، وقـد تجسـدتا جميعـاً فـي صـورة إنســان مطيــع ، أو فــارس نبيــل يــدين بــالولاء والاحترام لسيده ، ومن ثم نراه يسانده ويواكب سيره أينما ارتحل وحل ، في حين تتناسل من أعطاف الشطرة الثانية صورة مكملة للوحة الشرف والمجد ، وهي صورة رامزة إلى البطولة والشجاعة وحسم الانتصارات لصالح الشعوب العربية ، لاحظ قوله :

تمشـــي البطولـــة والســـحرُ الحـــلال معـــي فـــــالأرض ملعـــــب آســـــادٍ وآرام

أمـا الشـمس فتبـدو فـي صـورة عـروس راحـت العروبة تجدُّ في تزيينها بالمجد والعلا والعظمة ، فـي حـين حمـل جبـين البـد ر توقيعاتهـا وإمهارهـا سجلات الخلود ، ليكون البدر شاهداً على عصور ازدهارهـا وتقـدمها وإحرازهـا قصـبات السـبق بـين الأمم والحضارات .

نقشـــتُ فـــي الشـــمس طغرائـــي ومـــا برحـــت مرســـومة فـــي جبـــين البـــدر أختـــامي

مـع ملاحظـة التعبيـر بالفعـل (نقـش) مـع اسـتخدام (فـي) الدالـة علـى الظرفيـة والـتمكن مرتين ، وكأن الصورة تومئ إلى الثبات والتمكن على جهة التأبيد والتمادي في الزمن والإيغال فيه ، يعنـي : تأييـد المجـد والسـمو والبهـاء والزينـة والسطوع والإشراق ونسبة ذلك كله إلـى العروبـة، مـع تعميـده بـ(ومـا برحـت) التـي تشـيع أجـواء الاستمرارية إلى ما لا نهاية .

هذه الصورة الترميزية تتبعها أخرى تشير إلى الوفاء بلا حدود ، وكيف أن عوادي الزمن لم تستطع النيل من مناقبها وفضائلها ، والتي ستظل محافظة عليها ، خاطبة ودّها حتى الرمق الأخير ،لقد تجسدت غوائل الدهر في صورة تنين مخيف يحاول بكل سبيل زحزحة العروبة عن جادتها ، أو الإطاحة بكل منجزاتها وشيمها ، لكنه ووجه بما لم يدر في خلده ، من قوة المنازلة ، وشراسة المواجهة ، وحسن الاستعداد بكل ما أتيح من قوى مادية ومعنوية ، حتى استطاعت العروبة أن تحمي عرينها ، وتحافظ على مدخراتها ومآثرها مهما كلفها ذلك من أمرها عسراً ، أو افتدته بالمهج والأرواح ، نراه يقول :

مـــا غيـــرتْ نكبـــاتُ الـــدهر مـــن شـــيمي وإن طـــوتْ فـــي ثنايـــا الثُـــرْب آطـــامي

إنها قوة الإرادة ، وشدة التصميم ، والدفاع عن العربية ، والكرامات والوفاء والدوام على العهد بلا حدود .

هذه القوة والصلابة عمقها بصورة أخرى مستمدة من واقع الحياة المعاصرة في إيماءة إلى تواصل الأمجاد ، وتواشج الأبعاد الزمانية والمكانية ، إننا أمام صورة للبطولة والشجاعة في أبهى تجلياتها ؛ صورة تجسد موقف التصدي للصهاينة في عدوانهم على بورسعيد (١٩٥٦م) ، وما كان من الفتك بهم – على يد أبطال المقاومة الشعبية في مدن القناة – وردِّهم على أعقابهم مدحورين خاسئين تارة ، ومحطمين متناثرين على الرمال ثانية ، ومهازيل بدوْا أشباحاً كأشباح الأفلام السينمائية تارة أخرى ، ذهبوا مكللين بتاج الهزيمة ، يلاحقهم الخزي والعار ولعنات الموهومين بغطرستهم وقوتهم التي لا تقهر !

حطمت أشرسَ ضارٍ في جزيرته ... ما ابتلَّ نعلي ولا دنستُ أقدامي

فارتد عن (بُرْسعيدٍ) جيشه كَلِماً ... خُطَّت على الرمل أو أشباح أفلام

وهنا تجدر الإشارة إلى أن هذه اللوحة صنعها معجم شعري حافل بالمفردات والعبارات التي تثير أجواء القوة والمهابة والجلال ، وهذا أمر طبعي؛ لأننا في مجال الفخر والزهو بالتاريخ والأمجاد الحضارية ، وبالمواجهات الشرسة مع الأعداء ، نتوقع أن نكون أمام لغة قوية جزلة رصينة متماسكة العُرى ، تلاؤماً مع الموضوع من جهة ، وإقناعاً للمتلقي من جهة أخرى ، ومع كونها كذلك توافرت لهذه اللغة أيضاً القدرة على البوح والإيحاء ، ولعل نظرة إلى موحيات الصور الجزئية بأنواعها والتي عرضنا لها تدعم عملية الإيحاء والترميز هذه ، أما دلائل القوة والرصانة وشدة الأسر وإشراقة الديباجة فيمكن التماسها في مثل الكلمات: (اخضوضر – ازهوهر – نكبات الدهر – آطامي – حطمت أشرس ضارٍ – دنستُ أقدامي – أشباح – نقشتُ في الشمس – جبين البدر .... إلخ) لكن مع القوة والجزالة هذه كان الوضوح والسلاسة وقرب المأخذ ، باستثناء مفردتي (آطام) و (طغرائي) ، وقد عرضنا لمعناهما منذ قليل .

بقي أن أشير إلى توافر عناصر اللون والصوت والحركة في هذه الصورة الكلية ، فنحن نلمس الألوان في مثل : (اخضوضر – ازهوهر – جبين البدر – النقش في الشمس – الأرض – ملعب – آساد – آرام – الترب – آطام – جزيرته – النعل – القدم – الجيش – الرمل – الأشباح) .... إلخ .

أما عنصر الصوت فمتوافر في مثل : (سل – أنا العروبة – الأصوات الناتجة عن النقش في الشمس – وتغيير نكبة – الدهر – وتحطيم الشرس الضاري – ارتداد الجيش عن بورسعيد .... إلخ) إذْ لا بد أن تسمع الأصوات هنا من جراء الاحتكاك أو الارتطام أو التغيير والنقش وما إلى ذلك .

أما عنصر الحركة فالصورة كلها حركة دائبة مائجة تدركها في مثل : (اخضوضر – ازهوهر – تحت الأقدام والأعلام – تمشي البطولة والسحر الحلال معي – ملعب آساد وآرام – نقشت – مرسومة في جبين البدر – غيرت النكبات – طوت – حطمت – ابتل – ارتد – خطت على الرمل) .... إلخ .

ب – الصورة المتقابلة والمتولدة عن بعضها :

وهو نمط تصويري يتكئ عليه الشاعر في تعبيره للمقارنة بين حالين متناقضين، ولعل سبب هذا الاتكاء يعود إلى رغبة الشاعر في توضيح مراده أو قَصْده ، والعمل على قوة التأثير في النفوس ، كأن يقارن أو يوازن بين الماضي

والحاضر ، أو الخصوبة والتصحر ، أو الوصل والهجر ، أو الالتزام والانحراف ، وما إلى ذلك مما يهيئ المساحة النصية ؛ لأن تشتجر العواطف ، فتكون مشرقة ساطعة آناً ، وغائمة عابسة آناً آخر ، وهكذا مما ينبعث بالأساس عن تباين القمم النفسية متأثرة بدواعي وانعكاسات تلك الثنائيات المتناقضة ، وبين أيدينا مجموعة من هذه الصور المتقابلة والمتولدة عن بعضها ، والتي نلمحها في مثل قول القروي في قصيدته (إلى شباب العرب)[٢٢٢] – من مجزوء الكامل :

كانت تدرُّ الشهدَ أرضُك والسلافةَ واللبن

فغدا الوقوف على ربو عك ، كالوقوف على الدمن

خافٍ أن الوقفة هنا (طلل ودمن وجدب الحاضر) غير الوقفة هناك؛ حيث إطالة الاستغراق ، وتأمل جمال الطبيعة وما تجود به من آلاء .

فلقد قارن القروي بين الماضي الزاهي الحافل بالأمجاد التي سطرها الأوائل ، وبين الحاضر الأسيان المنفر ، في الصورة الأولى حملت عاطفة الفخر والزهو والجمال؛ حيث الأرض الموشاة بالحدائق والأزاهير التي تجذب وتجود بالمن والسلوى والشهد المذاب ، في مقابل صورة لا تنبت إلا الوحشة والكآبة (صورة الحاضر) وكأننا أمام أطلال ، أو بقايا دمن وآثار ، وغير

واستباحتْ قدسه جاعلة

وفي قصيدته (وعد بلفور)[٢٢٤] وجدناه وهو ينـدد ويهاجم بريطانيا ويشجب ممارساتها وقراراتها الهوج ، يقوم بتوليد صورة الدمار والخراب

يا مصدر الكذب الذي ما بعده

تجني على الوطن المسيح مدمراً

وحينما استباح اليهود القدس أحالوا المقدس مدنساً ، وآنئذٍ راح يولد صورة القرود وما توحي به من همجية وفظاظة ، من صورة بيت الجلال والرحمة، وما تومئ إليه من هدوء وطمأنينة وراحة بال، يقول:

منزل الرحمة داراً للقرود[٢٢٣]

الذي حلَّ بالقدس وفلسطين ، من صورة العمران والتشييد والأمن والاستقرار الذي كانت تنعم به القدس ، والناصرة مهد المسيح خاصة ، يقول :

كذبٌ ، تعالى الحق عما تنشر

وتذيع أنك في البلاد مُعَمِّر

وتتولد صورة الظلم والقسوة والفوضى والفساد وسائر القيم السالبة من صورة العدل والإنصاف والاستقرار والأمن وما إلى ذلك مما يعكس اهتراء القيم واختلال المعايير ، ويرمز إلى نشدان القروي إرساء قيم الحب والتسامح وتحقيق العدالة بين الشعوب العربية عامة والطوائف اللبنانية خاصة،

تراه يصور ذلك فيقول في قصيدته: (كفي يكفي)

كفـى ! يكفـي ! لقـد طفـح الإنـاء وضـــجَّ لهـــذه الفوضـــى الفضـــاء

وطَيْـــرُ الأمـــن طـــار فلـــيس إلا نســـورُ الظلـــم طـــاب لهـــا البقـــاء

فســـادٌ فـــي الـــدوائر واخـــتلالٌ وظُلْـــمٌ فـــي المحـــاكم والْتـــواءُ

ولا ترفـــع إلـــى الحكـــام شـــكوى فَـــأُذنُ العـــدل يزعجهـــا النـــداءُ!!

إلى آخر هذي الصور التي مررنا بكثير منها أثناء دراستنا ، ومن ثم لا داعي للوقوف حيالها خشية الإطالة .

جـ – الصور الطريفة والمبتكرة :

وهذه قد وفر القروي لنا منها الكثير ، كهذه التي يصور فيها المناضل السوري (يوسف العظمة) ، وهو يقتحم سوح المعار ك والمواجهة مع الفرنسيين المعتدين ، ويلتقى النيران بكل بشر وبشاشة وترحاب ، وكأنه – في ذلك – رجل معدم يعثر على كنز ثمين فجأة، تراه يقول :

والتقـــى النـــار طروبـــاً للـــردى طـــربَ اللاقـــي علـــى العُـــدْم لقيَّـــه[٢٢٦]

وعندما رثى الثلاثة الشهداء (فؤاد حجازي – محمد جمجوم – عطا الزير) وجدناه يأتي بالطريف المعجب من الصور ، حيث نراهم في جانب وهم يزرعون الأرض المقدسة بطولات وسيوفاً تقطر شجاعة، وقنا يقطر قوة ونُبلاً ، وفي الجانب الثاني وجدناهم يروون الأرض ويفتدونها بمهجهم وأرواحهم ، وعلى الجانب الثالث قاموا بترقيص الخيول على وقع الطعن في صدور الأعادي ، في حين رقَّصُوا الطير الشادي على خفق الرايات وأعلام النصر، يقول: [٢٢٧]

زرعـــوا الأرض ســـيوفاً وقنـــا ثـــم روَّوْهـــا بإحســـان وجُـــود

رقَّصُـوا الخيـل علـى الطعـن كمـا رقّصـوا الطيـر علـى خَفْـق البنـود

[٢٢٥] – من الوافر –:

وعن شمولية النور المحمدي الذي فاض من بحر المروءة ودوحة الكرم حتى غطى على

نور النبوة فاض من

يطغى به موجُ الضياء

ومن صوره الطريفة أيضاً الداعية إلى

رأيت اللطف يقهر كل خصم

ويتحدث عن سيف (السلطان الأطرش) فيأتي بالعجيب المدهش ؛ فبالسيف نهم وجوع لا يشبع إلا بإطعامه رؤوس الأعادي ، ثم هو جواد كريم لا يضام نزيله ، ولا يجوع ضيفه ، ووجه الطرافة هو الجوع والشبع في الحالين ، جوع

كأن به إلى (الإفرنك) جوعاً

ومن طريف صوره كذلك ثناؤه على الجوع وحمده ؛ لأنه كان بمثابة الإنسان الداعي معاشر العرب إلى التوحد ، ورأب الصدع ، ولمّ الصفوف ؛ لمقاومة الأعداء ومواجهتهم؛ إذن هو

الحمد للجوع حمداً واضحَ السبب

إني لأحمده من أجل عصبتكم

د – صور تراثية ذات دلالات إيمانية :

ويقف في طليعتها بعض الصور التي رفدها القرآن الكريم ، إن بسورة كاملة ، كما في سورة القمر التي عرضنا لها سابقاً ، وإن ببعض آياته ، وإن ببعض أسماء الأنبياء وقصصهم الذي فيه عبرة لأولي الألباب وما إلى ذلك، نذكر من ذلك البطاح والقمم ، راح يقول في قصيدته (ونحن أعطينا القلم)[٢٢٨] – من مجزوء الكامل –:

مهد المروءة والكرم

من البطاح على القمم

التسامح والحب والاعتصام بحبل اللطف والوداعة ما جاء في قوله – من الوافر –[٢٢٩]:

فكنْ ماءً إذا حمي الوطيس

السيف ، وجوع الضيف ، ثم جود وإطعام للسيف من الجثث التي يتوق لحصدها ، يشاركه أيضاً جود السلطان وحدبه على ضيفه ، يقول : والضمير عائد على السيف .

وسيفُك مثل ضيفك لن يجوعا[٢٣٠]

يحمده لذلك السبب على الرغم من أنه (الجوع) وحش ضار قام بنهش أبيه ، وعض إخوانه ، يقول في قصيدته : (الحمد للجوع)[٢٣١]– من البسيط–:

إن كان أيقظكم يا معشر العرب

وإن يكن عضَّ إخواني ومصَّ أبي

قوله متكئاً على قوله تعالى في سورة الإسراء ﴿**وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً**﴾ وقوله سبحانه وتعالى كذلك في سورة الشعراء ﴿**وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ ، يقول[٢٣٢]:

يـا نفسُ خفضـاً مـن جنـاح المنـى لأيّ ربْـــعٍ أنـــت بـــي طـــائره

والملاحظ أنه في هذا التصوير الاستعاري قد قام القروي بوضع (المنى) بدلاً من (الذل) ؛ لمناسبة حالات الجهد النفسي ، مع توظيف هذا النداء الشجي الضارع (يا نفس) ، ثم تآزر الاستفهام المثير للأسى المشوب بميسم التعجب والإشفاق ، فضلاً عن استخدامه ضمير الخطاب (أنت) ؛ لإنتاج دلالة الترويض والعتاب ؛ حيث لا عتاب إلا بين المحبين ، كم أن (أنت) تجسد صراعاً درامياً فاجعاً بين الواقع والحلم أو الأمنية .

هذه المكونات نفسها نشهد لها تطويراً آخر ؛ حيث خرجت الصورة من دائرة الرقة والرحمة والإشفاق والعتاب والترويض إلى دائرة الجلافة أو القوة، إذْ مع الجلف – ومن باب لا يفل الحديد إلا الحديد – أو من باب : ونجهل فوق جهل الجاهلين – لا تجدي غير القوة ، وقد يكون عبثاً خفضُ الجناح ، نراه يقول:

عبثـاً خفضـك الجنـاح لجلـف ليس يُرضيه غير خفض الراسِ(٢٣٣)

وهذه صورة تشير إلى استلهامه قصة يونس – عليه السلام – وهو في بطن الحوت ، تراه يقول مصوراً نفسه في تابوته بيونس في بطن الحوت ، أو لُجّة القبر ، يقول:

أرانـي وتـابوتي يُـدلّى كـأنني بأحشـاءِ حـوتٍ غـاص فـي لجّـة الـرَّمس(٢٣٤)

أما الحديث الشريف : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » وما يومئ إليه من حتمية التعاون والتراحم بين الناس ، فقد وظفه القروي في إحدى صوره في العروبة ؛ حيث يقول (٢٣٥):

ولسوف يعلم كلُّ غِرٍّ جاهل مـــاذا تخبـــئ هَـــذْأةُ البركـــان
العُربُ شاخصةٌ إلى أهدافها مرصوصـــةُ العزمـــات كالبنيـــان

أما قصة الخليفة العادل عمر بن الخطاب وحكايته مع المرأة الفقيرة التي كانت تحاول بكل سبيل إطفاء جوع صغارها عن طريق التلهي والمماطلة ، فقد كانت إحدى مكونات صور القروي ذات الومضة الإيمانية ، لقد راح يستثمرها في قوله مادحاً رقة عمر بن الخطاب وتعاطفه مع المكروبين :

خفضـت رأسـك لا ذلاً ولا خجـلاً بـل اتضـاعَ وريـقٍ مثقـلٍ بثمـرْ
ولـم يطـأطئ لغيـر الله هامتـه إلا لـيطعم صـبيان العجـوز (عمـر)(٢٣٦)

وقد يكون الكون ومشاهده سبيلاً إلى التأمل والاستغراق ، ثم استرفاده في نحت بعض الصور، كقوله :

وبعض القلوب كطقس البرازيـ ـل ، في كل ثانية يتقلب[٢٣٧]

وحينما ينعم النظر ، ويتفرس أحوال الناس ونفسيات البشر ، تمده صور الطبيعة الصامتة بكل ما رق وراق من مفرداتها ومقوماتها ؛ لينتهي إلى تقرير مفاده أن أغلب الناس ذئاب مقطبة الجبين ، مكشرة عن نيوبها ، وليس أدل على ذلك من أنه من بين ألفي عابس مزمجر يتراءى لك وجهٌ بشوشٌ واحد ، ومن ثم راح يفلسف القيم في ضوء منهج الافتراس والفتك ، وآنئذ خالَ الفراسة افتراساً ، ونظرات الألحاظ شرراً مستعراً يتطاير من أتون حرب حامية الوطيس ، وصوت العقل والفكر فيهم لم يعْدُ وجه ذئب كالح ، وبدلاً من أن تحشى رؤوسهم بمخايل العبقرية والنبوغ ، إذ بها تحشى بمعجون المخالب والأنياب ، إنها صورة تأملية بارعة رسمتها الطبيعة ونفْسه الشاعرة بكل دقة ، يقول [٢٣٨]:

بلوتُ الناس لستُ أرى بشوشاً ... بهم حتى أرى ألفَيْ قطوب
فراستهم تدل على افتراس ... وفي لحظاتهم شررُ الحروب
فلو صوَّرتَ وجه الفكر فيهم ... لما صورتَ إلا وجه ذيب
كأن رؤوسهم حُشِيَتْ لفتكٍ ... بمعجون المخالبِ والنيوب

وهكذا اجتمع في شعر تجليات الثقافة الإسلامية عند القروي المزيد من الأنماط التصويرية ؛ فكان هناك (الصورة الكلية ، والمتقابلة ، والمتولدة عن بعضها، والطريفة المبتكرة، إلى جانب الصورة التي رفدها التراث الإسلامي، تارة بالقرآن الكريم وثانية بالحديث الشريف، وثالثة بوحي من القيم والمثل الإسلامية .

حواشي البحث

(١) الأعمال الشعرية الكاملة ٣٧٩.
(٢) السابق ٤٠ .
(٣) السابق ٤٧٠.
(٤) رجعنا في هذا التمهيد إلى مراجع عدة أهمها:
شعراء العرب المعاصرون –تأليف أحمد زكي أبو شادي – تقديم رضوان إبراهيم صـ٢٩٩وما بعدها – الطبعة الأولى– القاهرة ١٩٥٨م .
ومقدمة الأعمال الشعرية الكاملة – بخط الشاعر نفسه صـ٧ وما بعدها .

(٥) النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر –د/حسن بن فهد الهويمل ١٤٦الرياض –١٤١٢هـ –١٩٩٢م.

(٦) الأدب العربي في المهجر د/حسن جاد حسن ٦١ –دار قطري بن الفجاءة للنشر والتوزيع – الدوحة –قطر– ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(٧) الأعمال الشعرية الكاملة – الشاعر القروي ٤٢٠ وما بعدها – جمع وضبط وتبويب وشرح وتقديم – مكتب التدقيق اللغوي – بيروت – طرابلس ١٩٨٣م.

(٨) الأعمال الشعرية الكاملة ٤٨٦ ، وقد نظمها رداً على بطاقة معايدة من صديقه أحمد حامد الشربتي سنة١٩٧٣ م.

(٩) السابق ٢٧٤وما بعدها.

(١٠) السابق ٤١٠ .

(١١) السابق ٢٣٩– ٢٤٠ مقطوعة عنوانها : «يا رب».

(١٢) السابق ١٧٨ وما بعدها.

(١٣) السابق ١١٢.

(١٤) الأعمال الشعرية الكاملة٣٣١ .

(١٥) السابق ٤٥٢.

(١٦) السابق ٤١٦ .

(١٧) السابق ٥٢.

(١٨)الأعمال الشعرية الكاملة ٤٠٠ ، وهضاب الأردن هي سلسلة جبلية قريبة من (صنوبل) تعلو بين ١٥٠٠ إلى ٢٠٠٠متر عن مستوى سطح البحر.

(١٩) الإنسان في القرآن الكريم – عباس محمود العقاد ١٤ – المكتبة العصرية – بيروت – بدون تاريخ.

(٢٠) الأعمال الشعرية ١٤٥.

(٢١) السابق ٣٧٦وما بعدها ، ٤٥٠ وما بعدها

(٢٢) السابق ٤٤٠ وما بعدها.

(٢٣) ذاته ٤٦٢.

(٢٤) من قصيدة (أين وجدت الله) الأعمال الشعرية ٥٦٢ – ٥٦٣ ، وراجع تكراراً لمثل هذي الأفكار ٥٦٤، وقصيدة (الأماني هي النفوس) ٣٨٥.

(٢٥) ديوان نصر سمعان ١٠٩– تنسيق الأشراف – رشيد شكور – البرازيل ١٩٧٢م

(٢٦) ديوان أمواج وصخور ميشال مغربي ٢٠٣ – مطبعة صفدي التجارية – البرازيل ١٩٧٧م.

(٢٧) الأعمال الشعرية الكاملة ٤٢٨وما بعدها.

(٢٨) السابق ٢٢٣ وما بعدها .

(٢٩) السابق ٥٩

(٣٠) حذاء الشيء أي ما يحاذ به ، أي ما يصير بإزائه .

(٣١) الأعمال الشعرية الكاملة ٣١٢ .

(٣٢) حركة تجديد الشعري في المهجر بين النظرية والتطبيق د/ عبد الحكيم بلبع ٥٠ – الهيئة المصرية للكتاب ١٩٨٠م

(٣٣) انظر : محمد –٨– في الشعر الحديث د/ حلمي القاعود ٢٩٢– الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م –دار الوفاء المنصورة،

وانظـر أدب المهجـر –د/ صـابر عبـد الـدايم ٢٧٥دار المعارف –١٩٩٣م.

(٣٤) انظـر الـديوان ٣٩١ ومـا بعـدها ، وقـد ألقـى القصـيدة فـي حفلـة عيـد الفطـر التـي أحيتْهَـا الجمعيـة الخيريـة الإسـلامية في صـنبول سنة ١٩٣٣م .

(٣٥) الأعمال الشعرية الكاملة ٤٧٨ وما بعدها.

(٣٦) السابق ٤٠٦–٤٠٧.

(٣٧) لا أقصـد بـذلك نظريـة النـور الـمحمدي كمـا سطرها الصـوفيون ، والتـي يـذهبون فيهـا إلـى أن الـدنيا خلقـت مـن أجـل محمد–ﷺ–، وأن محمداً هـو العلـة الحقيقيـة للوجـود ، أو هـو القطـب الذي تدور حوله الكائنات ، وأن وجوده سابق علـى وجـود آدم –عليـه السـلام– ومستمر إلـى مـا بعـد انتهـاء الـدنيا، وأن جسـده الشـريف لا يبلـى بعد الموت ، وأنـه حـيٌّ فـي قبره كسـائر الأنبياء ، ولـه القدرة بفضـل جاهـه عند الله – على حماية أتباعه من الضرّ الدنيوي ، الذي يتمثـل فـي الكـوارث الاقتصـادية والاجتماعيـة والسياسـية، ويـذهب الـبعض إلـى أن الحـلاج هو أول من ذهب إلى هذا ، ينظر التصوف فـــي الشـــعر العربـــي – عبـــدالحكيم حســـان صـــ٥١، مكتبـة الانجلـو المصـرية ١٩٥٤ ، وانظـر أيضـاً : محمد –ﷺ– فـي الشـعر الحـديث د/ حلمي القاعود ١٣٤ .

(٣٨) الأعمال الشعرية ٥٢–٥٣.

(٣٩) الأعمال الشعرية الكاملة ١٩٢

(٤٠) ذاته ٥٤–٥٥.

(٤١) المـدائح النبويـة فـي الشـعر العربـي د/ زكـي مبارك صـ١٤ – مطبعة دار الشعب – القاهرة – بدون تاريخ.

(٤٢) ينظـر: السـابق ١٥ ، وانظـر أيضـاً تحليـل الـدكتور زكـي مبـارك لبـردة البوصـيري فـي الكتاب نفسه ١٨٨ وما بعدها .

(٤٣) المـدائح النبويـة د/ محمد علـي مكـي ١٤١ – الطبعـة الأولـى ١٩٩١م الشـركة المصـرية العالميـة للنشـر – لونجمـان – مكتبـة لبنـان – القاهرة.

(٤٤) الأعمال الشعرية الكاملة ٤٧٠.

(٤٥) السابق ٤٠٦وما بعدها.

(٤٦) الأعمال الشعرية الكاملة ٢٩٨ من قصيدة (سلطان الأطرش والتنك) .

(٤٧) السابق ٦٥ .

(٤٨) السابق ٢١١.

(٤٩) الأعمـــال الشـــعرية الكاملـــة ٣٧٠ مـــن قصيدة (عودة الشاعر) من البسيط .

(٥٠) انظـر اسـتدعاء الشخصـيات التراثيـة فـي الشـعر العربـي المعاصـر د/ علـي عشـري زايد٤١ – الطبعة الأولى ١٩٩٧م – دار الفكر العربي – القاهرة.

(٥١) نفخـات الصـور ٦٣ ومـا بعـدها – أبـو الفضل الوليد – مطبعة الوفاء بيروت الطبعة الثانية ١٩٩٤م.

(٥٢) السابق ٧١–٧٢.

(٥٣) تتلخص هذه الحادثة في أن اليهود حاولوا في صيف١٩٢٩م الخروج على التقاليد الثابتة المتعلقة بصلواتهم في موقع (البراق)، فهاج

العرب؛ لأنهم فطنوا إلى ما يضمره اليهود من وراء هذه المحاولة من اعتداء على الأماكن الإسلامية المقدسة ، ونشبت في القدس والخليل ويافا وصَفَد اضطرابات دامية بين اليهود والعرب ، قتل فيها من اليهود عدد كبير في مدينتي الخليل وصفد خاصة ، ثم ألقت السلطات البريطانية القبض على بعض الشبان واتهمتم بقتل اليهود وحوكموا ، وصدرت أحكام بالإعدام على الشهداء الثلاثة ، وهم: فؤاد حجازي من صفد، ومحمد جمجوم وعطا الزير من الخليل، وقد تسابق الثلاثة على أيهم يرتقي أعواد المشنقة قبل زميليه؛ لينال فضل الأسبقية في الشهادة ، وقد نظم الشاعر الفلسطيني إبراهيم طوقان في هذه الحادثة قصيدة رائعة أسماها : (الثلاثاء الحمراء) راجع ديوانه ٢٧٤ وما بعدها –ط: دار العودة – بيروت ١٩٨٨م ، والمعلومة هذه مثبتة في هامش ٢٧٤.

(٥٤) الأعمال الشعرية الكاملة ١٤٩ من قصيدة « أَوَ ما في الغرب» من الرمل.

(٥٥) الثقافة الإسلامية وتحديات العصر د/شوكت محمد عليان صـ١٧ – الرياض – المملكة العربية السعودية ١٩٩٦م ، وانظر أيضاً : دراسات في الحضارة الإسلامية د/ شوكت محمد عليان ٥ – الطبعة الأولى ١٤١٦هـ-١٩٩٦م دار الشروق – الرياض – المملكة العربية السعودية .

(٥٦) الأعمال الشعرية ٣٧٦ وما بعدها .

(٥٧) السابق ٤٠٣ .

(٥٨) السابق ١٠١– ١٠٢.

(٥٩) السابق ٥٨٠ وما بعدها .

(٦٠) الديك : شعار فرنسا .

(٦١) ينظر: محمد –٨– في الشعر الحديث ٣٨٧.

(٦٢) الأعمال الشعرية الكاملة ٤٧٠ .

(٦٣) السابق ٤٠٦.

(٦٤) السابق ٣٩١ وما بعدها .

(٦٥) السابق ٢٩٧ وما بعدها ، والتنك تعني الدبابة .

(٦٦) السابق ٨٢ .

(٦٧) السابق ٥٦٢ من قصيدة (أين وجدت الله).

(٦٨) هناك استدعاءات أخرى لشخصيات بعض الشعراء كعنترة ، والمتنبي ، والمعري ، لكننا لن نعرض لها لخروجها عن دائرة البحث .

(٦٩) الأعمال الشعرية الكاملة صـ٢١٧ وما بعدها .

(٧٠) السابق ٣٠٩

(٧١) السابق ٢٧٢ وما بعدها .

(٧٢) ذاته ٤٥٣ وما بعدها .

(٧٣) انظر : الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي د/ محمد البهي ٣٦٠ – الطبعة السادسة– دار الفكر – بيروت ١٩٧٣م .

(٧٤) أخطاء المنهج الغربي الوافد – في العقائد والتاريخ والحضارة واللغة والأدب والاجتماع – أنور الجندي ٢٣٢– الطبعة الأولى –

دار الكتـاب اللبنـاني – بيـروت – لبنـان ١٩٧٤م.

(٧٥) الأعمال الشعرية الكاملة ٤٤٠ .

(٧٦) الأعمال الشعرية الكاملة ٣٧٦ وما بعدها .

(٧٧) السابق ٤٠٧ .

(٧٨) الأعمـال الشـعرية الكاملـة ٦٦ مـن البسيط .

(٧٩) الأعمال الشعرية الكاملة ١٢٧ .

(٨٠) السـابق ٣٢٤ ، والقرضـاب هـو السـيف البتار القاطع .

(٧١) السابق ٢٤٠ وما بعدها .

(٨٢) الأعمال الشعرية الكاملة صـ٣٦٦ .

(٨٣) هـذا هـو عنـوان القصـيدة ، انظرهـا فـي السابق ٢٢٧ وما بعدها.

(٨٤) السابق ١٨٢ .

(٨٥) السابق ١٤٧ وما بعدها .

(٨٦) السابق ١٩٦.

(٨٧) السابق ٢٩٧ وما بعدها .

(٨٨) الأعمال الشعرية الكاملة ١٢٥ –١٢٦.

(٨٩) ينظـر : العروبـة فـي شـعر المهـاجر الأمريكـي الجنـوبي د/ عبـد الـرحيم زلـط ، إشراف ومراجعة د/شوقي ضيف ٧٥–٧٦ – الطبعـة الأولـى – دار الفكر العربـي – القاهرة سنة١٩٧٣م .

(٩٠) الأعمـال الشـعرية الكاملـة ٢٤٣ ومـا بعدها .

(٩١) الأعمـال الشـعرية الكاملـة ١٤٥ ومـا بعدها .

(٩٢) انظـر الشـعر القـومي فـي المهجـر الجنـوبي –د/ عزيـزة مريـدن صـ٣٢٦– الطبعـة الثانيـة ١٩٧٣م – دار الفكـر – دمشق – سوريا .

(٩٣) السابق ذاته .

(٩٤) الأدب العربي في المهجر د/ حسن جاد حسن ٣٤١– ٣٤٢ .

(٩٥) الأعمال الشعرية الكاملة صـ٢٧٤ .

(٩٦) السابق ٨٠ .

(٩٧) السابق ٢٧٧.

(٩٨) السابق ٣٥١ .

(٩٩) السابق ٤٣٧ .

(١٠٠) السابق ٤٣٧ – ٤٣٨ .

(١٠١) السابق ٤٢٧ .

(١٠٢) السابق ذاته .

(١٠٣) السابق ٤٦١ .

(١٠٤) السابق ٥٦٣ .

(١٠٥) السـابق ٦٠ والمقطعـة بعنـوان (كفـى يكفي) من الوافر.

(١٠٦) السابق ١٢٣ .

(١٠٧) السابق ٣١٤ .

(١٠٨) السابق ٢٦٥ .

(١٠٩) السابق ٢٨٦.

(١١٠) الأعمال الشعرية الكاملة ١٩٣ .

(١١١) السابق ١١٨.

(١١٢) السابق ١٣١ .

(١١٣) السابق ٤٦١ .

(١١٤) السابق ٢٦٩ .

(١١٥) السابق ٤٣٧ .

(١١٦) السابق ٤٨٤ .
(١١٧) السابق ٢٣٥.
(١١٨) الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية ٢٦٧ .
(١١٩) محمد –ﷺ– في الشعر الحديث ٤٥٣ – ٤٥٤ .
(١٢٠) الأعمال الشعرية الكاملة ١٨٥ وما بعدها.
(١٢١) السابق ٤٤٠ – ٤٤٥ .
(١٢٢) السابق ٥٦١ وما بعدها .
(١٢٣) السابق ٣٧٦ وما بعدها .
(١٢٤) راجع في هذا أيضاً قصيدته (الاستقلال حق لا هبة) ٤٥٠ ، حيث تقع في اثنتين وستين بيتاً (من الكامل) ، وقصيدته (رمز الخلود) ٤٤٦ ، حيث تقع في ثلاثة وخمسين بيتاً (من الكامل) كذلك.
(١٢٥) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ابن رشيق ١٨٧/١ – تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد – الطبعة الخامسة ١٤٠١هـ/١٩٨١م – دار الجيل – بيروت.
(١٢٦) السابق ١٨٧/١.
(١٢٧) الأعمال الشعرية الكاملة ٢٤٢ .
(١٢٨) السابق ١٩٩ .
(١٢٩) السابق ١٩٨ .
(١٣٠) السابق ٧٦ .
(١٣١) السابق ٥٧.
(١٣٢) السابق ١٧٨ .
(١٣٣) السابق ٦٢ .
(١٣٤) السابق ذاته .
(١٣٥) السابق ٤٨٤ .
(١٣٦) السابق ١٣٩.
(١٣٧) السابق ١٣٨ .
(١٣٨) السابق ٨٥.
(١٣٩) السابق ٢٣٦ .
(١٤٠) السابق ٧٣ .
(١٤١) السابق ٤٦٢ .
(١٤٢) السابق ٦٦ .
(١٤٣) الشعر وهموم الإنسان المعاصر د/ إخلاص فخري عمارة ١٨١ – الطبعة الأولى ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م – مكتبة الآداب – القاهرة .
(١٤٤) العنوان في الأدب العربي – النشأة والتطور– د/ محمد عويس – الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م – مكتبة الأنجلو المصرية .
(١٤٥) ينظر : الزمن الشعري في قصيدة (الخيول) للشاعر أمل دنقل – مقال للدكتور/ طه وادي – ضمن كتاب: سفر أمل دنقل – تحرير عبلة الرويني ٥١٥ – الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠م.
(١٤٦) فنيات الاستهلال في شعر أبي العتاهية د/ إبراهيم العطار ٦٦٥ بحث منشورة في كلية اللغة العربية بالمنصورة – العدد الثلاثون – الجزء الخامس١٤٣٢هـ/٢٠١١م.
(١٤٧) ينظر : أسس النقد الأدبي عند العرب د/ أحمد بدوي ٢٩٧– دار نهضة مصر – القاهرة ١٩٧٩م.

(١٤٨) فنيات الاستهلال في شعر أبي العتاهية صـ٦٦٥.

(١٤٩) العمدة لابن رشيق ٢١٨/١ .

(١٥٠) الخصومة بين القدماء والمحدثين د/ عثمان موافي ٢٣٦ – الطبعة الثانية ١٩٨٤م – دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية .

(١٥١) فنيات الاستهلال ٦٦٧ .

(١٥٢) ينظر السابق ٦٦٧ .

(١٥٣) الأعمال الشعرية الكاملة ٤٢٠ .

(١٥٤) السابق ذاته ٤٨٦ .

(١٥٥) ذاته ٢٧٤ .

(١٥٦) السابق ٢٣٩.

(١٥٧) السابق ١٧٨ .

(١٥٨) السابق ١١٢ .

(١٥٩) السابق ٥٤.

(١٦٠) هذا هو عنوان القصيدة ، انظرها في الأعمال الشعرية الكاملة ٤٠٠.

(١٦١) السابق ٤٦٢ ، وراجع ما كتبناه عن هذه القصيدة عند حديثنا عن تعظيم القرآن الكريم .

(١٦٢) ذاته ٢٢٣.

(١٦٢) ذاته ٣٩١ .

(١٦٣) ينظر : كتاب الصناعتين – الكتابة والشعر أبو هلال العسكري – تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ٤٤٤ – عيسى البابي الحلبي – الطبعة الأولى ١٣٧١هـ/١٩٥٢م– القاهرة.

(١٦٤) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن – ابن أبي الإصبع المصري – تحقيق د/ حفني شرف ٦١٦/٤ لجنة إحياء التراث الإسلامي – القاهرة ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م .

(١٦٥) راجع كتاب الصناعتين صـ٤٣٨، وأسس النقد الأدبي د/ أحمد بدوي ٣١٢.

(١٦٦) بناء القصيدة في النقد العربي القديم في ضوء النقد الحديث د/ يوسف حسين بكار ٢٣٢– الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م – منشور ات ومطبوعات دار الأندلس – بيروت – لبنان .

(١٦٧) الأعمال الشعرية الكاملة ٥٤ – ٥٥ .

(١٦٨) السابق ٧٥ .

(١٦٩) السابق ٤٨٦.

(١٧٠) السابق ٤٨٩ .

(١٧١) السابق ٤٧٠ .

(١٧٢) السابق ٢٤٣ .

(١٧٣) السابق ١٠٨.

(١٧٤) السابق ٦٤.

(١٧٥) السابق ٢٨٠ .

(١٧٦) السابق ١٠٠.

(١٧٧) السابق ١٨٤ .

(١٧٨) السابق ٢٤٢ .

(١٧٩) السابق ٣١٥ .

(١٨٠) ذاته ٣٦٦.

(١٨١) الشعر العربي المعاصر – قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية د/عز الدين

إسماعيل ١٧٣ – الطبعة الثالثة ١٩٧٨م – دار الفكر العربي– القاهرة .

(١٨٢) ينظر: أثر التراث في الشعر العراقي الحديث – علي حداد ٢٢٩ – الطبعة الأولى – وزارة الثقافة والإعلام – بغداد ١٩٨٠م .

(١٨٣) لغة الشعر بين جيلين د/ إبراهيم السامرائي ٨– دار الثقافة – بيروت – بدون تاريخ .

(١٨٤) لغة الشعر العربي الحديث – مقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعية – د/ السعيد الورقي ٧٢– الطبعة الثانية – دار المعارف – مصر – ١٩٨٣م .

(١٨٥) الأعمال الشعرية الكاملة ٤٨٦.

(١٨٦) السابق ذاته .

(١٨٧) السابق ٢٧٤.

(١٨٨) السابق ٤١٠ .

(١٨٩) السابق ٢٣٩ .

(١٩٠) السابق ١٧٨ .

(١٩١) السابق ١١٢

(١٩٢) السابق ١٤٥ .

(١٩٣) السابق ٣٧٨.

(١٩٤) السابق ٤٦٢ .

(١٩٥) السابق ٢٢٣ .

(١٩٦) السابق ٥٩.

(١٩٧) السابق ٣٩١.

(١٩٨) الأعمال الشعرية الكاملة ٤٧٨ ، وواضح مدى اتكاء العنوان على صدر دالية المتنبي السائرة في كافور الإخشيدي .

(١٩٩) السابق ٤٧٠.

(٢٠٠) السابق ٢٩٨ .

(٢٠١) السابق ٤٠٣ .

(٢٠٢) السابق ٣٠٩ وما بعدها .

(٢٠٣) السابق ١٩٦.

(٢٠٤) السابق ٤٤٣ .

(٢٠٥) السابق ٣٢٤ .

(٢٠٦) السابق ٢٤٠ .

(٢٠٧) السابق ٤٢٧.

(٢٠٨) النقد الأدبي الحديث د/ محمد غنيمي هلال صـ٤٤٢ – دار الثقافة – دار العودة – بيروت١٩٧٣م.

(٢٠٩) أضواء على الأدب الحديث د/ أحمد الحوفي ١١٧ الطبعة الأولى – ١٩٨١م – دار المعارف بمصر.

(٢١٠) أثر التراث في الشعر العراقي الحديث / علي حداد ٢٤٤ .

(٢١١) السابق ذاته .

(٢١٢) فن الشعر د/ إحسان عباس ٢٣٠ – الطبعة الثالثة – ١٩٥٩م – دار الثقافة – بيروت.

(٢١٣) من صحائف النقد الأدبي د/عبد الوارث عبد المنعم الحداد ٢٨٣– الطبعة الأولى ١٤١٠هـ/١٩٨٩م– دار الطباعة المحمدية – القاهرة .

(٢١٤) ينظر: فنيات التصوير في شعر الصنوبري د/على إبراهيم أبو زيد ٢١٠ – دار المعارف – ٢٠٠٠م .

(٢١٥) ينظر: دراسات نقدية – محمد المبارك ٣٢ – بغداد ١٩٧٦– سلسلة الكتب الحديثة – عدد(٩٥).

(٢١٦) الأعمال الشعرية الكاملة ٢٠٠ .

(٢١٧) السابق ٥٢ – ٥٣ .

(٢١٨) الأعمال الشعرية الكاملة ٣٧٦ وما بعدها .

(٢١٩) الطغراء : الطُّرَّة تكتب في أغلب الكتب والرسائي

(٢٢٠) الآطام : جمع أطم وهو الحصن .

(٢٢١) الأعمال الشعرية الكاملة صـ٥٨٠ .

(٢٢٢) السابق ١٤٧ من قصيدة (أوَ مَا في العرب) – من الرمل– .

(٢٢٣) السابق ٢٢٧ – من الكامل – .

(٢٢٤) السابق ٦٠ .

(٢٢٥) السابق٤٧٨ من قصيدة (عيد بأي حال عدت يا عيد)– بحر الرمل–.

(٢٢٦) السابق ١٤٩ من قصيدة (أَوَما في الغرب)من الرمل .

(٢٢٧) السابق ٤٠٦ .

(٢٢٨) السابق ٢٧٧.

(٢٢٩) السابق ٢٩٨ قصيدة (بطل الصحراء) من الوافر

(٢٣٠) السابق ٦٦ .

(٢٣١) السابق ٢٠٨ .

(٢٣٣) السابق ٢٠٨ .

(٢٣٤) السابق ٢٦٨، وواضح أنه أفاد من قوله تعالى خاصة : ﴿**فَأَلْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ**﴾ .

(٢٣٥) السابق ٤٤٥ .

(٢٣٦) السابق ١٨٥ .

(٢٣٧) السابق ٩٦ .

(٢٣٨) السابق ١١٠ .

ثبت بأهم المصادر والمراجع

- أثر التراث في الشعر العراقي الحديث – علي حداد– الطبعة الأولى – وزارة الثقافة والإعلام – بغداد ١٩٨٠م.
- أخطاء المنهج الغربي الوافد – في العقائد والتاريخ والحضارة واللغة والأدب والاجتماع – أنور الجندي– الطبعة الأولى – دار الكتاب اللبناني – بيروت – لبنان ١٩٧٤م.
- الأدب العربي في المهجر د/حسن جاد حسن – دار قطري بن الفجاءة للنشر والتوزيع – الدوحة –قطر– ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
- أدب المهجر – د/ صابر عبد الدايم –دار المعارف بمصر –١٩٩٣م.
- استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر د/علي عشري زايد– الطبعة الأولي ١٩٩٧م – دار الفكر العربي– القاهرة
- أسس النقد الأدبي عند العرب د/ أحمد بدوي – دار نهضة مصر– القاهرة ١٩٧٩م.
- أضواء على الأدب الحديث د/ أحمد الحوفي – الطبعة الأولى – ١٩٨١م – دار المعارف بمصر.
- الأعمال الكاملة (الشعر) الشاعر القروي رشيد سليم الخوري ١٨٨٧– ١٩٨٤م– جمع وضبط وتبويب وشرح وتقديم – مكتب التدقيق اللغوي (طرابلس–لبنان) منشورات جَرَوْس برس – لبنان ١٩٨٣م.

- الإنسان في القرآن الكريم – عباس محمود العقاد – المكتبة العصرية– صيدا – بيروت – بدون تاريخ.
- بناء القصيدة في النقد العربي القديم في ضوء النقد الحديث د/يوسف حسين بكار– الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م – منشورات ومطبوعات دار الأندلس – بيروت – لبنان .
- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن – ابن أبي الإصبع المصري – تحقيق د/حفني شرف – لجنة إحياء التراث الإسلامي – القاهرة ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م .
- التصوف في الشعر العربي – عبد الحكيم حسان – مكتبة الانجلو المصرية ١٩٥٤م.
- الثقافة الإسلامية وتحديات العصر د/شوكت محمد عليان – الرياض – المملكة العربية السعودية ١٩٩٦م .
- حركة التجديد الشعري في المهجر بين النظرية والتطبيق د/عبد الحكيم بلبع – الهيئة المصرية للكتاب ١٩٨٠م
- الخصومة بين القدماء والمحدثين د/عثمان موافي– الطبعة الثانية ١٩٨٤م – دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية.
- دراسات في الحضارة الإسلامية د/ شوكت محمد عليان – الطبعة الأولى ١٤١٦هـ–١٩٩٦م دار الشروق – المملكة العربية السعودية – الرياض .
- دراسات نقدية – محمد المبارك – بغداد ١٩٧٦– سلسلة الكتب الحديثة – عدد(٩٥).
- ديوان إبراهيم طوقان – دار العودة – بيروت ١٩٨٨م.
- ديوان أمواج وصخور– ميشال مغربي١٩٧٧م– مطبعة صفدي التجارية – البرازيل.
- ديوان نصر سمعان – تنسيق وإشراف – رشيد شكور –١٩٧٢م – البرازيل.
- ديوان نفخات الصور – أبو الفضل الوليد – مطبعة الوفاء – بيروت – الطبعة الثانية ١٩٩٤م .
- سفر أمل دنقل – تحرير عبلة الرويني – الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠م.
- الشعر العربي المعاصر – قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية د/عز الدين إسماعيل – الطبعة الثالثة ١٩٧٨م – دار الفكر العربي– القاهرة .
- الشعر القومي في المهجر الجنوبي –د/ عزيزة مريدن – الطبعة الثانية – دار الفكر – دمشق – سوريا ١٩٧٣م.
- الشعر وهموم الإنسان المعاصر د/ إخلاص فخري عمارة – الطبعة الأولى ١٤١٣هـ/١٩٩٢م – مكتبة الآداب – القاهرة .
- شعراء العرب المعاصرون –تأليف أحمد زكي أبو شادي – تقديم رضوان إبراهيم – الطبعة الأولى– القاهرة ١٩٥٨م .
- العروبة في شعر المهاجر الأمريكي الجنوبي د/ عبد الرحيم زلط ، إشراف ومراجعة د/ شوقي ضيف – الطبعة الأولى – دار الفكر العربي – القاهرة سنة١٩٧٣م .
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ابن رشيق– تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد – الطبعة الخامسة ١٤٠١هـ/١٩٨١م – دار

الجيل – بيروت.
- العنوان في الأدب العربي – النشأة والتطور – د/ محمد عويس – الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م – مكتبة الأنجلو المصرية.
- الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي د/ محمد البهي – الطبعة السادسة– دار الفكر – بيروت ١٩٧٣م .
- فن الشعر د/ إحسان عباس – الطبعة الثالثة – ١٩٥٩م – دار الثقافة – بيروت.
- فنيات الاستهلال في شعر أبي العتاهية د/ إبراهيم العطار – بحث منشورة في كلية اللغة العربية بالمنصورة – العدد الثلاثون – الجزء الخامس١٤٣٢هـ/٢٠١١م.
- فنيات التصوير في شعر الصنوبري د/ على إبراهيم أبو زيد – دار المعارف بمصر ٢٠٠٠م .
- قصيدة (الربيع) للشاعر القروي – دراسة بلاغية نقدية تحليلية –د/ محمد السيد البدوي المرسي خليل –١٤٣٢هـ–٢٠١١م.
- كتاب الصناعتين – الكتابة والشعر أبو هلال العسكري – تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم– عيسى البابي الحلبي – الطبعة الأولى ١٣٧١هـ/١٩٥٢م– القاهرة.
- لغة الشعر بين جيلين د/ إبراهيم السامرائي – دار الثقافة – بيروت – بدون تاريخ .
- لغة الشعر العربي الحديث – مقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعية – د/ السعيد الورقي – الطبعة الثانية – دار المعارف – مصر – ١٩٨٣م .
- محمد –٨– في الشعر الحديث د/ حلمي القاعود – الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م –دار الوفاء المنصورة.
- المدائح النبوية د/ محمود علي مكي – الطبعة الأولى ١٩٩١م الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان – مكتبة لبنان – القاهرة.
- المدائح النبوية في الأدب العربي د/ زكي مبارك – مطبعة دار الشعب – القاهرة – بدون تاريخ.
- من صحائف النقد الأدبي د/عبد الوارث عبد المنعم الحداد – الطبعة الأولى ١٤١٠هـ/١٩٨٩م– دار الطباعة المحمدية – القاهرة .
- النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر –د/حسن بن فهد الهويمل –الرياض –١٤١٢هـ –١٩٩٢م.
- النقد الأدبي الحديث د/ محمد غنيمي هلال – دار الثقافة – دار العودة – بيروت١٩٧٣م